

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي الهادي الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه الي يوم الدين.

أما بعد :

فإن للشعر قيمته ومكانته التي لا تُنكر ،فهو ديوان العرب كما قال عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما -( ت 68 هـ / 687 م ) : " الشعر ديوان العرب ، إذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه "(1)، وقال أيضاً : " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب "(2).

" والشعر مجنى ثمر العقول والألأباب ، ومجتمع فِرَق الآداب ، والذى قيّد على الناس المعانى الشريفة ، وأفادهم الفوائد الجليلة ، وترسّل بين الماضى والغابر ، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد ، ويؤدى ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد ، حتى ترى به آثار الماضين ،مخلدة فى الباقين ، وعقول الأولين ،مردودة فى الآخرين ، وترى لكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل ، منارا مرفوعا، وعلما منصوبا، وهاديا مرشدا، ومعلما مُسنّدا " (3).

وتتعاظم قيمة الشعر ومكانته إذا كان يخدم الإسلام والدعوة الإسلامية ،أو إذا كان وسيلة لاستنهاض الهمم والعزائم للدفاع عن المحارم ،وقتل الأعداء الغاصبين ،والزود عن بيضة الدين ،ولهذا كان شعر الجهاد الذى هو لون من ألوان الشعر له من الشرف الرتبة العلية، لنبل أغراضه ، وقوة عاطفته وصدقها، علاوة على كونه سجلا تاريخيا مهما.

وقد تعرضت الأمة الاسلامية فى حقبة من الزمان لهجمات شرسة من الصليبيين ، سُفكت على أثرها دماء المسلمين ؛ إذ أن النساء كن يُقتلن طعنا بالسيوف والحراب ، والأطفال الرضع يُختطفون بأرجلهم من أئداء أمهاتهم ويُقذف بهم من فوق الأسوار ، أو تُهشم رؤوسهم بدقها بالعُمد ، ودُبِح السبعون ألفا من الذين بقوا من المسلمين فى المدينة .

- 1 - الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 2 / 55 ط. دار التراث - القاهرة ط . الثالثة سنة 1405 هـ / 1985 م .
- 2 - المرجع السابق 2 / 55
- 3 - دلائل الاعجاز للشيوخ عبد القاهر الجرجاني ،قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر ص15، 16، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة سنة 2000م

وجاء الأدب الإسلامي بدوره لإثارة الحماسة والحمية ، وللترويج في الجهاد ، وفي الجنة ونعيمها ، من ذلك قصيدة أبو "المظفر الأبيوردی" ، التي يستثير فيها حمية المسلمين للدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم ، ومطلعها (1) :

مَرْجَتَا دِمَانًا بِالدَّمِوعِ السَّوَالِمِ      فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاكِمْ

ولم يقف "أبو المظفر الأبيوردی" وحده في تلك الجبهة يتصدى بشعره لتلك الحملة الشرسة ، بل إن أكثر شعراء تلك الحقبة وقفوا معه في الخندق نفسه ، فأخذوا يثثون بأشعارهم روح الحماسة والحمية في نفوس المسلمين ليحثوهم على الجهاد ، ووصفوا المعارك الحربية التي دارت بين المسلمين والصليبيين ، وأخذوا يصفون جيوش المسلمين ، ويتغنون بانتصاراتهم مادحين قادة المسلمين مقتخرين بهم وبما حققوه من انتصارات ساحقة على العدو الكافر .

وقد كان من أولئك الشعراء - إن لم يكن من أبرزهم - الأمير "أسامة بن منقذ" ، و الوزير المصري "طلانح بن رزيك" ، ولا عجب أن يكونا من أبرز شعراء تلك الحقبة ؛ فأسامة لم يكن شاعراً فقط وإنما كان شاعراً وأديباً وناقداً ، وفارساً شجاعاً ، من أسرة تحفل بالفرسان الشجعان ، فقد خاض "أسامة" وقعات تلك الحروب منذ نعومة أظفاره إلى أن شاب فيها كما يخبر عن نفسه (2) :

لخمس عشرة نازلتُ الكُماةَ إلى      أن شبتُ فيها ، وخيرُ الخيل ما قرَحَا

فقد كان قائداً من قواد تلك الحروب تغنى كثيراً بانتصاراته وانتصارات المسلمين فيها ، وفي شعره نشعر بعزة الإسلام وغلبيته ، فمن ذلك وصفه لأسر أحد ملوك الفرنج المهزومين حيث يقول (3) :

وفي سجننا ابن الفُشْخِيسِ خيرَ ملوكهم      وإن لم يكن خيرَ لديهم ولا بر  
أسرناه من حصن العُريْمَةِ راغما      وقد قُتلتُ فرسانه فهم جُزر

ويقول (4) :

ونحن كسرنا البَغْدَوِيْنَ وما لمن      كسرناه إِبِلَالٌ يُرْجَى ولا جبر

- 
- 1 - متن البيت من البداية والنهاية لابن كثير 6 / 650 ، ط. دار الغد العربي ، ط. الأولى 1412هـ - 1991م ولم أجده في ديوان الشاعر .
  - 2 - ديوان "أسامة بن منقذ" د. أحمد أحمد بدوي ص 209 .
  - 3 - المرجع السابق ص 202 .
  - 4 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

وقد كان "طلّاع بن رزيك" كذلك قائداً من قواد تلك الحروب ؛حيث خاض وقعات ضد الفرنج وهزمهم فيها ،وتغنى كثيراً بانتصاراته عليهم ،فمن ذلك قوله<sup>(1)</sup> :

توّالت علينا في الكتابب والكثّيب      بشائر من شرق البلاد ومن غرب

كما أنه نادى كثيراً وطلب من "نور الدين" قائد الجبهة الإسلامية في الشام الاتحاد معه لغزو الفرنج والتصدي لهم حيث يقول<sup>(2)</sup> :

قصدنا أن يكون منا ومنكم      أجلّ في مسيرنا مضروب  
فلدينا من العساكر ما ضاق      بأدناهم الفضاء الرحيب

وكما نرى فإن هذه الحقبة من التاريخ قد أفرزت نتاجاً شعرياً ذا طابع مميز وخاص ؛فيما يختص بالأغراض والعاطفة المسيطرة على تلك الأشعار ، وهذا الشعر جدير بالاهتمام والدراسة والبحث ،وقد أحببت أن تكون أشعار الجهاد في هذه الحقبة هي موضوع بحثي، وبالتحديد تلك الأشعار أو المراسلات الشعرية التي كانت بين "أسامة بن منقذ" و"طلّاع بن رزيك"،حتى أنتفع به وينتفع به غيري، وأسميته : " وصف المعارك الحربية بين أسامة بن منقذ وطلّاع بن رزيك دراسة تحليلية وموازنة " .

---

1 - ديوان "طلّاع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 47  
2 - المرجع السابق ص62

# أدب الحروب الصليبية

مما لا شك فيه أن الحروب في أي عصر من العصور مُسَعِّرةٌ لروح الجهاد والحماسة ، ولا سيما إذا ما كانت هذه الحروب هي الحروب الصليبية ؛ وذلك لما اتسمت به هذه الحروب من الوحشية والهمجية ، فلم يعرف التاريخ من قبلها مثيلاً لها ، فقد صدرت من أناس أقل ما يطلق عليهم أنهم وحوش همجيون ، ولا غرو فهذا هو شأن الجبناء إذا ما ملكوا وكانت لهم الغلبة ، قال تعالى " **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً** " (1) ، فهم يَنْقُضُونَ إذا ما عاهدوا ، ويقتلون الصغير قبل الكبير ويهتكون الأعراض .

ولقد استمرت هذه الحروب زهاء قرنين من الزمن "منذ سنة تسعين وأربعمائة وحتى سنة اثنتين وتسعين وستمائة من الهجرة" ، ففي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وخلال بدايتهن المشؤمة أخذوا بيت المقدس وفعلوا بأهله أفعالاً شنيعة ، تعجز الكلمات عن وصفها فوسطروا بهمجيتهم سطوراً من الدم لاثمحي أبداً من صفحات التاريخ.

يرى لنا صاحب كتاب قصة الحضارة عن القس " ريمند الإيجلي " شاهد العيان لبعض أفعالهم حيث يقول : " وشاهدنا أشياءً عجيبة ؛ إذ قطعت رعوس عدد كبير من المسلمين وقتل غيرهم رمياً بالسهم ، أو أرغموا أن يُلْقُوا أنفسهم من فوق الأبراج ، وظلَّ بعضهم يُعَذَّبُ عدة أيام ، ثم أحرقوا في النار ، وكنت ترى في الشوارع أكوام الرعوس والأيدي والأقدام ، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيول ، ويروى غيره من المعاصرين تفاصيل أدق من هذه وأوفى ، يقولون : إن النساء كنَّ يقتلن طعنًا بالسيوف والحراب ، والأطفال الرضع يُختطفون بأرجلهم من أنداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار ، أو تهشم رعوسهم بدقها بالعُمد ، وتُبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة " (2).

وقد ألهمت تلك الحروب وما تبعها من مذابح مشاعر الحماسة وحب الانتقام ودفع العار عن الإسلام والمسلمين ، ولا سيما عند من يتسمون برهافة الحس ورقة المشاعر ، ومنهم الأدباء ، فانطلقت ألسنتهم بكلمات مُثَخَّنَة بالجراح تقطر دماً ، مُتَقَدَّة تُشعل القلوب ناراً بحسرةٍ وأسىٍ على ما أُلِّمَ بالمسلمين ، وتحث وتدفع دفعاً قوياً إلى الجهاد وحماية الأعراض ، وهنا يبرز دور الأدب - شعره ونثره - جلياً في احتلال مركز القيادة للجهاد ضد الصليبيين .

#### 1 - الشعر :

أما عن الشعر ؛ فقد تحدث شعراء هذه الحقبة عن الحروب الصليبية منذ بدأ " عماد الدين زنكي " (3) في مواجهتها وحتى انتهت بخروج الصليبيين نهائياً من بلاد الشام ، حيث

1 - سورة التوبة من الآية 8 .

2 - قصة الحضارة " ول وإيريل ديورانت " ترجمة محمد بدران 4/ 25 ط. دار الجيل - بيروت 1408هـ - 1988م

3 - عماد الدين زنكي : الأتابك ، الملك عماد الدين زنكي ابن الحاجب قسيم الدولة اقسنغر بن عبدالله التركي ، صاحب حلب توفي سنة 548 هـ ، كان بطلاً شجاعاً مقداماً ، وكان يضرب بشجاعته المثل ، افتتح الرها وملك حلب والموصل وحماة وحمص وبلعك وبانياس ، وحاصر دمشق ، وصالحهم على أن خطبوا له بعد حروب يطول شرحها . سير اعلام النبلاء للذهبي 24/15 ط. المكتبة التوفيقية .

تعددت موضوعات أدب الجهاد في هذه الحقبة ما بين الدعوة إلى الجهاد ، ووصف احتلال الصليبيين للبلاد الإسلامية في بداية قدومهم ، ووصف المعارك التي خاضها قادة المسلمين ، وتحريضهم على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين ، وما تابع ذلك من مديح لهؤلاء القادة المنتصرين والاعتذار لهم ، ورثائهم ، وهجاء الصليبيين والمتعاسين عن الجهاد .

وكان "أبو المظفر الأبيوردی" <sup>(1)</sup> من أوائل الشعراء الذين حملوا على عاتقهم واجب الدعوة للجهاد عند سماعه لنبا دخول الصليبيين بلاد المسلمين ، وما أُلْمَ بالمسلمين من هُول وفزع .

يقول "ابن الجوزی" <sup>(2)</sup> : وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، ونذب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ؛ فخرج "ابن عقيل" <sup>(3)</sup> وغير واحد من أعيان الفقهاء ، فساروا في الناس فلم يجد ذلك شيئاً <sup>(4)</sup> .

يقول أبو "المظفر الأبيوردی" في وصف حال المسلمين وتفرقهم وضعفهم ، وما فعله بهم الصليبيون من قتل وتشريد في قصيدة رائعة مطلعها <sup>(5)</sup> :

مَرْجَبًا دمانا بالدموع السَّوْاجِمِ      فلم يبقَ منا عُرْضَةٌ للمَراحِمِ

يصف فيها الشاعر حال المسلمين وما هم فيه من شقاء ، وكيف أن الفرنج يذيقونهم ألوان العذاب فيقول :

وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يَضْحِي مَقِيلُهُم      ظُهُورَ الْمَذَاكِي أَوْ بَطُونَ الْقَشَاعِمِ  
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهُوَانُ وَأَنْثَمُو      تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فِعْلَ الْمَسَالِمِ

1 - أبو المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردی ، شاعر مشهور له ديوان شعر . توفي بأصفهان في شهر ربيع الأول سنة 557هـ . وفيات الأعيان تحقيق د. إحسان عباس 444/4 ط . دار الثقافة سنة 1968 م .

2 - ابن الجوزي : ( 508 - 597هـ ) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، القرشي ، البغدادي ، أبو الفرج : علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصنيف ، له "الموضوعات في الحديث ، وصفة الصفوة" ، "المدهش" ، وغيرها مولده ومماته ببغداد ، له نحو ثلاثة مئة مصنف الأعلام لخير الدين الزركلي 97/4 ط . دار العلم للملايين - بيروت ط . الثامنة 1989 م "بتصرف" .

3 - ابن عقيل : ( 431 - 513 هـ ) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، أبو الوفاء ، ويعرف بابن عقيل : عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، كان قوى الحجّة ، له تصانيف أعظمها "كتاب الفنون" . المرجع السابق 313/4 "بتصرف" .

4 - البداية والنهاية للإمام الحافظ "ابن كثير" 6 / 650 ، ط . دار الغد العربي ، ط . الأولى 1412هـ - 1991م "بتصرف" .

5 - متن القصيدة من البداية والنهاية 6 / 650 .

ثم يصف الشاعر جانباً من تلك المعارك فيقول :

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة  
وتلك حروبٍ من يَغِبُ عن غمارها  
سكّلتْ بأيدي المشركين قواضيا  
يكاد لهن المستجير بطيبة  
تظل لها الولدان شبيب القوام  
ليسلم يقرع بعدها سنن نادم  
ستغمّد منهم في الكلى والجماجم  
ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم

ثم يستنكر الشاعر بكل أسى وحزن تقاعس المسلمين عن نصره الإسلام وإخوانهم المستضعفين فيقول :

أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا  
ويجتنبون النار خوفاً من الردى  
رماحهم والدين واهي الدعانم  
ولا يحسبون العار ضربة لآزم

ثم يتعجب الشاعر من رضا المسلمين بهذا الذل والهوان فيقول :

أيرضى صناديدُ الأعرابِ بالآذى  
ويغضى على ذل كماء الأعاجم

وفي النهاية يحاول الشاعر أن يستثير حمية المسلمين ونخوتهم تجاه الأعراس ، طالما أنهم أبوا الدفاع عن الدين، وإن كانوا زهدوا في أجر الآخرة وثوابها فليقاتلوا وليجاهدوا الأعداء طلباً للغنائم والأموال ، فيقول :

فليتهموا إذ لم يذودوا حمية  
وإن زهدوا في الأجر إذ حمس الوغى  
عن الدين ضنوا غيره بالمحارم  
فهلأ أقوه رغبة في المغانم

وقد تحدث الشعراء عن هزائم الفرنج أيضاً ، " ففي وصف معركة هُزم فيها الفرنج عندما قاموا بالهجوم على "دمشق" في أواخر سنة ثلاثٍ وعشرين وخمس مئة ، يقول " ابن القيسراني " (1) : (2)

حتى إذا ما أحاط المشركون بنا  
واقبلوا لا من الإقبال في عدد  
كالليل يلتهم الدنيا له ظلم  
يؤود حاسبه الإعياء والسأم

1 - ابن القيسراني: محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد ، من ولد خالد بن الوليد الصحابي الجليل، المعروف بابن القيسراني ، كان شاعراً مجيداً وأديباً مثقناً، قرأ الأدب على ابن الخياط الشاعر ، له شعر كثير مدون أجاد في أكثره، توفي في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة 548هـ ، وكانت ولادته سنة 478هـ . (معجم الأنبياء) لياقوت الحموي 452/5 ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

2 - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة 1/ 194 ، 195 ، حققه وعلق عليه "إبراهيم الزبيق" ، ط. مؤسسة الرسالة ، ط. الأولى 1418هـ - 1997 م "بتصرف" .

ثم يستطرد في وصف المعركة فيقول :

صَابَ الغَمَامُ عَلَيْهِمُ وَالسَّهَامُ مَعَا  
سَرَوْا لِيَنْتَهَبُوا الْأَعْمَارَ فَانْتَهَبُوا  
وَأَقْبَلَتْ خَيْلُنَا تُرْدَى بِخَيْلِهِمْ  
فَمَا دَرَوْا أَيُّمَا الْهَظَالَةِ الدَّيْمِ  
قَتَلُوا وَيَعْتَمُوا الْأَمْوَالَ فَاعْتَمُوا  
مَجْنُونَةً وَعَلَى أَرْمَاحِنَا الْقِمَمُ

ويفص هزيمة الصليبيين فيقول :

وَأَدْبَرَ الْمَلِكُ الطَّاغِي يُزْعِزُهُ  
وَأَفْرَا دِمَشْقَ وَظَنُوا أَنَّهَا جِدَّةُ  
وَأَيْقَنُوا مَعَ ضِيَاءِ الصُّبْحِ أَنَّهُمْ  
فَغَادَرُوا أَكْثَرَ الْقُرْبَانِ وَانْجَلُّوا  
وَحَاوَلُوا الْمَسْجِدَ الْأَدْنَى فَمَا عَبَّرَتْ  
مُسْتَسْلِمِينَ لِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ  
لَا يَمْلِكُ الْجِسْمُ دَفْعًا عَنْ مَقَاتِلِهِ  
حَرَّ الْأَسِنَّةِ وَهُوَ الْبَارِدُ الشَّيْمِ  
فَفَارَقُوهَا وَفِي أَيْدِيهِمُ الْعَدَمُ  
إِنْ لَمْ يَزُولُوا سِرَاعًا زَالَتْ الْخَيْمُ  
وَحُلُّفُوا أَكْبَرَ الصُّلْبَانِ وَانْهَزَمُوا  
عَنْ مَسْجِدِ الْقَدَمِ الْأَقْصَى لَهُمْ قَدَمُ  
أَغْرَى الْقَنَا بِتَمَادِي خَطْفِهِمْ نَهْمُ  
كَانَهُ حِينَ يَغْشَاهُ الرَّدَى صَنَمُ

" ولم يقف شعراء الجهاد عند وصف المعارك التي انتصر فيها المسلمون؛ بل إنهم قد تحدثوا كذلك عن المعارك التي هُزِمَ فيها المسلمون ،وهي قليلة إذا ما قيسَت بكثرة انتصاراتهم بعد تولي "عماد الدين زنكي" قيادة المسلمين ،وقيامه بمحاولة استرداد بلادهم من أيدي الصليبيين . ومن الهزائم التي لحقت بالمسلمين وتحدث عنها الشعراء ، هزيمة "الرملة" التي وقعت سنة ثلاث وسبعين وخمسائة .فقد ذكر "أبو شامة" في تاريخه أن "صلاح الدين"<sup>(1)</sup> نزل بجيشه على "عسقلان" يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وخمسائة ،فقاتل أهلها ، وانتصر عليهم ، فلما أمن جانبهم بعد هذا الانتصار تفرق عسكره في الأعمال مغيرين ومبيدين ، وتوجه السلطان ببعض عسكره قاصداً الرملة ، فلما وصلها فاجأه جيش الإفرنج وهاجموه ، فتلقاهم الملك المظفر "تقي الدين شاهنشاه" ، وقاومهم مقاومة عنيفة ، فاستشهد ولده وعدد من جيشه ،وتفرق جيش المسلمين ، أما السلطان فأتجه مع بعض جنده حتى وصل إلى القاهرة ، ونظراً للجهد الكبير الذي بذله الملك المظفر فقد منحه العماد الكاتب بقصيدة قال فيها <sup>(2)</sup> :

1 - السلطان الكبير ، الملك الناصر صلاح الدين، أبو المظفر، يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب ، التكريتي المولد، ولد في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة ،تولى حكم مصر بعد موت عمه أسد الدين شيركوه ،وكان خليفاً للإمارة ، مهيباً شجاعاً حازماً، مجاهداً كثير الغزو ، عالى الهمة، كانت دولته نيفاً وعشرين سنة، وتملك بعد نور الدين واتسعت بلاده، وفتح طبرية ونازل عسقلان، ثم كانت وقعة حطين بينه وبين الفرنج، فانتصر فيها ،ثم بادر وأخذ عكا وبيروت وكوكب ، وسار فحاصر القدس ، وجذ في ذلك فأخذها بالأمان، توفي بقلعة دمشق بعد الصباح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة. تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، 134/3 هـ. أحمد فايز الحمصي ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى 1412هـ- 1991م. "بصرف".  
2 - شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام د.محمد علي الهرفي ص101، 102. طدار الاحتصان"بصرف"



أَخَقَّتَ الشَّرْكَ حَتَّى الدُّعْرِ مِنْهُمْ  
وَيَوْمَ الرَّمْلَةِ الْمَرْهُوبِ بِأَسَا  
وَكُنْتُ لِعَسْكَرِ الْإِسْلَامِ كَهْفَا  
وَقَدْ عَرَفَ الْفَرَنْجُ سَطَاكَ لَمَّا  
وَأَنْتَ ثَبَتَ دُونَ الدِّينِ تَحْمَى

يُرَى قَبْلَ الْوَلَادَةِ فِي الْجَنِينِ  
تَرَكْتَ الشَّرْكَ مُنْزَعَجَ الْقَطِينِ  
أَوَى مِنْهُ إِلَى حَصِينِ حَصِينِ  
رَأَوْا آثَارَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ  
جَمَاهُ أَوَانٌ وَلَى كُلُّ دِينٍ "

" وكما تحدث الشعراء عن انتصارات المسلمين وهزائمهم فقد تحدثوا عن الملوك الذين لا يشاركون في الجهاد، فانتقدوهم بقسوة، وحملوا عليهم حملة شعواء، وقد وردت هذه المعاني في قصيدة للفقير "ابن أسعد الموصلي" قالها سنة ست وسبعين وخمسائة عندما انتصر السلطان "صلاح الدين الأيوبي" على الإفرنج في معركة "حصن المناقير"، فمدحه الشاعر، ثم تحدث عن الملوك المتقاعسين عن الجهاد فقال :

لِيَفِدْ حَيَاءُ وَجْهَكَ كُلَّ وَجْهٍ  
مُلُوكٌ جُلُوهُ مُغْرَى بَظْلَمٍ  
إِذَا مَا جَالَتْ الْأَبْطَالُ وَلَى  
يُرَى الْإِنْفَاقَ فِي الْخَيْرَاتِ خُسْرَا  
هُمُومًا جَمَعُوا وَقَدْ فَرَّقَتْ لَكِنْ  
وَبَوْنُ بَيْنَ مَالِكَ بَيْتِ مَالٍ

إِذَا سُئِلَ الْبُغْيَاءُ وَجْهَ وَقَاحٍ  
وَمُشَقُّونَ بَلْهَوٍ أَوْ مَزَاحٍ  
وَيَقْدُمُ نَحْوَ جَانِلَةِ الْوِشَاحِ  
وَأَنْتَ تَرَاهُ مِنْ خَيْرِ الرِّبَاحِ  
جَمَعْتَ بِهِ الرِّجَالَ مَعَ السِّلَاحِ  
وَمَالِكَ رَقَى أَمْلَاكَ الْبُغْيَاءِ "(1)

" ولمَّا تم فتح بيت المقدس أرسل "العماد الكاتب"(2) قصيدة إلى الخليفة الناصر يبشره بهذا الفتح العظيم الذي لم يكن يخطر على بال إنسان، حتى جاء "صلاح الدين" فأحيا الهدى، وأمات الشرك، وقمع الطغاة، فقال :

أَبَشَرَ يَفْتَحُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَتَى  
مَا كَانَ يُخْطَرُ فِي بَالِ تَصَوُّرِهِ  
وَحَامَ عِنْدَهُ الْمُلُوكُ الْأَقْدَمُونَ وَقَدْ  
تَصَرَّ أَعَادَ صِلَاحُ الدِّينِ رَوْنَقَهُ  
أَحْيَا الْهَدَى وَأَمَاتَ الشَّرْكَ صَارِمُهُ  
بَفَتْحِهِ الْقُدْسَ لِلْإِسْلَامِ قَدْ فُتِحَتْ

وَصَبِيئُهُ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ جَوَابُ  
وَاسْتُصْعِبَ الْفَتْحُ لَمَّا أَغْلَقَ الْبَابُ  
مَضَتْ عَلَى النَّاسِ مِنْ بُلُوَاهُ أَحْقَابُ  
إِبْجَازُهُ بِبَلِّغِ الْقَوْلِ إِنْشَاءُ  
لَقَدْ تَجَلَّى الْهَدَى وَالشَّرْكَ مُنْجَابُ  
فِي قَمْعِ طَاغِيَةِ الْإِسْرَاقِ أَبَوَابُ "(3)

- 1- شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام د. محمد علي الهرفي ص 102، 103 "بتصرف".
- 2- أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي الأصبهاني الكاتب، ولد سنة تسع عشرة وخمس مئة بأصبهان. خدم بالإشياء الملك نور الدين، فلما توفي استكتبه صلاح الدين فمدحه ولزم ركابه، صنف كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" توفي في أول رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مئة. تهذيب سير أعلام النبلاء 3/ 144، 145 "بتصرف".
- 3- شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ص 104، 105 "بتصرف".

لقد كان لشعراء الجهاد في حقبة الحروب الصليبية أثر بارز وكبير في دفع المقاتلين إلى بذل التضحيات ، وحث قادة المسلمين على استرجاع بلادهم ومقدساتهم " فكان شعر هذه الحقبة صادقاً عاطفياً ، ينبعث من نفوس الشعراء بصنق وإخلاص ، لأنهم يُعَبِّرُونَ في قصائدهم عما يَخْتَلِجُ في نفوسهم من بُغْضٍ للأعداء ، ورغبةٍ مُلْحَةٍ في طردهم من بلاد المسلمين ، كما كانوا يُعَبِّرُونَ في الوقت نفسه عن أمانى الشعب الإسلامي ، وتطلعاته في استعادة بلاده ومقدساته " (1).

" وقد تميز شعر الجهاد في هذه الحقبة عن موضوعات الشعر الأخرى بالجديّة والالتزام ، فكان لشعراء الجهاد هدف يسعون إليه ، وغاية نبيلة يرجون تحقيقها ، وفي سبيل ذلك حاولوا الارتفاع بشعرهم لغة وأسلوباً ، لتحقيق الغاية التي يريدونها ، وقد تميز شعر الجهاد كذلك ، بأنه كان نتيجة معاناة مر بها الشعراء فعبّروا عنها ، وخلدوها في أشعارهم " (2) .

## 2 - النشر :

وأما النشر فلم يختلف دوره كثيراً عن دور الشعر في تلك الحقبة ، ولم تختلف موضوعاته عن موضوعات الشعر ؛ من حثٍ وتحريض على الجهاد ، ووصفٍ للمعارك والجيوش وما يتصل بها ، ومن تهنئة وبشرى بالنصر وغيرها ، وسوف نكتفي بالإشارة إلى بعض أقسام النشر التي برز دورها إبان الحروب الصليبية ، فأثرت وتأثرت بتلك الحروب ، ومنها على سبيل المثال :

### (أ) - الخطابة

كان من الطبيعي أن تروج سوقها إبان الحروب الصليبية ؛ ذلك لأن الحاجة كانت ماسةً إلى استخدامها في التحريض على الجهاد والكفاح في سبيل الدين والترغيب في قتال الكفار أعداء الإسلام ، ووصف ما أعدّه الله من ثواب لمن يقاتل في سبيله ، والترهيب من التقاعد عن جهاد أعداء المسلمين ، وقد كان فتح القدس على يد "صلاح الدين" ودخول المسلمين المسجد الأقصى بعد أن لبث في يد الصليبيين مائة عام وحياً للخطباء ألهمهم البليغ من القول (3) .

ومن أهم تلك الخطب : الخطبة التي ألقاها "القاضي محيي الدين" (4) في المسجد الأقصى في أول صلاة للجمعة أقيمت فيه عقب دخول المسلمين بيت المقدس ، وكان السلطان

1 - المرجع السابق ص 115 .

2 - المرجع السابق ص 115 ، 116 .

3 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام محمد سيد كيلاني ص 69 ط. دار الفرجاني ط. الثانية 1404هـ - 1984م "بتصرف" .

4 - أبو المعالي محمد بن أبي الحسن . ولد بدمشق عام 550هـ وتوفي بها عام 598 هـ . وكان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب وغيرهما . وله النظم المليح والخطب والرسائل ، بولي القضاء بدمشق عام 588هـ . الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ص 71 "بالهامش" .

"صلاح الدين" حاضراً في هذه الصلاة . افتتح "القاضي محيي الدين" خطبته بهذه التحيات  
:"فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم  
مالك يوم الدين . الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ....." ،  
والخطبة هي : " الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومنزل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره  
، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قُدرَ الأيام دولاً بعده ، وجعل العقوبة  
للمتقين بفضلته ...." ، ثم قال : " أيها الناس : أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى  
والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة ، وَرَدَّهَا إِلَى  
مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت  
الذي أُنزِلَ الله أن يُرفع وأن يُذكر فيها اسمه..." ، ثم قال بعد الدعاء للخليفة " اللهم وأدمُ سلطاننا  
عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك  
اللامع ، والمحمي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك الممانع ، السيد الأجلَّ الملك الناصر ،  
جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدة الصليبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام  
والمسلمين ، مطهر البيت المقدس ، أبا المظفر يوسف بن أيوب ....." (1) .

#### (ب) - الرسائل

كانت الحروب الصليبية سبباً في ازدياد ثروة الأدب العربي من الرسائل زيادة كبيرة  
، وهذا أمر طبيعي ؛ فظروف الحرب حتمت على ملوك المسلمين أن يتبادلوا الرسائل المختلفة  
لطلب نجدة ، أو لشكر على إسداء معونة ، أو للبيشارة بفتح حصن أو مدينة ، أو تحذير من  
التهاون في الجهاد ، والتماس الوقوف للعدو بالمرصاد ، وقد كان "العماد الأصفهاني" ممن لازم  
"صلاح الدين" ، فكانت الرسائل تصدر على لسان السلطان بقلم العماد إلى مصر والعراق  
واليمن ، مُبَيَّنَةً بما فتح الله به على المسلمين من نصر ، وأفاء عليهم من خير (2) .

وهذا جزء من رسالة العماد إلى ديوان العزيز - ديوان الخلافة - ببغداد ، للبيشارة بفتح  
القدس : " قد سبقت البشائر بما منَّ الله به من الفتح العظيم ، والنصر العميم . والعرف الجسيم  
، والفضل الوسيم ، واليوم الأغر الكريم ، والشرف الذي ذخره الله لهذا العصر ليفضله على  
الأعصار ، وأراد تأخير فخاره إلى هذه الأيام ، ليكون بها تاريخ الفخار ، فقد أعجز الملوك من  
اقتضاء نصرته ، واقتضاض عذرتة . وخص من أجراه على يده بسمو قدره . ونمو قدرته وأعاد  
به القدس إلى قدسه ، وأظهره وطهره من رجز الكفر ورجسه . وقد رجع الإسلام الغريب إلى  
داره ، وخرج قمر الهدى به من سراه ، ..... " (3)

1 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام محمد سيد كيلاني ص 69 : 71 "بتصرف" .

2 - المرجع السابق ص 79 ، 80 "بتصرف" .

3 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام محمد سيد كيلاني ص 82 "بتصرف" .

# عصر الشعاعين

## أولاً : الحياة السياسية

عاش "أسامة بن منقذ" و"طلانغ بن رزيق" فى حقبة من أهم حقب التاريخ للأمم الإسلامية ؛ فهناك قوى أجنبية تعيث فى الشام فساداً وتوالى غاراتها عليه ، وهم الروم البيزنطيون ، وهناك الصليبيون الذين تجمعوا من مختلف أقطار أوروبا وأثروا إلى الشرق مستعمرين باسم الصليب ، وقد نجحوا فى الإستيلاء على بيت المقدس سنة 492 هـ أى بعد ولادة "أسامة" بأربعة أعوام وقد كتب الله له أن يشهد إجلاءهم عنها على يد "صلاح الدين" سنة 583 هـ .

يقول صاحب كتاب "البداية والنهاية" الإمام الحافظ "ابن كثير"<sup>(1)</sup> - رحمه الله - مفصلاً لنا أحداث هذا العصر السياسية : لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة سنتين وتسعين وأربعمائة ، أخذت الفرنج ، لعنهم الله ، بيت المقدس شرفه الله ، وكانوا فى نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا فى وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبرأوا ما علواً تتبيرا ، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليخربوا الملوك على الجهاد ، فخرج "ابن عقيل" وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا فى الناس فلم يقد ذلك شيئاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون<sup>(2)</sup> .

و عن أحداث سنة 493 هـ يقول "ابن كثير" : أقبل ملك الفرنج فى ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى مع أتاك دمشق الذى يقال له : أمين الدولة ، فهزم الإفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف ، وأكثرهم جرحى ، ولحقهم إلى "ملطية" فملكها وأسر ملكها ، وشه الحمد<sup>(3)</sup> ، وفى سنة 494 هـ "عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة"<sup>(4)</sup> .

وفى سنة 497 هـ قصد الفرنج لعنهم الله ، الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثنتى عشر ألفاً ، وقد أسر فى هذه الواقعة "بردويل" صاحب "الرها"<sup>(5)</sup> ، وفى سنة 503 هـ "أخذت الفرنج طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال ، وسبوا الحريم والأطفال ، وغنموا الأمتعة والأموال"<sup>(6)</sup> .

1 - ابن كثير : ( 701 - 774 هـ ) إسماعيل بن عمر بن كثير ، أبو الفداء عماد الدين : حافظ مؤرخ فقيه ، ولد فى قرية من أعمال بصرى الشام ، وتوفى بدمشق ، تأمل الناس تصانيفه فى حياته ، من كتبه "البداية والنهاية" ، و"شرح صحيح البخارى" ولم يكمله ، و"اختصار علوم الحديث" ، و"تفسير القرآن العظيم" ، وغيرها .  
الاعلام للزركلى 320/1 "بتصرف" .

2 - "البداية والنهاية" لابن كثير 649/650/6 "بتصرف" .

3 - المرجع السابق 652/6 "بتصرف" .

4 - المرجع السابق 654/6

5 - المرجع السابق 658/6 "بتصرف" .

6 - المرجع السابق 668/6

وفى سنة 513 هـ سارت الفرنج إلى مدينة "حلب" ففتحوها عنوة وملكوها، وقتلوا من أهلها خلقاً، فسار إليهم صاحب "ماردين" في جيش كثيف، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به، فقتل هنالك منهم مقتلة عظيمة<sup>(1)</sup>، وفى سنة 528 هـ اصطلاح الخليفة "المسترشد" و"عماد الدين زنكى" وفيها فتح زنكى قلاعاً كثيرة وقتل خلقاً من الفرنج<sup>(2)</sup>.

وفى سنة 539 هـ "أخذ العماد زنكى "الرّها" وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج، وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساءً كثيرة، وغنم أموالاً جزيلاً، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً"<sup>(3)</sup>.

ثم حدث أن حاصرت الفرنج وهم فى سبعين ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان فى خلق، لا يعلمهم إلا الله عز وجل، دمشق فخرج إليهم "مجير الدين" فى مائة ألف وثلاثين ألفاً، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً واستمرت الحرب مدة فاستغاث "مجير الدين" "نور الدين محمود" صاحب "حلب" وبأخيه "سيف الدين غازى"، صاحب "الموصل"، فقصداه سريعاً فى سبعين ألفاً بمن انضموا إليهم من الملوك وغيرهم، فلما سمعت الفرنج بقدم الجيش تحولوا عن البلاد، فلحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجمعوا غنيماً<sup>(4)</sup>.

وفى سنة 544 هـ غزا الملك "نور الدين محمود زنكى" صاحب حلب بلاد الفرنج، فقتل منهم خلقاً، وفتح شيئاً كثيراً من قلاعهم، والله الحمد<sup>(5)</sup>، ثم كانت الكرة للفرنج بعدها بعامين سنة 546 هـ حيث "اقتتل الفرنج وجيش نور الدين محمود فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق"<sup>(6)</sup>، وبعد ذلك بعامين "وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، فقتل الأتراك من جيشه خلقاً كثيراً بحيث صارت القتلى مثل التلؤلؤ العظيمة، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً"<sup>(7)</sup>.

وفى سنة 559 هـ استغاث "نور الدين" بعساكر المسلمين فجاءوا من كل فج ليأخذ ثأره من الفرنج، فالتقى معهم على "حارم" فكسرهم كسرة فظيعة وأسر "البرنس بيمند" صاحب إنطاكية، والقومص صاحب طرابلس، والدوك صاحب الروم وقتل منهم عشرة آلاف، وقيل: عشرين ألفاً<sup>(8)</sup>، وكان "طلائع بن رزيك" قد مات قبلها بثلاث سنوات.

1 - "البداية والنهاية" لابن كثير 684/6 "بتصرف".

2 - المرجع السابق 712/6 "بتصرف".

3 - المرجع السابق 728/6.

4 - المرجع السابق 734/6 "بتصرف".

5 - المرجع السابق 736/6 "بتصرف يسير".

6 - المرجع السابق 740/6.

7 - المرجع السابق 742/6.

8 - المرجع السابق 764/6 "بتصرف".

" وفي سنة 562 هـ أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، وساعدتهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد، فبلغ ذلك "أسد الدين شيركوه" فاستأذن الملك "نور الدين" في العودة إليها، فأذن له فصار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم، وإنما معه ألفا فارس، ففكروا في الرجوع إلى نور الدين، لكثرة الفرنج، ولكن أشار صلاح الدين بقتالهم فصاروا نحو الفرنج فاقتتلوا هم وإياهم قتالا عظيما فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة، وهزموهم، ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، والله الحمد" (1) .

" ثم كان فتح مصر على يدى الأمير أسد الدين شيركوه بعد طغيان الفرنج بالديار المصرية، وأمر الوزير شاور بإحراق مصر، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما" (2) وذلك سنة 564 هـ، ثم كان أعظم حدث سياسى وقع في هذا العصر، وكان الفاصل بين المسلمين والفرنج، حيث كان مقدمة لفتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدي الكفرة ففي سنة 583 هـ " كانت وقعة حطين والتي كانت أمانة وتقدمة إشارة لفتح بيت المقدس، واستنقاذه من أيدي الكفرة" (3) .

وأُسْدِلَ الستار على هذه الحقبة من التاريخ، وهى احتلال بيت المقدس، حيث استرده المسلمون بعد أن بقى بيد الصليبيين قرابة اثنين وتسعين عاماً، ثم مات بعدها بعام "أسامة بن منقذ" .

1 - "البداية والنهاية" لابن كثير 768/6، 769، "بتصرفا" .

2 - المرجع السابق 772 / 6 "بتصرفا" .

3 - المرجع السابق 852 / 6 .

## ثانياً : الحياة الاجتماعية

ظهرت خلال حقبة الحروب الصليبية عدة سمات و مظاهر اجتماعية بارزة في كثير من البلاد الإسلامية ومنها مصر والشام فكان من تلك المظاهر ومما يدعو إلى العجب: أنه في الوقت الذي حشد الكفر جنوده وجيش عياد الصليب الكفرة جيوشهم ليغتصبوا أرضاً ليست أرضهم ،وليدافعوا عن كفرهم ،فما كان حال المسلمين ،الذين من المفترض أن يدافعوا عن أرضهم و مقدساتهم ،وفوق كل ذلك عن إيمانهم وحقوقهم؟

"كان المسلمون يهربون من الحرب ويرغبون عنها وينفرون من حمل السيف ولكنهم لا ينفرون من حمل القلم ظانين أن الجهاد بالقلم يقوم مقام الجهاد بالسيف . فأخذوا يتقربون إلى الله مستعاضين عن جهاد الأعداء في ميادين القتال بتأليف الكتب في الرد على النصارى واليهود وأهل البدع والأهواء فلا غرو أن كثرت المؤلفات التي تتناول هذه الأمور، ومن المسلمين من كان يستبدل جهاد الأعداء بكثرة الصلاة والصيام ودوام الذكر والتسبيح، معتقدين أن هذا يقربهم من الله زلفى ويغنيهم عن متاعب الكفاح ومشاق القتال . وليطمئنوا على أنفسهم ويضمنوا سلامة ذواتهم من أضرار الحرب بعيدها وقريبها كانوا يهاجرون إلى مكة ويتخذون من الحرم ديراً يباشرون فيه نوعاً من الرهبانية ابتدعوها" (1) .

" هذا إلى أن الحالة الاقتصادية في مصر والشام بلغت درجة من السوء لم يسبق لها مثيل وذلك من جراء طول أمد القتال، فخربت مدن وأفقرت حقول من الزراعة وتعطلت الصناعة واختل الأمن وأصبح الناس عُرضةً للسلب والنهب ومصادرة الأموال بل عرضة للموت. وارتفعت أسعار الحاجيات ارتفاعاً فاحشاً حتى عجز الفقراء في أعوام كثيرة عن الحصول على ما يقيم أوّد حياتهم" (2) .

" وعلاوة على ما تقدم فإن الصليبيين حملوا معهم من أوروبا بعض الأمراض، فكانت الطواعين والحُميات تفكك بالناس فتكاً ذريعاً. كل هذه المصائب التي تراكمت على الناس والتي سببتها هذه الحروب السجال وكادت في الجمهور روح الحزن والاستسلام ،ونشرت بينهم الشعور بالعجز والضعف التام أمام هذه النكبات الجسام. فلجأوا إلى الله يدعونه أن يكشف عنهم الضرر، وإلى الرسول يستغيثون به على دفع ما حاق بهم من بؤس، وإلى الأولياء يسألونهم العون على قضاء الحاجات" (3)

1 - الحروب الصليبية وأثرها في الألب العربي في مصر والشام محمد سيد كيلالي ص44،43 .

2 - المرجع السابق ص47، 48 .

3 - المرجع السابق ص48، 49 .



" وطفق المسلمون بتأثير ما أصابهم من خطوب الحروب الصليبية ومصائبها يتكلمون عن القيامة وعلاماتها، والساعة وأشراطها، والشمس وطلوعها من مغربها، والدجال وظهوره وعيسى -عليه السلام - ونزوله. وقد كتبوا في ذلك الرسائل وأنشؤا المقالات ورووا القصص الخيالية عن يوم الموقف العظيم" (1)

" وقد عيّز "القاضي الفاضل" (2) عن فساد الحياة الاجتماعية عند المسلمين في تلك العصور، بقوله من رسالة إلى "صلاح الدين": "المملوك ينهى أن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه والامتثال لأمر شريعته، والمعاصي في كل مكان بادية، والمظالم في كل موضع فاشية، وقد طلع إلى الله تعالى منها ما لا يتوقع بعدها إلا ما يستعاذ منه..." ثم قال: "... بلغ المملوك من كل وارد منه مكاتبة ومخاطبة بأنه على صلة تقشعر منها الأجساد، وتتصدع بذكرها الأكباد، والمملوك لا يتعرض لتفصيل ما بلغه من ظهور المنكرات في أتباعه ( أي أتباع صلاح الدين)، وشيوع المظالم في ضياعه، وخراب البلد..." (3).

تلك كانت بعض السمات والملامح الاجتماعية السائدة في ذلك العصر وتلك المرحلة من الحروب الصليبية.

- 
- 1 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام - محمد سيد كيلاني ص 62 "بتصرف يسير".
  - 2 - محيي الدين، أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن، الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي، ولد سنة تسع وعشرين وخمس مئة، انتهت إليه براعة الترتيل وبلاغة الإنشاء، وله في ذلك الفن اليد البيضاء، ووزر للسلطان صلاح الدين بن أيوب، توفي بالقاهرة ليلة سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمس مئة. تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي 144/3 "بتصرف".
  - 3 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ص 57.

### ثالثاً : الحياة الثقافية

"لم يكن المسلمون المجاهدون ليهتفوا بالحرب، ويتسابقوا إلى السيف، ويُسكروا بأعنة الخيل، ويرابطوا بالنهار وبالليل، إلا وعقولهم قبل قلوبهم مؤمنة بأنهم إنما يذودون العدو عن بلادهم التي أختارها الله أن تكون وطناً للإسلام، وأرضاً يعيش عليها المسلمون وذراريهم إلى ما شاء الله" (1).

"ولقد كان على العربي الذي اندفع كالسيل يخوض الحرب، كان عليه قبل أن يخوض غمار هذه الحروب، ويضحى بنفسه وبماله في سبيلها، أن يدرك قيمة البلاد التي كُتِبَ عليه أن يحميها من العدو الخارجي، وأن يعرف مقدارها في نفسه وفي نفوس المسلمين من أمثاله، في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولكن كيف تيسرَ هذا الإدراك للأمة الإسلامية؟ ومن الذي أتاهم بهذه الطريقة القوية؟ أو من الذين قاموا بهذا الدور الخطير، وهو تعليم المسلمين درساً في القومية الإسلامية؟ لقد تيسرَ هذا كله للمسلمين عن طريق الدين، والذين قاموا بهذا الدور الخطير هم الفقهاء والعلماء المسلمون، وكانت الطريقة الوحيدة لتعليمهم هذا الدرس الجلل هي "الحديث" (2).

"ولا عجب أن يقوم الحديث وحده بهذه المهمة الكبيرة، وأن ينهض وحده بهذا العبء الثقيل؛ فقد نشبت الحروب الصليبية في عصر لا اعتبار فيه لغير الدين، ولا يصغى لغير الفقهاء المسلمين، ثم إن الحكومات الإسلامية نفسها في تلك العصور كانت تحفل بالحديث، وتتسابق في ابتناء المدارس الكبرى لتعليمه وتشجيعه. ويسجل التاريخ أن الملك "العادل نور الدين" كان أول من بنى داراً للحديث في دمشق، وأن ملوك الإسلام اقتدوا به في هذا الصنيع، فانبثت هذه المدارس في جميع أقطار العالم الإسلامي، ونبع في الحديث علماء كثيرون كانوا موضع إجلال الحكومات الإسلامية جمعاء، كما كانوا موضع تبجيل الشعب الإسلامي في كل مكان، وعليهم اعتمدت الحكومات في الدعاية للحرب" (3).

وقد قام الفقهاء والمُحذِّثون بواجبهم هذا كاملاً غير منقوص، في داخل مدارسهم، وعن طريق كتبهم التي نشروها بين الناس، وعلموهم بها دروساً شتى في الحياة والجهاد، وكما كتب العلماء رسائل في الجهاد والغزوية، واعتمدوا فيها على الكتاب والسنة، كذلك كتب العلماء رسائل أخرى في موضوع آخر، يتصل اتصالاً وثيقاً بالحروب الصليبية، ونعني به فضائل

1 - أدب الحروب الصليبية د. عبد اللطيف حمزة ص 240 ط. دار الفكر العربي ط. الأولى 1949 هـ .

2 - المرجع السابق ص 240 " بتصرف " .

3 - المرجع السابق ص 240، 241 " بتصرف " .

البلاد الإسلامية. وأهمها في ذلك الوقت الشام وبيت المقدس، ومصر. أما الحجاز واليمن والعراق، فلم تتجه إليها كثيراً هم العلماء، لا لشيء إلا لبعدها عن مناطق القتال الذي كان يدور بين المسلمين والصليبيين في تلك الحقبة (1) .

"فمن الكتب التي كتبها أصحابها في ذكر فضائل بيت المقدس كتاب "لقاسم بن عساكر" المتوفى عام 600 للهجرة، وعنوانه "الجامع المستقصى، في فضائل المسجد الأقصى"، والقاسم هذا هو ولد الامام المشهور "بابن عساكر" المتوفى عام 571 هـ صاحب كتاب "تاريخ دمشق" (2) .

وقد ازدهرت الحركة الأدبية من شعر ونثر في تلك الحقبة، وذلك أمر طبعي في ظل مرحلة حرب شرسة تحتاج إلى ما يُوقِدُ الحماسة ويستنهض الهمم من شعر ونثر، وقد سبق وأشرنا إلى ذلك في المبحث الأول من هذا التمهيد .

"والأدب الذي أنتجته هذه الحروب هو في جملة أدب عاطفي قوي تغذيه عاطفة الدين وعاطفة الجنس وعاطفة اللغة. فللحروب الصليبية الأثر البين في الأدب العربي نثره ونظمه" (3) .

---

1 - أدب الحروب الصليبية د. عبد اللطيف حمزة ص 241 "بتصرف" .

2 - المرجع السابق ص 242 "بتصرف" .

3 - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام - محمد سيد كيلاني ص 68 .

# الفصل الأول

"أضواء على حياة الشاعرين  
وثقافتهم"

"أسامة بن منقذ

نشأته وثقافته والعوامل المؤثرة

في شاعريته"

## أولاً : نشأته :

### أ - نسبه :

هو "أسامة بن مُرشد بن علي بن مُقَدِّد بن نصر بن مُقَدِّد بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن رغيث بن مكحول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يثرب بن يعرب قحطان" (1).

وقال عنه الذهبي: "ابن منقذ الأمير الكبير العلامة ، فارس الشام ، مجد الدين ، مؤيد الدولة ، أبو المظفر أسامة ابن الأمير مُرشد بن علي بن مُقَدِّد بن نصر ابن منقذ الكناني ، الشيزري" (2).

### ب - كنيته :

"أبو المظفر ، وهى أشهر كنية له ، وأبو أسامة ، وأبو الفوارس" (3) ، "ويلقب مؤيد الدولة ، مجد الدين" (4).

### ج - أسرته :

"بنو منقذ : أسرة مجيدة ، نشأ فيها رجال كبار ، كلهم فارس شجاع ، وكلهم شاعر أديب . وكانوا ملوكاً فى أطراف حلب ، بالقرب من قلعة شيزر ، عند جسر بنى منقذ المنسوب إليهم ، وكانوا يترددون إلى حماة وحلب وتلك النواحي ، ولهم بها الدور النفيسة ، والأمالك المثمنة ، وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر ، وكان ملوك الشام يكرمونه ، ويجلون أقدارهم ، وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم ، وكان فيهم جماعة أعيان رؤساء كرماء أجلاء علماء" (5).

"وحصن شيزر : قلعة قريبة من حماة ، على بعد خمسة عشر ميلاً منها ، ولم يزل قائماً إلى اليوم ، معروف باسم "سِجَر" تصحيف "شيزر" كما ذكر الأستاذ "فيليب حنّى" فى مقدمة كتاب "الاعتبار" (6).

1 - مقدمة لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ص 16، 17 تحقيق أحمد محمد شاكر ط. دار الكتب السلفية.

2 - سير أعلام النبلاء للذهبي 386/15 ط. المكتبة التوفيقية .

3 - مقدمة لباب الآداب ص 19 ، 20 "يتصرف يسير" .

4 - وفيات الأعيان لابن خلكان 196/1 تحقيق د. إحسان عباس .

5 - مقدمة لباب الآداب ص 17

6 - السابق الصفحة نفسها.

" ورأس هذه الأسرة وزعيمها :أبو المتوَج مُعَلَّد بن نصر بن منقذ ، الملقب "مخلص الدولة" ، مات بحلب في ذى الحجة سنة 450هـ وحُمِلَ إلى "كفر طاب" ، وكان الشعراء يقصدونه ويمدحونه ، ورثاه بعضهم بقصائد نفيسة ، منهم أبو محمد بن سنان الخفاجي مؤلف "سر الفصاحة" ، ثم ابنه :أبو الحسن علي بن مقلد - جَدَّ أسامة - الملقب "سيد الملك" وكان أديباً شاعراً ، وشجاعاً مقداماً ، قوى النفس كريماً ، مات سنة 475 هـ ، ثم ابنه أبو سلامة مرشد بن علي -والد أسامة- الملقب "مجد الدين" ولد سنة 460 هـ ومات يوم الإثنين 8 رمضان سنة 531 هـ . وكان فارساً شجاعاً ، ثابت الجنان عند البأس ، لا يرتاع ، صالحاً دائماً على مرضاة ربه ، ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الإفرنج ونسخ كتاب الله عز وجل ، وهو صائم الدهر مواظب على تلاوة القرآن . وكان مُغرماً بالصيد لهجاً به ، له فيه ترتيب لا نظير له ، فيما حكى ابنه عنه ، نسخ أكثر من أربعين مصحفاً بخطه . وحضر وقائع كثيرة ، وفي بدنه جراح هائلة ، ومات على فراشه " (1) .

" وكانت إمارة الحصن لأخيه الأكبر " نصر بن علي " فمات سنة 491 هـ عن غير عقب ، ولما حضرته الوفاة عهد بالإمارة إلى مرشد هذا فأبى زهداً فيها وقال : " والله لا وليئها ، ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها ... " ثم ولاها أخاه أبا العساكر سلطان بن علي ، وكان أصغر منه" ، وسلطان هذا لم يرزق أولاداً في أول أمره ، فاصطفى لنفسه ابن أخيه - أسامة بن مرشد - وكان يوليه عنايته ويعهد إليه بكثير من المهام ، ثم رزق أولاداً في آخر أمره ، فإظهار الثَّجَنِيِّ على أخيه وأولاد أخيه ، وكان في الأمر بعض الستر في حياة مرشد . وأما بعد وفاته فقد صارح سلطان أولاد أخيه العداء وأخرجهم من الحصن كرها في العام التالي سنة 532 هـ ، وكان هذا من فضل الله عليهم ، فنجوا من القتل تحت أنقاض الحصن في سنة 552 هـ " (2) .

#### د - مولده وحياته :

وَلِدَ أسامة يوم الأحد 27 جمادى الآخرة سنة 488 هـ ( يوليو سنة 1095 م ) بقلعة شيزر ، وقد حكى هو تاريخ ولادته في "الاعتبار" ، وقد نشأ في كنف أبويه وعمه وجدته ، وفي وسط أسرة من أعظم الأسر العربية ، أكثر رجالها فرسان محاربون من الطبقة الأولى ، وبعد ولادته بنحو سنتين بدأت الحروب الصليبية في بلاد الشام سنة 490 هـ ، ورباه أبوه على الشجاعة والقوة والرجولة ، ومَرَّته على الفروسية والقتال ، وكان يخرج معه إلى الصيد ، ويدفع به بين لهوات الأسود ، فأخرج منه فارساً كاملاً ، وسياسياً ماهراً ، ورجلاً ثابتاً كالرواسي ، لا تزعزعه الأعاصير ، ولا تهوله النكبات والرزايا ، فهو يقول عن نفسه بعد أن جاوز التسعين ، إذ يحكى بعض ما لقي من الأهوال : " فهذه نكبات تزعزع الجبال ، وتقبى الأموال ، والله سبحانه يعوِّض برحمته ، ويختم بلطفه ومغفرته . وتلك وقعت كبار

1 - مقدمة لباب الآداب ص 18 ، 19 "بتصرفا" .

2- السابق ص 19 "بتصرف يسير" .

شاهدتها ، مضافة إلى نكباتٍ نكبَّها ، سَلِمَتْ فيها النفس لتوقيت الأجل ، وأُجِجَتْ بهلاك المال " (1).

" ويقول أيضاً : " فلا يظن ظانٌ أن الموت يُقَدِّمُه ركوب الخطر ، ولا يُأخِّرُه شدة الحذر ، ففي بقائى أوضح مُتَّبِع ، فكم لقيتُ من الأهوال ، ونَقَصَتْ المخاوف والأخطار ، ولاقيتُ الفرسان ، وقتلتُ الأسود ، وضربتُ بالسيوف ، وطعنتُ بالرماح ، وجرحتُ بالسهام والجروح (2) - وأنا من الأجل في حصن حصين - إلى أن بلغتُ تمام التسعين ... فأنا كما قلت :

|                                 |                                   |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| مع الثماتين عاثَ الدهرُ فى جلدى | وساعنى ضعفُ رجلى واضطرابُ يدي     |
| إذا كتبتُ فخطى جِدُّ مضطربٍ     | كخطِ مرتشئ الكفين مُرتدٍ          |
| فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً   | من بعد حطم القنا فى لبّة الأسد    |
| وإن مشيتُ وفى كفى العصا ثقلتُ   | رجلى كأتى أخوض الوحل فى الجلد     |
| فقل لمن يتمنى طولَ مُدَّتِه     | هذى عواقبُ طول العمر والمُددِ (3) |

"ولما خرج أسامة من شيزر سنة 532 هـ أقام بدمشق نحواً من ثمان سنين فى رعاية صديقه وظهيره الأمير "معين الدين أنر" وزير "شهاب الدين محمود" ، حتى نُبِتَ به دمشق "كما تبتوا الدار بالكريم" ، فسار إلى مصر فدخلها يوم الخميس 2 جمادى الآخرة سنة 539 هـ قال : " فأقرتني الحافظ لدين الله - يعنى الخليفة الفاطمى عبد المجيد بن المنتصر بالله العلوى - ساعة وصولي ، فخلع علىّ بين يديه ، ودفع لى تحت ثياب ومائة دينار ، وخولنى دخول الحمام ، وأنزلنى فى دار من دور الأفضل بن أمير الجيوش ، فى غاية الحسن ، وفيها بُسُطها وفرشها ومرتبّة كبيرة وألثها من النحاس ، كل ذلك لا يستعاد منه شئ ، وأقمت بها مدةً فى إكرام وإحترام ، وإنعام متواصل " . ثم مات الخليفة الحافظ وولى الخلافة ابنه الأصغر (الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل) وكان عمره 17 سنة تقريباً ، ووثب على الوزارة سيف الدين أبو الحسن ( على بن السلال ) فخلع عليه الخليفة خلع الوزارة ، ولقبه ( الملك العادل). وأرسل ابن السلال "أسامة" فى مهمة حربية سياسية لدى ( الملك العادل نور الدين بن زنكى ) وبعد وقائع وحروب عاد إلى مصر باستدعاء ابن السلال ، ومكث فيها إلى سنة 549 هـ ثم خرج منها مكرها بعد قتل الخليفة الظافر . وقد وقعت فى مصر فى هذه السنوات الخمس مدة خلافته ( 544 - 549 ) أحداث وفتن كبار ، قتل فيها ابن السلال الوزير والظافر الخليفة. واتهم المؤرخون "أسامة" بأن له يدٌ فى قتلهما ، بل بأنه هو الذى حرَّضَ على هذه الجرائم المنكرة (4) .

1 - مقدمة لباب الآداب ص 19 ، 20 "بتصرف" .

2- من أدوات الحرب ترمى عنها السهام والحجارة ، والكلمة معربة عن التركية أو الكردية . السابق ص 20 "بالهامش" .

3 - السابق ص 20 ، 21 .

4 - مقدمة لباب الآداب ص 22 ، 23 .



ويرى الشيخ "أحمد محمد شاكر"<sup>(1)</sup> في مقدمته للباب الآداب أن "أسامة" برئ من كل هذه التهم ؛حيث يقول: "أن أسامة إنما اتهم بذلك إفتراءً واتباعاً للشائعات الكاذبة التي أشاعها ذوو الأغراض من الدسائسين .وأسامة حكى في الاعتبار تفاصيل هذه الحوادث ،والمقارء المنصف يتبين له أن الرجل برىء مما نسب إليه زوراً وبهتاناً "<sup>(2)</sup>.

"ذهب أسامة من مصر إلى دمشق فأقام بها مدة . ثم انتقل بأهله وولده إلى " حصن كَيْفَا " وأقام بها إلى أن أخذ السلطان صلاح الدين الأيوبي دمشق في ربيع الأول سنة 570 هـ ، وكان الأمير عضد الدين أبو الفوارس " مُرْهَف بن أسامة" جليس صلاح الدين وأنيسه ، ولم يزل مشغولاً بذكر أسامة ، مشتهراً بإشاعة نظمته ونثره ، فاستدعاه إلى دمشق ، وهو شيخ قد جاوز الثمانين . ومكث أسامة في دمشق إلى أن مات بها ليلة الثلاثاء 23 رمضان سنة 584 هـ ( نوفمبر سنة 1188 ) فعاش رحمه الله سنة وتسعين عاماً ، وشهرين ، وخمسة وعشرين يوماً بالحساب الهجري ، وأخباره رضى الله عنه - كثيرة ، وآثاره عظيمة . حكى منها كثيراً في كتابه (الاعتبار) "<sup>(3)</sup> .

## ثانياً : ثقافته :

كان "الأسامة بن منقذ" ذخيرة عظيمة من الثقافة قد يصعب علينا حصرها ،ولكن يمكن لنا أن نستشعر ما كان يحويه من ثقافة بين جنباته من خلال بعض أقوال العلماء الأعلام عنه ،وثناؤهم عليه ، " فهذا هو الإمام "الذهبي" يصفه في تاريخ الإسلام: " أحد أبطال الإسلام ، ورئيس الشعراء الأعلام " . وقال ياقوت في معجم الأنبياء : " وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء ، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم " . وقال العماد الاصبهاني الكاتب : " وأسامة كاسمه ، في قوة نثره ونظمه ، يلوح من كلامه أماراة الإمارة ، ويؤسس بيتاً قريضه عمارة العبارة ، حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، ندى الندى بماء الفكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة ، معتدل التصارييف ، مطبوع التصانيف " ، وقال أيضاً : " هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء ، والكرماء الكبراء ، والسادة القادة العظماء . وقد متعه الله بالعمر وطول البقاء . وهو من المعدودين من شجعان الشام ، وفرسان الإسلام ، ولم تزل بنو منقذ ملاك شيزر ، وقد جمعوا السيادة والمفخر ... وكلهم من الأجواد الأمجاد . وما فيهم إلا ذو فضل وبذل ، و إحسان

1 - أحمد محمد شاكر(ت1377- 1958 هـ) :أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ،من آل أبي علياء ، يرتفع نسبه إلى الحسين بن علي ، عالم بالحديث والتفسير ،مصرى .مولده ووفاته في القاهرة وليواه من بلاد "جرجا" بصعيد مصر .كان قاضياً سنة 1951م ورئيساً للمحكمة الشرعية العليا .أعظم أعماله "شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل"،"عدة التفسير".ولم يخلفه مثله في علم الحديث بمصر . الأعلام للزركلي 253/1 "بتصرف" .

2 - السابق ص 23 "بتصرف يسير" .

3- السابق ص 23 ، 24 . "بتصرف" ، وينظر تاريخ وفاته في الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي 394/2 ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

وعدل .وما منهم إلا مَنْ له نظم مطبوع ، وشعر مصنوع ، ومن له قصيدة وله مقطوع . وهذا مؤيد الدولة أعرقهم في الحسب وأعرفهم بالأدب " (1) .

وما كان هذا الثناء الوافر على "أسامة بن منقذ" من فراغ ؛ولكن كان نتاجاً طبيعياً لنشأة ثقافية عربية ، " فلم يكتفِ أبوه بتربيته الحربية ، بل كان يحضر له الشيوخ الكبار ليعلموه هو وإخوته ،فسمع الحديث من الشيخ الصالح أبي الحسن على بن سالم "السَّيْسي" فى سنة 499هـ كما فى تاريخ الإسلام للذهبي ،وقد روى عنه حديثاً فى أول (لباب الآداب ص 1) . وكان يؤديه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف "بابن المنيرة" المتوفى سنة 503هـ وقرأ علم النحو قريباً من عشر سنين على الشيخ العالم أبى عبد الله " الطَّيْطَلِى " النحوى ، وكان فى النحو سيويوه زمانه . والتوسع فى علم النحو هذه السنين الطويلة يستدعى كثرة الاطلاع على الشعر القديم ،وعلى غريب القرآن وتفسيره وعلى علوم البلاغة وما يتبعها . وكان أمراء بنو منقذ ممن يقصدهم الأدباء والشعراء ، يمدحونهم ويسترفدونهم ، وكانوا هم أيضاً علماء شعراء ، فاقْتَبَسَ "أسامة" من هذا المجتمع الأدبى الذى نشأ فيه أدباً جمّاً وعلماء واسعاً ، وحفظ كثيراً من الشعر القديم ، فقد نقل الذهبي فى تاريخ الإسلام عن الحافظ أبى سعد السمعاني قال : " قال لى أبو المظفر - يعنى أسامة - أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية " (2) .

وهنا يرد الشيخ "أحمد محمد شاكر" على شبهة قد أثارها الأستاذ "فيليب حتى" فى مقدمة الاعتبار عن قول "أسامة" السابق وحفظه عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية ، فيقول الشيخ: " ينشر الأستاذ "فيليب حتى" سحابة من الشك على هذه الرواية فى ترجمته للمؤلف ويقول : الراجح أنه لم يتصل بجبل أسامة هذا المقدار من الأبيات ، وأظنه - والكلام للشيخ أحمد محمد شاكر - لو أطلع اطلاعاً واسعاً على ما بين أيدينا الآن من الشعر المنسوب لشعراء الجاهلية ، ونظر إلى ما فقد من كتب الإسلام ، وأثار العلماء والحفاظ، فى الحروب الصليبية ،وفى هجوم النتر على البلاد الإسلامية ، ثم فى الفتن والأحداث ثم ما أخذته أوروبا من الكتب - بعد أن خرجت باحتكاكها بالمسلمين من ظلمات الجهالة إلى نور العلم - إما بالشراء وإما باختلاسها وإنتهاهاها :- لو نظر إلى هذا كله لم يكن لديه أى شك فى أن الشعر الجاهلى كان أكثر مما حفظ أسامة " (3) .

ومما يوضح لنا مدى نبوغ "أسامة" الأدبى ؛ما نقله الحافظ "ابن عساكر"(4) فى تاريخه قوله: "اجتمعت به بدمشق وأنشدنى قصائد من شعره سنة 558هـ وقال لى أبو عبد الله محمد

1 - مقدمة لباب الآداب ص 24 "بتصرف" .

2 - السابق ص 21 .

3 - السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

4 - الإمام العالم الحافظ ابى القاسم على بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعى المعروف بابن عساكر 499 هـ - 571 هـ صاحب تاريخ دمشق تهذيب سير اعلام النبلاء للذهبي 81/3 هـ.هـ "أحمد فايز الحمصي" ط.مؤسسة الرسالة بيروت ط. الأولى 1412هـ-1991م .

بن الحسن بن الملحى إن الأمير مؤيد الدولة أسامة شاعر أهل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر ، متصرف فى معانيه لاحق بطيقة أبيه . ليس يستقصى وصفه بمعان ، ولا يعبر عن شرحها بلسان . قصائده الطوال لا يفرق بينها وبين شعر ابن الوليد ، ولا ينكر على منشدها نسبتها إلى لبيد ، وهى على طرف لسانه بحسن بيانه ، غير محتفل بطولها ، ولا يتعثر لفظه العالى فى شئ من فضولها ، وأما المقطعات فأحلى من الشهد ، وأثمن من النوم بعد طول السهد فى كل معنى غريب وشرح عجيب " (1) .

" وقد سمع منه من الكبراء الأجلاء : الحافظ أبو سعد "السمعانى" عبد الكريم بن محمد ( 506 - 562 هـ ) وهو صاحب كتاب " الأنساب " ، والحافظ " ابن عساكر " وهو أبو القاسم على بن الحسن ( 499 - 571 هـ ) صاحب تاريخ دمشق ، والعماد الكاتب الأصبهاني ، واسمه محمد بن محمد بن حامد ( 519 - 597 هـ ) ، والحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى ( 541 - 600 هـ ) وغيرهم " (2) .

#### مؤلفاته :

ومما يعد من أكبر الدلالات على سعة وغزارة ثقافة "أسامة ابن منقذ" ؛ ما خلفه لنا من تراث عريق من مؤلفات نقلها لنا المؤرخون ، وجمعها العلامة "أحمد محمد شاكر" فى مقدمته لكتاب " لباب الآداب " الذى قام بتحقيقه وهى : "

- 1 - ( لباب الآداب ) ألفه وهو ابن إحدى وتسعين سنة كما ذكر فى آخره .
- 2 - ( الاعتبار ) وهو كتاب طريف فى سيرته وأحواله ، وألفه وهو ابن تسعين سنة .
- 3 - ( البديع فى نقد الشعر ) وهو كتاب جمع فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر .
- 4 - ( التأسى والتسلى )
- 5 - ( الشيب والشباب )
- 6 - ( النوم والأحلام )
- 7 - ( أزهار الأنهار ) ذكره صاحب كشف الظنون .
- 8 - ( التاريخ البدرى ) جمع فيه أسماء من شهد بدرًا من الفريقين ، ذكره الذهبى .
- 9 - ( التجائر المربحة والمساعى المنجحة )
- 10 - ( كتاب القضاء )
- 11 - ( تاريخ القلاع والحصون ) .
- 12 - ( نصيحة الرعاة ) .
- 13 - ( أخبار النساء ) .

1 - تاريخ دمشق لابن عساكر 91/90/8 ، دراسة وتحقيق علي شيري ، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .  
2 - مقدمة لباب الآداب ص 25 "بتصرف يسير" .

- 14- ( كتاب المنازل والديار ) .
- 15 - ( أخبار البلدان ) فى مدة عمره . ذكره الذهبى .
- 16 - ( ذيل يتيمة الدهر ) .
- 17 - ( ديوان شعره ) ذكره "ابن خلكان" ، وذكر أنه فى جزأين وأنه رآه بخط "أسامة" ونقل منه .
- 18 - ( كتاب فى أخبار أهله ) " (١) .

## ثالثاً : العوامل المؤثرة فى شاعريته :

### 1 - نشأته العلمية :

" إلى جانب النشأة التى نشأها "أسامة" والتى تعدُّ للحرب والنضال -كما سبق عند الحديث عن نشأته - ، تلقى "أسامة" الثقافة التى كان يتلقاها الأمراء فى ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب وافٍ ، يشهد له بذلك كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، وما أثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومنثور ، وما اقتنيسه من شعر السابقين ، وما أورده فى شعره من ألفاظ لغوية استعملت فى معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجرى إلا على أقدام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التى عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بنى منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيراً من أشعار أبيه وأعمامه " (٢) .

### 2 - كثرة اطلاعه على الشعر القديم :

كان "أسامة" كثير الاطلاع على الشعر القديم ، وكان يضمه بعض قصائده ، حتى اتهمه بعض سامعى شعره بالسرقة من غيره" (٣) ، ولم يكن كثير الاطلاع فقط ببل والحفظ أيضاً ، فقد حفظ كثيراً من الشعر القديم ، وقد نقل الحافظ "الذهبي" فى "سير أعلام النبلاء" عن الحافظ أبى سعد "السمعاني" قال : "ذكر لى - يعنى أسامة - انه يحفظ من شعر الجاهلية عشرة آلاف بيت" (٤) .

- 
- 1 - مقدمة لباب الاداب ص 25، 26، 27 "بتصرف" .
  - 2 - مقدمة ديوان "أسامة بن منقذ" ص 2 تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، د. حامد عبد المجيد "بتصرف" .
  - 3 - السابق ص 12 .
  - 4 - سير أعلام النبلاء للذهبي 386/15 برقم (233) ط. المكتبة التوفيقية "بتصرف يسير" .

### 3 - الأحداث الكبرى التي مر بها :

" وجدت الأحداث الكبرى التي مرت بأسامة صداها في شعره ، وصوّر آثارها في نفسه تصويراً قوياً ، ولعل من أقوى هذه الآثار عمقاً في نفسه، اضطرابه إلى أن يفارق وطنه الأول: شيزر ، الذي شهد مدارج طفولته، وملاعب صباه ، وملاهي شببته. وقد وجد "أسامة" البقاء في هذا الوطن ، شقاء لا يطيقه، بعد أن جفاه عمه ، فكتب إلى أبيه قصيدة ، يحدثه فيها عما يعتلج في صدره من الهم ، ويشكو له ما كدّر صفاء عيشه من الغدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له:

أشكو إلى عليك هما ضاق عن      كتمانته صدرى ، وما هو ضيق  
وطوارقاً للهم ، أقرىها الكرى      وتلظّ فى صباحا ، فما تتفرق " (١).

### 4 - كثرة المعارك التي خاضها :

من أهم العوامل المؤثرة في شاعرية "أسامة" : كثرة خوضه للمعارك ؛ فشاعرنا كان من الفرسان الأفاذا، ومن أعلام الشجاعة ، يجمع إلى الفروسية والبطولة الشعرَ وسحر البيان ، ولم يكن "أسامة" محارباً عادياً وإنما كان قائداً وأميراً ، ولّد وترعرع في ساحات المعارك وشب وشاب على السيف والرمح والفرس ، وفي ذلك يقول: (٢)

لخمس عشرة نازلتُ الكُماة إلى      أن شبتُ فيها ، وخيرُ الخيل ما قرَحَا

فقد كان "أسامة" بطل عظيم في حروب عصره ، وكان لهذا كبير الأثر في كثير من إنتاجه الشعري ؛ فيصف شجاعته وشجاعة المسلمين ، ويذكر تنكيله وتنكيل المسلمين بالإفرنج وكسر شوكتهم ، ويفخر بذلك فخراً يُحلقُ به في عنان السماء ، ثم يصف خيول المسلمين القوية الماهرة ، وسيوفهم البتارة ورماحهم وسهامهم النافذة إلى صدور الأعداء ، وجيوشهم التي يؤجج نار حميتها الإيمانُ وحب الجهاد في سبيل الله.

### 5 - حياته بمصر وعلاقته بالوزير " طلائع بن رزّيك " :

من العوامل التي كان لها تأثير وصدى في شعر "أسامة" : تلك المدة التي عاشها بمصر ؛ فقد مر عليه بها من تقلبات الزمان ، وعبر الأيام ، وتنتقل الملك والسلطان ما أثر في أشعاره .

1 - مقدمة ديوان "أسامة بن منقذ" ص 13 "بتصرف".

2 - ديوان "أسامة" ص 209 .

، "ولعلّ الأزمات السياسية التي مرّت به في مصر ، كانت تملأ صدره بالهم حيناً ، والنقمة على الزمن الذي دفع به إلى مصر ، فيقول :

يا مصر ، ما درت في وهمي ولا خلدي      ولا أجالتك خلواتي بأفكاري  
ما أنت أوّل أرض مسّ تربتها      جسمي ، ولا فيك أوطاني وأوطاري  
لكن إذ حمت الأقدار كان لها      قوى تؤلف بين الماء والنار " (١) .

"ولكن أسامة برغم هذه الأزمات وجد في مصر ما كان يصبو إليه: من مال ومجد، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلتت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يرتجي الـ      أمل: من رفعة ومال وجاه  
فاستردت ما خولتني ، وما أسـ      ررع نقص الأمور عند التناهي!  
كنت فيها ، كائنني فسي منام      زال منه ما سر ، عند انتباهي " (٢) .

وكانت علاقته بالوزير المصري "طلّاح بن رزيك" لها أثرٌ كبيرٌ في أشعاره ؛ فقد دارت بينهما كثير من المراسلات الشعرية المشهورة في كثير من المناسبات .

## 6 - كثرة ترحاله :

" كان لكثرة الترحال أثره في شعر "أسامة" ، فكثيراً ما شكّا الفرقة والاعتراب ، وكثرة جوبه البلاد ، وتحسّ في هذا الشعر لوعة الحرمان ، وألم الشوق إلى الوطن المفارق ، والأل الغائبين ، فتسمعه يقول:

أهكذا أنا باقى العمر مغترباً      ناء عن الأهل والأوطان والسكن  
لا تستقرّ جيادى فى معرّسها      حتى أروّعها بالشنّ والظنّ

ويقول :

أين السرور من المروّع بالنوى      أبداً ، فلا وطن ولا خلان  
عيد البرية موسم لعويله      وسرورهم فيه له أحزان  
وإذا رأى الشمل الجميع تراحمت      فى قلبه الأمواه والنيران

1 - مقدمة ديوان "أسامة بن منقذ" ص 15 " ينصرف" .

2 - السابق ص 16 " ينصرف" .

فكان هذا الرحيل الدائم ، مصدر ألم لأسامة ، يُورِّق حياته ، ويُغصّ عليه عيشه ، وكان له أثره فى مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه عن الوداع والفراق<sup>(١)</sup> .

#### 7 - تبدد ثروته :

" كما كان لتبدد ثروته - نُهبَ بعضها عقب الحوادث التى جرت بعد مقتل الظافر ، وغرق بعضها فى البحر عند خروج أسرته من مصر - أثره البالغ من نفسه ، وأثره القوى فى شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح ، وطلب منه المعونة ، فقال له :

أنا أشكو إليك دهرأ لحى عو      دى ، وأعره ، فهو ببس سليب  
وخطوباً رمى بها حادث الدهر      ر سوادى ، وكلهن مصيب  
أذهبت تالدى وطارفى الطـ      ارى،فضاع المورث،والمكسوب  
فهو شطران بين مصر وبحر      ذا غريق فى ، وذا منهوب  
ويظهر أن الفقر قد عضته بنابه حيناً من الدهر ، حتى رأينا يصف نفسه بأنه لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائله الذين يهرعون إليه ، طائنين فيه الغنى واليسار :

ولكنّ مستورى كظاهر حالهم      فما حيلتى؟ والحظ حرب الفضائل " (٢) .

#### 8 - كارثة زلزال شيزر وهلاك أهله :

كان لهذه الكارثة أبعاد الأثر فى شعر أسامة ؛ " فقد ذهب بملك أهله وبأهله ، فأخذ بيكيهم ، ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه من بعدهم ، ويمدح ما انتصفا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال. قال "أسامة" من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ، وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسى ، فلا يجد أسوة يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمنّ ، وإذا      أفردت بالرّزء ما أنفك أسوانا  
ما استدرج الموت قومي فى هلاكهم      ولا تخرمهم مثنى ووحدا  
فكنت أصبر عنهم صبر محتسب      وأحمل الخطب فيهم، عز أو هانا  
واقنتدى بالورى قبلى ، فكم فقدوا      أخاً ، وكم فارقوا أهلاً وجيرانا<sup>(٣)</sup> .

1 - مقدمة ديوان "أسامة بن منقذ" ص 17 .

2 - السابق ص 17 ، 18 .

3 - السابق ص 18 ، 19 "بتصرف" .

## 9 - علو سنه وطول عمره :

نجد جانباً كبيراً من أشعار "أسامة" قد كُتِبَ في كبره ، ولذلك نجد أثر هذا في تلك الأشعار ، فهو غالباً ما " يوازن بين ضعفه اليوم ، وقوته في عهده السالف ، فقد كانت كفه مألفاً للسياق والرمح ، فصارت تحمل العصا يمشى بها كما يمشى الأسير مثقلاً بالكبل ، فيها هو يقول عند السبعين :

رجلاى والسبعون قد أوهنت  
وكننت إن ثوب داعى الوغى  
قواى عن سعى إلى الحرب  
لبيتّه بالطعن والضرب " (١) .

## 10 - اعتزازه بنفسه وأسرته :

" كان "أسامة" شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأسرته ، شديد الثقة بصبره وثباته وتجربته، وكان ذلك كله ينبوع فخره في شعره، فمما قاله مفتخراً بشجاعته:

لخمس عشرة نازلت الكُماة إلى  
أخوضها، كُشَّهَابُ الْقَذْفِ مَبْتَسِماً  
بصارم من رآه في قتام وغى  
أعدو لنار الوغى في الحرب، إن خمدت  
فسل كُماة الوغى عنى ؛ لتعلم كم  
أن شبتُ فيها ، وخيرُ الخيل ما قرَحَا  
طلق المحيا ، ووجه الموت قد كَلَحَا  
أفرى به الهام ، ظن البرق قد لمحا  
بالبيض في البيض والهجمات مقتدحا  
كرب كُشِفَتْ ، وكم ضيق بى انفسحا " (٢) .

1 - مقدمة ديوان "أسامة بن منقذ" د. أحمد أحمد بدوى ص 19، 20 "بتصرف" .

2 - السابق ص 28.



" طلائع بن رُزَيْك

نشأته وثقافته والعوامل المؤثرة

في شاعريته "

## أولاً : نشأته :

### أ - نسبه :

هو " طلائع بن رزّيك الأرمني المصري الرافضي" (1) .

### ب - كنيته :

" أبو الغارات ، ويلقب بالصالح ، والملك الصالح ، " (2) .

### ج - مولده وحياته :

" ولد سنة خمس وتسعين وأربعمائة وسط أسرة كانت تسكن في صقع عظيم واسع يسمى —أرمينية(3)— وحاكمها يومئذ السلطان "بركيا روق" السلجوقي بعد أن التقى مع أخيه "محمد شاه" وهزمه "بركيا روق" فتوجه "محمد شاه" إلى "أرمينية" وأخلاق ثم عاد إلى تبريز في جمادى الآخرة من عام 496هـ ومضى بركيا روق إلى زنجان ، ووقع بينهما في الآخر الاتفاق على شيء فعوله وهي السنة التي حكم في أولها "المستعلي أحمد" ثم "الأمر" ولده"(4) .

"وُلِدَ وزير الأدباء وأديب الوزراء: طلائع في ذلك الصقع العظيم بجماله والجميل بمناظره الطبيعية وغاباته الكثيفة الممتدة الأطراف ، وبعد قطعه واجتيازه مراحل الطفولة والصبي رغب والده في تربيته وجُدَّ وعمل على تعليمه وتهذيبه فهياً له من إلّتزام رعايته وتكفّل تربيته وتعهّد تأديبه وتعلمه ؛ فنشأ وفي جنبه رغبة مُلِحّة للعلم،وحبا عظيماً للأدب"(5) .

" توجه"طلائع" إلى مصر والخلافة الفاطمية آخذة أوج عظمتها وازدهارها ، وبعد أن بلغها إنثدبٌ للعمل وإدارة إحدى شئونها التحريرية وأبدى الإخلاص في عمله ، كما أخذ يعمل ويظهر ما يقربه إلى رجال البلاط ويسترعى انتباههم مما دفع الخليفة الفاطمي بإصدار قرار وسجل في تعيينه والياً على — قوص — وهي مدينة واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل في الصعيد الأعلى ،ومن ثم والياً على —أسوان - وهي من المدن المصرية القديمة ،واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل بالقرب من الشلال الأول الذي يعلوه قناطر خزان، وكانت هذه المدينة مشهورة بحركتها التجارية بين مصر وبلاد النوبة والسودان ، وخلال تولّيه على هاتين

1 - سير أعلام النبلاء للذهبي 15 / 161

2 - السابق الصفحة نفسها " بتصرفاً".

3 - أرمينية :مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان بينها وبين البحيرة نحو ثلاثة أميال أو أربعة . "ديوان طلائع" ص55

4 - السابق ص55 "بتصرفاً" .

5 - السابق الصفحة نفسها "بتصرفاً" .

المدينتين قام بمهمات وأعمال حسنة عاد نفعها للدولة والشعب ، ولم تكد تمضى على ولايته لأسوان مدة حتى قرر أن يدخل -الصعيد المصرى- تحت ولايته ويخضع لإمرته فزادت صلته بالوزراء والأمراء ورجال القصر" (1) .

"ولما قُتل الظافر، نفذ آل الظافر وحرمه إلى "ابن رزيك" كتباً مسخمة في طيها شعور أهله مقصوفة يستفرونه ليأخذ بالثار ، فحشد وجمع ، وأقبل ، واستولى على مصر . ولما مات الفائز ، أقام العاضد ، وكان الحل والعقد إلى الصالح ، وكان العاضد محتجباً عن الأمور لصباه ، واغتر الصالح بطول السلامة، ونقص أرزاق الأمراء ، فتعاقدوا على قتله ، ووافقهم العاضد ، وقرر قتله مع أولاد الداعى ، وأكمنهم فى القصر فشدوا عليه ، وجرحوه عدة جراحات ، فبادر مماليكه ، وقتلوا أولئك ، وحمل ، فمات ليومه فى تاسع عشر من رمضان سنة ست وخمسين وخمسائة" (1) .

### ثانياً : ثقافته :

"بعد أن اجتاز "طلائع" مراحل الطفولة والصبى رغب والده فى تربيته وجدّ وعمل على تعليمه وتهذيبه فيها له من إلترام رعايته وتكفل تربيته وتعهّد تأديبه وتعلمه، فنشأ وفى جنبه رغبة ملحّة للعلم ، وحباً عظيماً للأدب فكان يسرف فى المطالعة والبحث ويغشى الندوات الأدبية السائدة فى ذلك الحين ليقضى أرب مشاعره من العلم والتفقه والأدب ، وربما عمد إلى العمل فى الحقول والغابات ، يحاول بذلك أن يعمل إلى جنب والده ويصنع ما يصنعه ، ولكنه لا يلبث حتى ينطلق تحت ستار الظلمة إلى حيث يلقي نفسه فى زاوية للمطالعة ، ورغبته القوية فى طلب العلى جعلته يتغيب عن بلده ، حيث يقصد البلاد النائية فى طلب الحديث والفقه ، ويأخذ على نفسه ويلزمها بحفظ الكثير من القصائد والشعر العربى الذى يقف عليه خلال تنقلاته بين الكتب وخزائنها وانتهى به الحال أن يتقشف ويتزهد فى الدنيا ويعيش عيشة المعوزين" (3) .

"ومع افتقاره للمال واحتياجه الشديد إليه لم ينفك يقرأ ويبحث فى طيات الكتب ويصبر على الجوع ما وسعه الصبر ، وراح يجوب البلاد ويجتمع بأهل العلم وأئمة الفقه ويبحث معهم ويناقشهم فى مسائل شتى وينأظرهم عليها فيفيض ويشرح وجهة نظره ويسرد الأمثلة ويبسط الحجج فى لهجة المتمكن القادر ، وفى الوقت نفسه يبرز أقصى ما لديه من تفقه فى الأحكام والمواضع التشريعية فيما يتشقق إليها الحديث" (4) .

1 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادى الأمينى ص 8، 9 "بتصرف" .

2 - سير أعلام النبلاء للذهبي 161/15 "بتصرف" .

3 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادى الأمينى ص 6، 5 "بتصرف" .

4 - السابق ص 6 "بتصرف" .

ولقد أثنى كثير من العلماء والمؤرخين على شخصية "طلائع" وسعة ثقافته فيقول ابن العماد الحنبلي: "كان أديباً شاعراً فاضلاً شيعياً جواداً ممدوحاً" (1).

"ويقول عنه المقريزي "كان شجاعاً، كريماً، جواداً، فاضلاً، محباً لأهل الأدب، جيد الشعر، رجل وقته: فضلاً، وعقلاً، وسياسة وتدبيراً" (2).

"وقال شمس الدين بن خلكان المتوفى سنة 681 هـ: كان فاضلاً سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء، محباً لأهل الفضائل جيد الشعر، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين" (3).

### ثالثاً : العوامل المؤثرة في شاعريته :

#### 1 - البيئة التي نشأ فيها :

من أهم العوامل المؤثرة في شاعرية "طلائع" نشأته في بيئة وطبيعة جميلة خلابة ؛ فقد نشأ "طلائع" في صقع عظيم واسع يُسمى -أرمينية-، وهذا الصقع الجميل بجباله ومناظره الطبيعية، وغاباته الكثيفة الممتدة الأطراف أورثه حساً مرفهاً وروحاً شاعرية جميلة كجمال الطبيعة التي نشأ فيها .

#### 2 - ثقافته :

"نشأ طلائع في أسرة محبة للعلم ؛ فلم يهمل والده تعليمه ؛ فلقد رغب في تربيته وجد وعمل على تعليمه وتهذيبه ؛ فهيا له من التزام رعايته وتكفل تربيته وتعهده تأديبه وتعلمه ؛ فنشأ وفي جنبه رغبة ملحة للعلم، وحبا عظيماً للأدب ؛ فكان يسرف في المطالعة والبحث ، ويغشى الندوات الأدبية السائدة في ذلك الحين" (4)، وهذا بلا ريب أثرٌ في صقل موهبته الشعرية وظهورها .

#### 3- طموحه وتطلعاته الأدبية :

لم يكتف "طلائع" بأن يكون واحداً ممن تعلموا العلم والأدب وأخذوا منه بنصيب وافر ، ولكنه "كانت لديه رغبة ملحة وقوية في أن يكون واحداً من رجال الأدب وأساطين العلم ،

1 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادي الأميني ص-37 .

2 - مقدمة "ديوان طلائع" د.أحمد أحمد بدوي ص 24،25 "بتصرف" .

3 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادي الأميني ص-36 .

4 - السابق ص 6،5 "بتصرف" .

فهو يريد أن يكون رجل مجتمعات علمية يشار إليه في المنتديات الأدبية والجمعيات العلمية ، ويريد أن يكون حديث مجالس ينصت إليه ذوو المكانة ويصفه التاريخ بأحسن أوصافه من النبل والتعذيب والظرف واللباقة<sup>(1)</sup> ؛ هذا مما جعله يهتم بأمر الشعر والشعراء ونشأت لديه رغبة في أن يكون شاعراً مقلداً يشار إليه بالبنان .

#### 4 - عقيدته :

" كان الصالح على مذهب الشيعة الإمامية " (2) ، بل إنه كان من مغالاة الشيعة ؛ " فقد نشأت في نفسه روح العقيدة والولاية والتفاني في ولاء أئمة الدين ، ونشر مآثرهم والدفاع عنهم بغمه وقلبه ونظمه ونثره " (3) ، فله قصائد كثيرة في ديوانه جعلها خاصة بمدح أهل البيت وذكر مناقبهم ومآثرهم ، كما أنه رثاهم رثاءً حاراً أظهر فيه لوعته وحزنه وألمه عليهم ، كما أنه استخدم شعره في الدعوة إلى مذهبه الشيعي ، فمن شعره الذي يدل على شدة لولته لأئمة مذهبه وأهل البيت قوله<sup>(4)</sup> :

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| فلمست أبيع وذهم بدنيا  | تسح على أنواع العطاء    |
| ولو بعت اليقين بهم بشك | لكان حقيقة الداء العياء |
| فلى نسبان من رزيك بدؤ  | وثان بانتسابي للولاء    |

وفي مدحه لأهل البيت ودفاعه عنهم يقول<sup>(5)</sup> :

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| لساني رطب بالثناء عليهم  | وفي ظالميهم فهو غضب المضارب |
| يخيل لي لما امتدحتهم غلا | بأني بهم أختال فوق الكواكب  |
| وحبي لهم آل العباء لأنهم | برينون من كل الخنا والمعائب |

ومن شعره الذي يدل على تشييعه ومغالاته في التشيع قوله<sup>(6)</sup> :

|                             |                       |
|-----------------------------|-----------------------|
| أنا من شريعة الامام (علي)   | حرب أعدائه وسلم الولي |
| أنا من شريعة الامام الذي ما | مال في عمره لفعل دني  |
| أنا عبد لصاحب الحوض ساقلي   | من توالي فيه بكأس روي |
| أنا عبد لمن أبان لنا المشكل | فارتاض كل صعب أبي     |

1 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادي الأميني ص 6 "بصرف" .

2 - مقدمة "ديوان طلائع" د. أحمد أحمد بدوي ص 23 .

3 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادي الأميني ص 7 "بصرف" .

4 - "ديوان طلائع" محمد هادي الأميني ص 52 .

5 - السابق ص 54 .

6 - السابق ص 171 .

والذي كسرت ملائكة الله له عند صرعة العامري  
الامام الذي تخيره الله بلا مصرية أخاً للنبي  
قسماً ما وقاه بالنفس لما بات في الفرش عنه غير (علي)  
وقوله (1):

ألا إني لأهل البيت عبد مطيع ليس يجنح للاباء  
ومن رثائه لأهل البيت الذي أظهر فيه لوعته وحرقته وحزنه عليهم قوله (2):

فوا حزني لو أنني في زمانهم وواحر أحشائي ووا حسراتي  
وقوله (3):

أقضى زمانى زفرة بعد زفرة فقلبي لا يخلو من الزفرات  
وصدرى فيه حرقة بعد حرقة فليس بمنفك عن الحركات  
وقوله (4):

لقد شبت لا عن كبرة غير أننى لكثرة همى شبت قبل لداتى  
وقوله (5):

أيا نفس من بعد الحسين وقتله على الطف هل أرضى بطول حياتى  
وإنى لأخزى ظالميه بلعنة عليهم لدى الأصال والغدوات

ومن شعره الذى استخدمه فى الدعوة لمذهبه الشيعى ؛ " شعره الذى أرسله إلى الفقيه  
عمارة .. فى رقعة ومعها ثلاثة أكياس ذهباً :

قل للفقيه عمارة: يا خير من أقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى  
أضحي بؤلف خطبة وخطابا تلى الأئمة شافعين ، ولا تجد  
قل :حطة وادخل إلينا البابا وعلى أن يعلو مجلك فى الورى  
إلا لدينا سئة وكتابا وتعجل الآلاف وهى ثلاثة  
وإذا شفتعت إلى كنت مجابا  
صلة وحققك لا تعد ثوابا (6)

1 - "ديوان طلائع" محمد هادى الأيمنى ص 51.

2 - السابق ص 67 .

3 - السابق ص 68 .

4 - السابق الصفحة نفسها .

5 - السابق الصفحة نفسها .

6 - السابق ص 58 "بتصرف" .

وعن عقيدته الشيعية ومغالاته فيها يقول المقرئى : "وكان شديد المغالاة فى التشيع"<sup>(1)</sup>.

وقال ابن العماد الحنبلى: "وكان فى نصر التشيع كالسكة المحماة كان يجمع الفقهاء ويناظروهم على الإمامة وعلى القدر"<sup>(2)</sup> ، وقال عنه الذهبى: "صنف فى الرفض والقدر"<sup>(3)</sup> .

هذا ومن خلال أقوال المؤرخين عن عقيدته ، ومن خلال نماذجه الشعرية ، نجد أن "طلائع" لم يكن شيعياً عادياً ، وإنما كان مغالياً فى تشييعه لأهل البيت ؛ يشهد بذلك أيضاً ديوانه الذى جمعه "محمد هادى الأمينى" ، الذى يحتوى معظمه على شعر "قصاصد أو مقطوعات" فى أهل البيت ؛ فى مدحهم وراثتهم ، والدعوة لمذهبهم .

من ذلك كله لا نكاد نبالغ إذا ما قلنا : إن الدافع الأساسى لنظم "طلائع" الشعر ؛ هو نصرته مذهب والدعوة إليه ؛ لذلك كانت عقيدته من أهم العوامل المؤثرة فى شاعريته .

## 5 - ارتحاله إلى مصر :

ارتحل "طلائع" إلى مصر وتدرج فى مناصبها السياسية ، فقد توجه إلى مصر والخلافة الفاطمية أخذه فى أوج عظمتها وازدهارها ، ومن أهم ما يميز العصر الفاطمى انتعاش الحركة الأدبية فيه ؛ فكان الأديباء والشعراء يقصدوا بلاط الخلفاء ويغدق عليهم الكثير من الأموال ، وأصبحت مصر مقصداً للشعراء من كل مكان .

وتوافد عليها الشعراء من كل حذب و صوب ، والسبب فى ذلك هو ما لاقاه الشعراء من بذل و بذخ فى ظل الخلافة الفاطمية ، وقد كان لهذا بعيد الأثر فى "طلائع" ولا سيما بعد أن صار وزيراً فى الدولة الفاطمية يملك ناحية الحكم فيها ، ويبدد مبالغاً فى أمورهم ، فهذه الحركة الأدبية فى أواخر الدولة الفاطمية عمل "طلائع بن رزىك" على إنعاشها واستمرارها ، وقد أثرت فى نتاجه الشعرى ، وساعدت على صقل موهبته فى الشعر .

## 6 - مجالسته للشعراء والأدباء :

لم يكتف "طلائع" بأن يغدق الأموال على الأديباء والشعراء كمن سبقه من خلفاء الدولة الفاطمية لنشر الدعوة الفاطمية ، وإنما شاركهم فى مجالسهم ؛ "حيث كان محاطاً بطائفة من الشعراء الممتازين لا يجد غضاضة فى أن يعرض شعره عليهم"<sup>(1)</sup> ، وهذا مما لا شك فيه زاد من جودة شعره وكان له كبير الأثر فى شعره .

1 - مقدمة "ديوان طلائع" د. أحمد أحمد بدوى ص 25 "بتصرف يسير" .

2 - مقدمة "ديوان طلائع" محمد هادى الأمينى ص 7 .

3 - سير اعلام النبلاء للذهبي 161 / 15 .

1 - مقدمة "ديوان طلائع" د. أحمد أحمد بدوى ص 23 "بتصرف يسير" .

ولقد جالس "طلائع" أعيان أهل الأدب والشعر، يقول في ذلك الشاعر "عمارة اليمنى":  
"ووجدت بحضرته من أعيان أهل الأدب الشيخ الجليس أبا المعالي بن الحباب ، والموفق بن  
الخلال صاحب ديوان الإنشاء ، وأبا الفتح محمود بن قادوس ، والمهذب أبا محمد الحسن بن  
الزبير ، وما من هذه الحلبة أحد إلا ويضرب في الفضائل النفسانية ، والرئاسة الإنسانية بأوفر  
نصيب ، ويرمى شاكلة الصواب ، فيصيب"<sup>(2)</sup>.

ومجالسة "طلائع" لأعيان أهل الأدب والشعر في عصره كان له بعيد الأثر في شعره ؛  
فلقد أنصت واستمع لأرائهم ولشعرهم فانفعل بانفعالاتهم وطار في أفق أخيلتهم ولمس رهاقه  
حسهم ؛ مما جعله لا يجد غضاضة في أن ينظم شعره ويعرضه عليهم ، حتى يدانيهم في  
جودة شعرهم ، وهذا مما زاد شعره جودة ، وجعله شاعرا من كبار شعراء عصره .

#### 7 - علاقته القوية بأسامة بن منقذ :

"قويت صلة الوزير "طلائع بن رزيك" بشاعر من أكبر شعراء عصره ، وهو "أسامة  
بن منقذ" أحد أمراء الشام ،وقد ترأس الوزير والأمير بالشعر ،وشارك كلَّ منهما صاحبه فيما  
يصيبه من الخير والشر . وكثيرا ما أرسل الملك الصالح إلى "أسامة" يُوسِّطه لدى "نور الدين"  
، ليتحدا معا ضد الفرنج ، وكان "أسامة" يحمل للوزير التقدير والإجلال ، وكل شعره في  
الملك الصالح له هذا الطابع ، يتحدث عن شجاعته وجوده وجهاده للفرنج"<sup>(3)</sup> ،وقد كان لهذه  
العلاقة وهذه المراسلات بينهما بعيد الأثر في شعر "طلائع" .

#### 8 - رغبته المُلحَّة في التحالف مع "نور الدين محمود" :

ظلَّ "طلائع" طيلة حياته يتطلع لتحقيق هدف التحالف مع "نور الدين محمود" ، وبذل  
في سبيل ذلك كل ما يستطيع من قول وفعل ، فقد " كان الصالح "طلائع" مشتاقا إلى أن يعقد  
الصلة مع "نور الدين" ، فعندما أرسل حملة عسكرية في البر ، وأسطولا كبيرا في البحر -  
لغزو "غزة" و"عسقلان" وأُخذ جندة في العدو سنة 553 هـ ،وعاد سالما ظافرا - انتَهز  
"طلائع" هذه الفرصة ، وأرسل إلى الشام عدة قصائد ، يُمجِّد فيها هذا الظفر ، ويحث "نور  
الدين" على غزو الفرنج ، ولكن هذه القصائد لم تجد أذنا مصغية من "نور الدين" ، بل أرسل  
"ابن رزيك" بعثة رسمية إلى دمشق مع هدايا لطيفة ، وسبعين ألف دينار تُنفق في الحرب  
المقدسة ، ولكن ضاع كل ذلك سدى ، وأخفق "ابن رزيك" في أن يعقد صلة محالفة للعمل  
المشترك ضد الصليبيين ،مع شدة رغبته في التضافر والعمل على اخراجهم . وظل طوول  
حياته يتحفز لهذا الهدف ، ويتألم لأنه لم يتحقق"<sup>(1)</sup> .

2 - السابق ص 13، 14 .

3 - السابق ص 11 "بصرف" .

1 - مقدمة "ديوان طلائع" د. أحمد أحمد بدوي ص 7 .



## الفصل الثاني

" دراسة تحليلية لشعر المعارك  
الحربية بين الشعارين "

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : وصف المعارك بين  
الشعارين

المبحث الثاني : وصف الفرحة بالنصر  
بين الشعارين

# المبحث الأول

" وصف المعارك بين الشعاعين "

ويشتمل على ما يلي :-

أولاً : وصف المعارك عند أسامة بن منقذ  
ثانياً: وصف المعارك عند طلائع بن رزيك

## أولاً : وصف المعارك عند " أسامة بن منقذ "

- 1- الحث على الجهاد
- 2- وصف مشاهد القتال
- 3- وصف أدوات الحرب
- 4- وصف الأبراج والقلاع  
والحصون وما يتصل بها
- 5- وصف الجيوش

## 1- الحث على الجهاد

بعدها تجمعت جحافل الصليبيين في الغرب المسيحي ، سارت قاصدة بلاد المسلمين ؛ فممرت وخربت كل ما مرت عليه من الأخضر واليابس ؛ فأهلكت الحرث والنسل ، وقتلت من المسلمين أعداداً لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ، فكانت تخلف وراءها دماراً وخراباً يصعب وصفه .

وكان السبب الرئيس لما حل بالمسلمين في بداية هذه الحروب ؛ هو تفرقهم وانشغالهم بأمور الدنيا وتركهم لدينهم ، فظهر من الشعراء من أخذ على عاتقه عبء الدعوة إلى الجهاد والتصدي للصليبيين ، وحث أمراء المسلمين على الاتحاد ونبذ ما بينهم من فرقة وخلاف .

وقد برز من هذه الطائفة من الشعراء الأمير " أسامة بن منقذ " ، والوزير المصري " طلائع بن رزيك " ؛ حيث كثرت بينهما المراسلات والقصائد الطوال، والتي فيها الكثير من الحث على الجهاد، ووصف المعارك، ومدح كل منهما للآخر ولجيش المسلمين وقوادهم ، ومن هذه القصائد ؛ القصيدة التي يرد فيها الأمير " أسامة بن منقذ " على قصيدة أرسلها له الوزير المصري " طلائع بن رزيك " ؛ حيث يخبره الوزير المصري فيها بانتصاره هو وجيوشه على الصليبيين .

وقد كان ذلك في سنة ( 553 هـ ) ، حيث " ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق وافر من عسكرها إلى غزة<sup>(1)</sup> وعسقلان<sup>(2)</sup> ، وأغاروا على أعمالها ، وخرج إليهم من كان بهما من الفرنج الملاعين ، فأظهر الله تعالى المسلمين عليهم قتلاً وأسراً<sup>(3)</sup> ، فبعث إليه " أسامة " بقصيدة طويلة يحثه فيها على مواصلة الجهاد ، ويحثه على الوحدة مع " نور الدين محمود<sup>(4)</sup> لتكوين جبهة واحدة ضد الصليبيين ، فيكون " نور الدين " مدافعاً من ناحية الشام في الشمال ، وهو من ناحية مصر في الجنوب .

- 1 - غزة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر وهي من نواحي فلسطين . معجم البلدان لياقوت الحموي 4 / 202 ط . دار صادر - بيروت .
- 2 - عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبين جبرين . المرجع السابق 2 / 132
- 3 - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة 1 / 362 ، حققه وعلق عليه إبراهيم الزبيقي ، ط مؤسسة الرسالة . ط الأولى 1418 هـ - 1997 م .
- 4 - نور الدين محمود : صاحب الشام ، الملك العادل ، نور الدين ، ليث الإسلام . محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي بن الأمير الكبير أفسنقر ، التركي السلطاني الملك شاهي مولده في شوال سنة إحدى عشرة وخمس مائة . وكان نور الدين حامل رايته العد والجهاد قل أن ترى العيون مثله . حاصر دمشق ثم تملكها ، وبقي بها عشرين سنة . افتتح أولاً حصونا كثيرة وفوامية ، وراوندان ، وعزاز ، وهزم البرنس صاحب أنطاكية . أظهر السنة بحلب وقمع الرافضة توفي في شوال سنة تسع وستين وخمس مائة . وكان ديناً تقياً . " تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي 3 / 77 . 76 . أشرف على تحقيقه " شعيب الأرناؤوط " ط مؤسسة الرسالة ط الأولى 1412 هـ - 1991 م " بتصرف " .

فقال "أسامة" : (1)

واشدد يديك بود نور  
فهو المحامي عن بلا  
الدين، واللق به الرجلا  
د الشام جَمْعاً أن تُذالاً (2)

ثم يدعو "أسامة" لهما بأن يكونا حمى للإسلام وحصناً له؛ قاصداً بذلك إثارة الحماسة في نفسه لطلب الوحدة مع "نور الدين" فيقول : (3)

فبقيتما للمسلم  
ين حمى ، وللدنيا جمالا

ومن القصائد الطويلة التي حث فيها "أسامة بن منقذ" الوزير المصري "طلانغ بن رزيك" على مواصلة الجهاد ؛ القصيدة التي مطلعها : (4)

ما منهم لك مُعْتاضٌ، ولا خلفٌ  
فكيف يصبرُ عنهم قَلْبُكَ الكلفُ (5)

وفي نهاية القصيدة يدعو له بالسلامة لتحيا الدنيا وسكانها بالأمان في ظل حكمه في وقت الحرب والسلم، ثم يحثه على أن يلقي الأعداء بكل قوة وشجاعة وثبات فقال : (6)

واسلم ، لتحيا بك الدنيا وساكنتها  
واللق الأعادي بجذ لا يخونك أن  
ما اغبرت البيد، أو ما أخضرت النطف  
حانت (7) عداة اللقاء البيض (8) والزغف (9)

ولم يقتصر "أسامة" على الوزير المصري "طلانغ بن رزيك" في حثه على الجهاد؛ ولكنه أرسل قصائده الحماسية إلى كثير من قادة المسلمين ، وفي هذه القصائد يحاول الشاعر أن يستنهض الهمم ، ويشحذ العزائم ، حتى يهب هؤلاء القادة ليقفوا في وجه هذه الموجة العاتية من المد الصليبي ، ويكونوا درعا واقياً للإسلام والمسلمين ، وفي أحد هذه القصائد يحث "أسامة" أحد قادة المسلمين على الجهاد ، حيث يستثير فيه النخوة وعزة النفس

- 1 - ديوان أسامة ص 217 حققه وقدم له د. أحمد أحمد بدوي . حلمد عبد المجيد وكيل إدارة نشر التراث العربي بوزارة المعارف العمومية .
- 2 - أذاله : أهاته . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .
- 3 - المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 4 - المرجع السابق ص 86 .
- 5 - الكلف : الولوج بالشيء مع شغل قلب ومشقة . لسان العرب لابن منظور 3917/5 ط. دار المعارف .
- 6 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 185
- 7 - حان : قرَّبَ للسان / 1075
- 8 - البيض : السيوف
- 9 - الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة . الديوان ص 185 " بالهامش" .

فقد وصفه فيها : بأنه في مَنَعَتِهِ وحمائته للمسلمين من أعدائهم كالكهف وهو يستحته بأن يبقى كذلك ، وأن يبقى هلاكاً للفرنج وجيوشهم ما دام حياً فقال : (1) فابق للمسلمين كهفاً ، ولإلاف رنج حتفاً (2) ، ما أعقب الجيل جيلٌ

وقال في قصيدة أخرى مواصلاً حث قادة المسلمين على الجهاد : (3)

وسر إلى بحر خضم (4) له من عزمه سيف وغي (5) مخذم (6)  
وهو يحث فيها أحد قادة المسلمين على الخوض في غمار المعارك ، والتي شبهها بالبحر الواسع التي ليس لها إلا عزمه وهمته ، والتي في قوتها كسيف الحرب البتار .

وقد يكون الدافع للحث على الجهاد بجوانب الدوافع الدينية والوطنية شخصياً أيضاً ، ويبدو هذا عند "أسامة بن منقذ" واضحاً في قصيدته التي " أرسلها لابن عمه الأمير "ناصر الدين تاج الدولة" (7) ، حيث يستعين به على فكك أسر أخيه نجم الدولة (8) من الإفرنج وكان قد أسر في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل "عباس بن أبي الفتح" وزير مصر يومئذ والسلطان بها " (9) فيقول :

هذا ابن عمك في أسر الفرنج، له حولٌ (10) تجرّم (11) ، في الأغلال والظلم  
يدعوك لا بل أنا الداعي نذاك له يا خير من علقتك كف معتصم  
أي أن: هذا ابن عمك قد وقع في أيدي الفرنج أسيراً ، وقد أكتمل حول كامل أي عام وهو في سجن الفرنج مقيداً في أغلاله وتحت وطأة ظلم العدو ، وهو يدعوك ويستعين بك - ثم يستدرك الشاعر - بل أنا الذي أرجوك وأناديك يا خير ملاذٍ للضعفاء ، وخير من يعتصم الناس به ، ثم يقول : (12)  
وأنت أكرم من تثنيه عاطفة الـ قربي، ويرجوه للجلى (13) ذوو الرّحم

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 191

2 - الخلف : الهلاك ( المعجم الوجيز ص 134 )

3 - ديوان أسامة ص 193

4 - الخضم : البحر الواسع ( الوجيز ص 201 )

5 - وغي : الحرب ( الوجيز ص 675 )

6 - مخذم : قاطع ( الديوان ص 193 )

7 - ناصر الدين : تاج الدولة أبو عبد الله محمد بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ . السابق ص 148 .

8 - نجم الدولة : أبو عبد الله محمد بن مرشد بن علي ، أخو أسامة بن منقذ . الديوان ص 148 .

9 - النص من ديوان أسامة ص 148 ، 149 "بتصرف يسير" ، والبيت ص 149 .

10 - حول : سنة ( الوجيز ص 179 )

11 - تجرّم : كمل ( الديوان ص 149 )

12 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

13 - الجلى : كشف الغمة والضيق والكره ( لسان العرب 1 / 670 )

أي أنك أكرم من يستجيب لصلة القرابة، وأكرم من يرجوه أقرابؤه عند الشدائد، ثم يستثير في نفسه النخوة والحمية تجاه ابن عمه قائلا (1):

ومن تكن أنت مولاه وناصره  
لا تُحَوِّجَنِي إِلَى مَنْ (3) الرِّجَالُ، فَمَا  
وَلَا تَنْظُنِّي أَدْعُو سِوَاكَ ، وَلَا  
عَلَامَ أَرْتَشِفُ الرَّنَقَ الْأَجَا (4)، وَقَدْ  
كَيْفَ تَسْطُو عَلَيْهِ كَفُّ مُهْتَضِمٍ (2)  
حَمَلُ الْأَيْدَى وَإِنْ أُعْسِرْتُ، مَنْ شِيَمِي  
يَفُوهَ مُجْتَدِيًا إِلَّا إِلَيْكَ فَمِي  
رَوَيْتَ كُلَّ صِدْقٍ (5) مِنْ بَحْرِكَ الشَّيْمِ (6)

وهنا نرى الشاعر وقد أخرج كل ما في جعبته من كلمات ومعاني تبث في النفس الحمية لصلة القرابة، ولشذذ همته واستنهاض عزيمته لفك أسر ابن عمه؛ فهو يصفه بالموالي والناصر الذي لا تستطيع يد ظالم أن تجور على أحد في حماه، وهو يرجوه بأن لا يضطره إلى رجاء الرجال في فك أسر أخيه فتكون مئة منهم عليه؛ فليس من شيمه سؤال الغير حتى في أشد لحظات وأوقات الضيق، ثم يستعطفه الشاعر بأنه لن يدعو سواه ولن يسأل سواه، وكيف يسأل سواه ويشرب الماء الكدر وقد روي كل أنسان من عذب مائه، مشيراً إلى نبلة وكرمه مع الآخرين، وهذا أدعى إلى أن يكون أكثر كرمًا مع ذوى رحمه، ثم لا يجد الشاعر إلا أن يخرج آخر ما في حوزته من الوسائل لاستنهاض همة ابن عمه وحته على فك أسر أخيه، إلى أن يصل إلى أقصى درجات الاستعطاف والتذلل له بقوله: أنه بهذه المنة - وهي فك أسر أخيه - سيكون أسيراً له ويفعله الجميل ما تنفس الصعداء وما دامت فيه حياة، فقال في ذلك: (7)

أَنَا أَبْنِ عَمَّكَ، فَاجْعَلْنِي بِفِكَ أَخِي  
مَنْ أَسْرَهُ، لَكَ عَبْدًا، مَا مَشَتْ قَدَمِي

نلاحظ مما سبق أن "أسامة بن منقذ" كان من الشعراء الذين اشتهروا في إثارة حمية المسلمين عن طريق ذكر حماية المحارم والدفاع عن الدين.

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 149

2 - مُهْتَضِم: ظالم (لسان العرب 6/ 6472)

3 - الْمَنْ: الإيعام والإحسان (الوجيز 592)

4 - الرَّنَق: الكدر، الأجاج: الملح الكدر. الديوان ص 149 "بالهامش".

5 - صَدَقَ: قاصد (الوجيز/ 361)

6 - شَيْمٌ: يارد (الوجيز/ 344)

7 - ديوان أسامة ص 149

## 2- وصف مشاهد القتال

من الأغراض المهمة التي تضمنها الشعر في مرحلة الحروب الصليبية؛ وصف مشاهد القتال والمعارك التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين ، ولقد سجل الأدب في هذه الحقبة من التاريخ معظم ما دار من معارك بين المسلمين والفرنج ؛والتي انتصر فيها المسلمون على أعدائهم .

وقد اشترك الأمير "أسامة بن منقذ" في كثير من المعارك التي دارت بين المسلمين والفرنج اشتركا أظهر فيه كثيراً من ألوان الشجاعة والبسالة والقوة والإقدام على خوض أقوى المعارك بلا خوف أو تردد ؛ مما يستحق عليه أن تخلد ذكراه وأن يذكر في مصافح المحاربين القادة الشجعان ، بالإضافة إلى مكانته من "نور الدين" ؛هذا وغيره جعل شغله الشاغل وصف المعارك الحربية ووصف مشاهدتها وصفا دقيقاً صادقاً حياً .

وتعد هذه الأشعار التي تناولت وصف المعارك التي دارت في هذه الحقبة ،وما اشتملت عليه من وصف مشاهد وقادة وحصون وأدوات ؛وثيقة مهمة في الأدب والتاريخ .

وفي وصف بعض الفتوحات التي من الله بها على المسلمين نظم أسامة إحدى قصائده الطوال ؛ والتي كانت رداً على قصيدة أرسلها إليه الملك الصالح أولها :<sup>(1)</sup>

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والتصر

"يذكر فيها وقائعه وسراياه إلى الفرنج ، وتسبيره الجيوش ، وأسماء مقدماتها ، ويصف نجدتهم . فوقف عليها الملك العادل - نور الدين - رحمه الله ، وخرج على أمره إلى الأمير مجد الدين-أسامة- بالإجابة عنها ، فجاءت قصيدة أسامة تلبية لهذا الأمر ، ومطلعها :<sup>(2)</sup>

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر لتحيا بنا الدنيا، ويفتخر العصر

ومن المعارك التي ذكرها في قصيدته حصار حصن "العريضة"<sup>(3)</sup> ؛والذي انتهى بسقوط الحصن وأسر "ابن الفتح"<sup>(4)</sup> ،وقد ذكر صاحب كتاب الروضتين هذه الموقعة ؛حيث يقول :

- 1 - ديوان طلائع بن رزيق ص 63 ، جمعه ويوبه وقدم له د/ أحمد أحمد بدوي طمكتبة نهضة مصر .
- 2 - النص والأبيات من ديوان أسامة ص 201
- 3 - حصن العريضة : اسم موضع . ديوان أسامة ص 202 "بالحامش" .
- 4 - ابن الفتح: هو برتراند بن الفونسو جوردان ،كونت ثولوز ،وهو ابن غير شرعى له .الروضتين ( 1 / 184 )



قال "ابن الأثير"<sup>(1)</sup>: لما رحل الفرنج عن دمشق سار "معين الدين أئر"<sup>(2)</sup> إلى بعلبك<sup>(3)</sup>، وأرسل إلى "نور الدين"، وهو مع أخيه "سيف الدين"<sup>(4)</sup>، يسأله أن يحضر عنده، فاجتمعا، فوصل إليهما كتاب "القمص" صاحب "طرابلس"<sup>(5)</sup> يشير عليهما بقصد حصن "العريمة" وأخذه ممن فيه من الفرنج. وكان سبب ذلك أن ولد "الفنش" صاحب "جزيرة صقلية"<sup>(6)</sup> خرج مع ملك الألمان إلى الشام، وتغلب على "العريمة" وأخذها من "القمص"، فلما استولى هذا على "العريمة" كاتب القمص "نور الدين" و"معين الدين" في قصده، فسارا إليه مجدين، فصحبا، وكتبوا إلى "سيف الدين" يستجداه ويطلبان منه المدد، فأمدهما، فحصرهما الحصن وبه "ابن الفنش"، ونقبوا السور، فأذن الفرنج واستسلموا، وألقوا بأيديهم. فملك المسلمون الحصن، وأخذوا كل من به من رجل وصبي وامرأة، وفيهم "ابن الفنش"، وأخربوا الحصن، وعادوا إلى سيف الدين"<sup>(7)</sup>، وفي هذا قال أسامة:<sup>(8)</sup>

وفي سجننا ابن الفنش خير ملوكهم وإن لم يكن خير لديهم ولا بر  
أسرناه من حصن العريمة راغماً وقد قتلت فرسانه فهم جُرُرُ<sup>(9)</sup>

ثم يستطرد "أسامة" واصفاً مشهداً آخر "بإقليم"<sup>(10)</sup>: بحيث كثرت قتلى الفرنج حتى أن دماهم صارت تجري في الوادي كخدران المياه؛ وذلك حين تقدموا لرد خيل المسلمين وفرسانه، فصاروا قتلى في كل مكان من الأرض، وسوف يبعثون يوم القيامة من هذه التربة على حد قول الشاعر:<sup>(11)</sup>

وسل عنهم الوادي بإقليم إنه إلى اليوم فيه من دماهم غُدرُ<sup>(12)</sup>  
هم انتشروا فيه لرد رعيننا<sup>(13)</sup> فمن ثربه يوم المعاد لهم نُشرُ

- 1 - ابن الأثير: (555-630 هـ) على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، المؤرخ الإمام من العلماء بالنسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، ومن تصانيفه "الكامل"، أسد الغابة في معرفة الصحابة". الأعلام للزركلي 331/4، ط. دار العلم للملايين- بيروت، ط. الثامنة 1989م "بتصرف".
- 2 - معين الدين أئر: ملك الأمراء بدمشق، معين الدين الطغتكينى. أمير سانس، رئيس شجاع، مهيب فحل الرأي كان يحب العلماء والصلحاء، ويبذل لهم المال، وله مواقف مشهودة وغزو كثير، وكان حسن الديانة، له المدرسة المعينية، وكانت الفرنج تخافه. توفي سنة أربع وأربعين وخمس مئة. تهذيب سير أعلام النبلاء 19/3 "بتصرف".
- 3 - بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام (معجم البلدان 453/1)
- 4 - سيف الدين: (460-544هـ) غازي بن زنكي بن أقي سنقر، سيف الدين، كان صاحب الموصل، أقام في الملك ثلاث سنين وشهوراً، كان جواداً شجاعاً. الأعلام للزركلي 112/5 "بتصرف".
- 5 - طرابلس: بحيرة على ساحل البحر (معجم البلدان 25/4)
- 6 - جزيرة صقلية: من جزر بحر المغرب جهة أفريقية (معجم البلدان 46/3)
- 7 - الروضتين (195/1 - 196) بتصرف.
- 8 - ديوان أسامة ص 202
- 9 - جزر: مخفف جزر بضمين وهي جمع جزور وهي الناقة المذبوحة. المرجع السابق نفس الصفحة "بالحامش".
- 10 - إسم موضع. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 11 - المرجع السابق الصفحة نفسها.
- 12 - غدر: جمع غير وهو: القطعة من الماء يغادرها السيل، أو يتركها. (اللسان 3217/5)
- 13 - الرعين: الجماعة المتقدمة من الخيل. الديوان ص 202 "بالحامش".

ثم يذكر "أسامة" معركة أخرى وقعت بين "نور الدين" والصليبيين سنة 545 هجرية، وقد انتهت بهزيمة الفرنج وأسر "جوسلين"<sup>(1)</sup> حاكم شمال "حلب"<sup>(2)</sup>؛ الذي كان شديد العدواة للمسلمين .

وعن "الجوسلين" يقول صاحب كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" : "وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين ، فإنه كان شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنج ، شديد العدواة للمسلمين ، وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه ، وشدة عدواته للملة الإسلامية ، وقسوة قلبه على أهلها . وأصيب النصرانية كافة بأسر ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وخلت بلادهم من حاميتها، وثغورهم من حافظها ، وسهل أمرهم على المسلمين بعده. وكان كثير الغدر والمكر ، لا يقف على يمين ، ولا يفي بعهده . طالما صالحه "نور الدين" وهادنه ، فإذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر ، فلقيه غدره ، وحقا به مكره ، ( وَلَمَّا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَيْنَا يَا إِلَهِي )<sup>(3)</sup>. فلما أسر تيسر فتح كثير من بلاده وقلاعهم "<sup>(4)</sup> .

وعن ذلك الحدث المهم يقول "أسامة"<sup>(5)</sup> :  
ونحن أسرنا الجوسلين ولم يكن  
ليخشى من الأيام نائبة تغرؤ<sup>(6)</sup>

وقد تحايل "نور الدين" على أسر هذا الرجل بحيلة ؛ حيث " أحضر جماعة من التركمان ، وبذل لهم الرغائب من الإقطاع والأموال إن هم ظفروا بجوسلين ، إما قتلاً وإما أسراً . فلما تمكنوا من أسره على حين غفلة منه أخذوه أسيراً ، فصانعهم على مال بذله لهم ، فرغبوا فيه وأجابوه إلى ذلك ، فأتى بعض التركمان إلى نائب نور الدين بحلب ، فأعلمه الحال فسير معه عسكرياً أخذو جوسلين من التركمان قهراً "<sup>(7)</sup> ، وعن ذلك قال أسامة :<sup>(8)</sup>

وكان يظن الغر<sup>(9)</sup> أننا نبيعه  
أي كان يعتقد أن نتركه مقابل المال ، ولكن كم من ساذج قليل الخبرة من الناس هنك  
بسبب ظنه الخاطي .

1 - جوسلين : أحد ملوك الفرنج الصليبيين. ديوان أسامة ص 202 "بالمهامش" .

2 - حلب : مدينة عظيمة واسعة ، وهي بلد لها سور (البلدان : 282/2 )

3 - سورة فاطر من الآية 43

4 - الروضتين 247/1

5 - الديوان ص 202

6 - تغرؤ : عراه الداء والأمراض عروا : ألم به وأصابه ( الوجيز ص 416 )

7 - الروضتين ( 246-247 ) بتصرف .

8 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 202 .

9 - الغر : الذي جهل الأمور وغفل عنها . ( الوجيز ص 448 )

ثم يشير "أسامة" إلى ما أحرزه المسلمون من نصر مؤزّر عظيم تمثل في استباحة ملك وبلاد "الجوسلين" وأسره ؛ لم يكن إلا ابتغاء مرضاة الله ، وفي مثل ما ناله ذلك الغادر من هزيمة وسبى يُبتغى الأجر ، يقول "أسامة" : (1)

فلما استبحنا ملكه وبلاده      ولم يبق مال يُستباح ولا ثغر  
كحلّناهُ (2) تبغى الأجر في فعلنا به      وفي مثل ما قد ناله يُحرز الأجر

ثم يستطرد الشاعر في وصف مشهد آخر فيقول: (3)

فتحنا الرّها (4) حين استباح عدائنا      حماها ، وسئى مُلكها لهم الحثُرُ (5)  
جعلنا طلي (6) الفرسان أعماد بيضنا      ومُلكنا أبكارها الفتكة (7) البكرُ

وهو هنا يصف لنا مشهداً مهماً من مشاهد تلك المعارك الحربية التي كانت بين المسلمين والفرنج ، وكانت قيادة المسلمين "النور الدين" ، وقيادة الفرنج "الجوسلين" ، هذه المعركة دارت حول استرداد حصن "الرّها" من أيدي الفرنج بعد أن حاولوا اغتصابه بعد مقتل "عماد الدين زنكي" (8) .

وعن ذلك يقول "ابن الأثير" : لما قُتل زنكي كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرّها في ولايته غرب الفرات في تل باشر (9) وما جاورها ، فراسل أهل الرّها – وكان عامتهم من الأرمن (10) – وواعدهم يوماً يصل إليهم فيه ، فأجابوه إلى ذلك ، فسار في عساكره إليها وملكها ، وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين ، فسار إليها بعسكره ،

1 - ديوان أسامة ص202 .

2 - كحلّناه : أصنابه بشدة . (اللسان 3832 / 5)

3 - ديوان أسامة ص204 .

4 - الرّها : عاصمة إمارة صليبية بالشام . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

5 - سئاه : سهله ، الحثر : الغر والخديعة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

6 - الطلي : الأخلاق . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

7 - الفتكة : رجل فاتك ، جري (اللسان 3343/5)

8 - عماد الدين زنكي : الأتابك ، الملك عماد الدين زنكي ابن الحاجب قسيم الدولة أقيسقر بن عبدالله التركي ، صاحب حلب توفي سنة 548 هـ ، كان بطلاً شجاعاً مقداماً ، وكان يضرب بشجاعته المثل ، افتتح الرّها وملك حلب والموصل وحماة وحمص وبعليك وبانياس ، وحاصر دمشق ، وصالحهم على أن خطبوا له بعد حروب يطول شرحها . سير أعلام النبلاء للذهبي 24 / 15 ط . المكتبة التوفيقية .

9 - تل باشر : قلعه ، حصينة وكورة واسعة في شمال حلب بينها وبين حلب يومان (معجم البلدان 2 / 40)

10 - الأرمن : نسبة إلى أرمينية : وهي كورة بناحية الروم (لسان العرب 1739/3) مادة [رمن] .

فهرب جوسلين ودخل نور الدين مدينة الرها، ونهبها وسبى أهلها . وفي هذه الدفعة نهب  
وخربت وخلت من أهلها ، ولم يبق منهم بها إلا القليل <sup>(1)</sup> .

ويصف لنا "أسامة" فتح المسلمين للرّها ؛ حين استباح الأعداء حماها وقد سهّل هذا  
الأمر الأرمن الخونة ، فهمة المسلمين وعزيمتهم لم تضعف عن استردادها من الأعداء ،  
ولم يكتفوا باستردادها منهم ؛ ولكن المسلمين أعملوا فيهم القتل والأسر ، حتى أنه من كثرة  
قتلهم جعلوا أعناق الأعداء أعمادا لسيوفهم .

ثم ينتقل بنا "أسامة" لوصف مشهد مهم من مشاهد القتال ؛ ألا وهو مشهد قتل  
"البرنس" <sup>(2)</sup> أحد عتاة الفرنج وذلك في سنة 544 هـ كما يقول "ابن الأثير" : " سار نور  
الدين إلى حصن "حارم" <sup>(3)</sup> وهو للفرنج فحصره وخرب ريبضه <sup>(4)</sup> ونهب سواده ، ثم رحل  
عنه إلى حصن "إنب" <sup>(5)</sup> فحصره وخرب ريبضه ، فأجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب  
أنطاكية ، وساروا إليه ليُرْحَلوه عن "إنب" فلم يرحل ، بل لقيهم وتصافّ الفريقان ، وأقتتلوا ،  
وصبروا ، وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه ما تعجّب  
منه الناس ، وأجلت الحرب عن هزيمة الفرنج ، وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا ، وقيمن قتل  
البرنس صاحب أنطاكية ، وكان عاتيا من عتاة الفرنج ، وذوى التقدم فيهم والملك " <sup>(6)</sup> .

يقول "أسامة" : <sup>(7)</sup>

قَتَلْنَا الْبَرْنَسَ ، حِينَ سَارَ بِجَهْلِهِ      تُحَفُّ بِهِ الْفَرَسَانُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ <sup>(8)</sup>  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ أَسْرِنَا ، وَكَيْفَ بَالِ      بَقَاءِ مَنْ أَخْتَتِ <sup>(9)</sup> عَلَيْهِ الظُّبَا الْبُتْرُ <sup>(10)</sup>

ثم يُفَصِّل "أسامة" ما أجمله في البيتين السابقين — من قتل البرنس وقتل وأسر  
جنوده- لينقلنا إلى صورة نابضة حية ؛ نسمع فيها صليل السيوف وصهيل الخيول ، ونحس  
فيها بحمية المسلمين وشجاعتهم .

1 - الروضتين ( 175/1 - 176 ) بتصرف .

2 - البرنس : أحد ملوك الفرنج وصاحب أنطاكية ( الروضتين 206/1 ) .

3 - حصن حارم : حصن حصين وكورة جبلية تجاه أنطاكية وهي الآن من أعمال حلب ( معجم البلدان : 2 / 205 )

4 - الرِبْضُ : ما حول المدينة ( الوجيز : 252 )

5 - حصن أنب : حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب ( معجم البلدان 258/1 )

6 - الروضتين ( 206/1 - 207 )

7 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 203

8 - المَجْرُ : الجيش العظيم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

9 - أَخْتَتِ : جارت وأهلك . ( الوجيز ص 214 )

10 - البُتْرُ : أسنة السيوف القاطعة . الديوان ص 203 "بالهامش" .

فيقول "أسامة" عن "البرنس": (1)

فَوَلَّى بِيَارَى عَائِرَاتٍ<sup>(2)</sup> سَهَامَنَا  
وَحَلَّى لَنَا فُرْسَاتِهِ وَحُمَاتِهِ  
وَمَا تَنْثِي عَنْهُ أَعْنَةً خَيْلَنَا  
وَفِي سَمْعِهِ مِنْ وَقَعِ أَسْيَافِنَا وَقَرُّ<sup>(3)</sup>  
فَشْطَرُ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطَرُ لَهُ أَسْرُ  
وَلَوْ طَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِهِ التُّسَرُ

ثم يتحدث ويذكر لنا بعض الفتوحات التي من الله بها على المسلمين ، وكيفية حصار المسلمين للحصون المنيعه ، والتصدى لقتال الأعداء التي بها على الرغم من منعيتها وقوتها ولكن المسلمين بإيمانهم وعون الله لهم كانوا أقوى من هذه الحصون ، قال أسامة : (4)

ونحن فتحنا تلّ بأشبر بعدها  
وقد عجزت عنه الأكاسرة الغُرُّ<sup>(5)</sup>

ثم يقول : (6)

وتلّ عزاز ، صَبَحَتْهُ جِيوشُنَا  
فلم تُحْمِه عنا الرجال ولا الجُنُرُ

وعن "تلّ عزاز" وظفر المسلمين به ، وعن قوته ومنعته يقول "أبو يعلى" : " وورد الخير في الخامس من المحرم من ناحية حلب بأن عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب عزاز وأصحابه ، وحصلوا في قبضة الأسر في قلعة حلب ، قسّر هذا الفتح كافة الناس ، وتوجه نور الدين في عسكره إلى عزاز ، ونزل عليها ، وضايقها وواظب قتالها ، إلى أن سهل الله تعالى ملكها بالأمان ، وهى على غاية من المنعة والحصانة والرفعة " (7) ، ثم ينتقل بنا أسامة إلى مشهد آخر ؛ ألا وهو فتح "برج الرصاص" وقد كان حصناً منيعاً حتى كآته السد من الرصاص ، ولكن الرصاص له ما يذيبه ويصهره فيصير ليئلاً وذلك بواسطة جيوش المسلمين ، يقول "أسامة" : (8)

وَمِلْنَا إِلَى بَرَجِ الرُّصَاصِ وَإِنِّهِ  
لَكَاسِدٌ ، لَكِنِ الرُّصَاصُ لَهُ قِطْرُ<sup>(9)</sup>

1 - ديوان أسامة ص 204 .

2 - عائرات : يقال جانه سهم عائر فقتله ، وهو الذى لا يدري من رماه . ( اللسان 2167/4 )

3 - الوقر : ثقل فى الأذن . الديوان ص 204 "بالحامش" .

4 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

5 - الثُر : جمع أغر : وهو الشريف فى قومه . ( اللسان 3235 / 5 ) مادة [ غر ] .

6 - ديوان أسامة ص 204 .

7 - الروضتين ( 243/1 )

8 - ديوان أسامة ص 204 .

9 - برج الرصاص : قلعة من أعمال حلب قرب أنطاكية (معجم البلدان 373/1) ، القطر : النحاس الذائب الديوان ص 204 "بالحامش" .

ويستمر "أسامة" في ذكر واستعراض ما من الله به على المسلمين بقيادة نور الدين من فتوحات لحصون وقلاع وقرى، وهي ليست قليلة وإنما كثيرة، ذكر منها الكثير، وكثير لم يذكره فأشار إلى ذلك بعد أن انتهى من ذكر العديد من الفتوحات، وذلك في قوله :  
**وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى ومُرَدَّعَاتٍ<sup>(1)</sup> لا يُحيط بها الحَصْرُ**

والفتوحات التي ذكرها هي " حصن حارم<sup>(2)</sup> ، حصن كفر لاتا<sup>(3)</sup> ، وهاب<sup>(4)</sup>،

وحصن

باسوط<sup>(5)</sup>، وقورص<sup>(6)</sup>، وفامية<sup>(7)</sup>، والبارة<sup>(8)</sup>، وحصن بسر فود<sup>(9)</sup>، وأنب<sup>(10)</sup>، وتل عمار<sup>(11)</sup>، وتل خالد<sup>(12)</sup>، وحصن سلقين<sup>(13)</sup>، راوندان<sup>(14)</sup> .

فمن "حصن حارم" يقول "أسامة"<sup>(15)</sup> :

**وأضحت لأتطاكية حارم شجى<sup>(16)</sup>**

وعن "حصن حارم" يقول "ابن الأثير" : " سار نور الدين إلى حصن حارم، وهو للفرنج فحصره وخرب روضه، ونهب سواده"<sup>(17)</sup>

وعن فتح حصني " كفر لاتا"، و"هاب" يقول "أسامة"<sup>(18)</sup> :

**وحصن كفر لاتا وهاب ندانيا**

**لنا، وذراها للألوق<sup>(19)</sup> به وكُرُ**

فيصف لنا "أسامة" شدة وقوة بأس المسلمين ؛ وذلك بأن هذين الحصنين خضعا وذلك للمسلمين مع ما كاتا عليه من منعة وصعوبة كانت مضرباً للمثل .

- 1 - ازدرع : زرع . ديوان أسامة ص 205 " بالهامش " .
- 2 - حصن حارم : حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية وهي الآن من أعمال حلب ( معجم البلدان 2 / 205 )
- 3 - كفر لاتا : في معجم البلدان لاتا - بالثاء - وهي بلدة من نواحي حلب بينهما يوم واحد ( البلدان 4 / 470 )
- 4 - هاب : في معجم البلدان ( طاب ) : وهي بلدة بين المعرة وحلب ( البلدان 4 / 470 )
- 5 - باسوط موضع بالشام الديوان ص 205 " بالهامش " .
- 6 - قورص : بالمعجم ( قورس ) وهي : كورص من نواحي حلب ( معجم البلدان 4 / 412 )
- 7 - فامية : مدينة كبيرة وكورة من نواحي حمص (المرجع السابق 4 / 233 )
- 8 - البارة : بلدة وكورة من نواحي حلب وبها حصن (المرجع السابق 1 / 320 )
- 9 - بسر فود : بالمعجم (سرفود) وهو حصن من أعمال حلب في جبال ابن غليم (المرجع السابق 1 / 420 )
- 10 - أنب : حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب (المرجع السابق 1 / 258 )
- 11 - تل عمار : موضع بالشام ( الديوان ص 205 )
- 12 - تل خالد : قلعة من نواحي حلب ( البلدان 2 / 41 )
- 13 - حصن سلقين : موضع بالشام . الديوان ص 205 " بالهامش " .
- 14 - راوندان : موضع بالشام . الديوان ص 205 " بالهامش " .
- 15 - ديوان أسامة ص 205 .
- 16 - الشجى : الهم والحزن ( الوجيز ص 336 )
- 17 - الروضتين 1 / 206 .
- 18 - ديوان أسامة ص 205 .
- 19 - الألوق كصبور : العقاب . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

وقد ذكر "ابن الأثير" فتح حصن "كفر لاثا" ومعه عدد من الحصون فقال : " وفي سنة اثنتين وأربعين-542هـ- فتح "نور الدين" أرتاح بالسيف ، وحسن باراه ، وبصرفو ، وكفر لاثا. وكان الفرنج قد طمعوا وظنوا أنهم بعد قتل الشهيد-أى عماد الدين-يستردون ما أخذ منهم، فلما رأوا من نور الدين من هذا الجد علموا أن ما أمّلوه بعيد " (1) .

وعن حصن "باسوطا" و"قورص" يقول أسامة بأن الأمر لم يكن سهلاً في فتحهما، ولكن الصعاب دلّت بفضل مثابرة وصبر المسلمين على القتال ، وكذلك فتح "قامية" و"البارة" أعادتهما همة المسلمين القوية وقتلهم ليل نهار ، وقد أشار لذلك فى قوله : (2)

وفي حصن باسوطا وقورص ذلت الصـ عاب لنا، والنصر يقدمه الصبر  
وفامية والبارة استنقذتهما لنا همة من دونهما الفرغ والغفر (3)

وعن فتح حصن "قامية" يقول "ابن الأثير" : " وفيها-أى سنة أربع وأربعين وخمس مئة- سار نور الدين الى حصن أفامية- وهو للفرنج أيضاً ، وبينه وبين مدينة حماة (4) مرحلة ، وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من أحسن القلاع وأمنعها- وكان من به من الفرنج

يغيرون على أعمال حماة وشيزر (5) ، وينهبوها ، فأهل تلك الأعمال معهم تحت الذل والصغار. فسار نور الدين إليه ، وحصره وضيق عليه ، ومنع من به القرار ليلاً ونهاراً ، وتابع عليهم القتال ليمنعوا الاستراحة ، فاجتمعت الفرنج من سائر بلادها ، وساروا نحوه ليزحروه عنها ، فلم يصلوا إليه إلا وقد ملك الحصن وملأه زخائر ؛ من طعام ومال ، وسلاح ورجال ، وجميع ما يحتاج إليه " (6)

ثم يتحدث الشاعر ويذكر فتح حصن "بصرفود" وكذلك هزيمة الفرنج فى "إنب" والتي صارت كما قال- سهلة على المسلمين ، ليس لضعف العدو ؛ ولكن لأن جيش المسلمين من القوة التى يتحول معها العسر إلى يسر ، يقول أسامة (7) :  
وحصن بصرودٍ وأنبُ سُهِّلَتْ لنا ، واستحال العسر ، وهو لنا يُسر  
وعن وصف هذه المعركة المهمة يقول "أبو يعلى" : " وفى صفر من السنة-544هـ- وردت البشائر من جهة نور الدين بما أولاه الله تعالى ، وله الحمد ، من الظهور على حشد

- 1 - الروضتين ( 183/1 ) يتصرف .
- 2 - ديوان أسامة ص 205 .
- 3 - فرغ الدلو المقدم والمؤخر: منزلان للقمر والغفر: منزل للقمر أيضاً. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".
- 4 - حماة : مدينة كبيرة قديمة بينها وبين حمص يوم واحد ( معجم البلدان 300/2 ) .
- 5 - شيزر : قلعة على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة شهر ( المرجع السابق 383/3 ) .
- 6 - الروضتين ( 217/1 ) يتصرف يسير .
- 7 - ديوان أسامة ص 205 .

الإفرنج المخدول ، ولم يقلت منهم إلا من خيّر بيوارهم وتعجيل دمارهم ، وذلك أن نور الدين اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارس مقاتلة سوى الأتباع والسّواد، فنهض بهم إلى الفرنج في الموضع المعروف "بإتّب"، وهم في نحو أربع مئة فارس وألف راجل، فقتلواهم وغنموهم (1).

وعن فتح "تل عمار" ، و"تل خالد" ، و"حصن سلقين" يقول "أسامة" : (2)  
وفي تل عمار ، وفي تل خالد  
فقد تمكن المسلمون من فتح هذه الحصون ، وصارت ملكاً لهم .

وعن فتح "تل خالد" يقول "أبو يعلى" : " وفي رجب وردت الأخبار من ناحية نور الدين بظفّره بعسكر الإفرنج النازلين بإزائه قريباً من من تل باشر ، وعظيم النكاية فيهم والفتك بهم، وامتلات الأيدي من غنائمهم وسبيهم، واستولى على "حصن خالد" الذي كان مضايقه ومنازله " (3).

ثم يذكر لنا الشاعر فتح "حصن راوندان" ويصفه بأنه حصن منيع ليس له مثيل في الصعوبة والصمود، وماكان ليفتح أبداً لولا قوة المسلمين ؛ التي جعلت فتحه سهلاً ميسوراً ، فقال : (4)

وما مثل راوندان حصنٌ وإنه لممتنعٌ ، لو لم يسهل له القسر - (5)

ثم يذكر لنا الشاعر أن هناك قلاعاً وحصوناً وأرضاً مزروعة كثيرة قد من الله بها على المسلمين لهي جديرة بالذكر لولا كثرتها وصعوبة حصرها ، فقال : (6)

وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى ومزدرعات (7) لا يحيط بها الحصر

ويصف الشاعر مشهداً آخرًا من مشاهد القتال العديدة ؛ يقول فيه أن جيوش المسلمين أوقعت من قتلى الفرنج أضعاف تلك الأعداد التي سقطت من جانب المسلمين ، ولكن بالطبع ليست دماء المسلمين كدماء الكفار ، يقول : (8)  
قتلنا بقتلنا من القوم مثلهم مراراً ، ولكن ما الدماء سوا

1 - الروضتين ( 204/1 ) يتصرف يسير .

2 - ديوان أسامة ص 205 .

3 - الروضتين ( 257/1 )

4 - ديوان أسامة ص 205 .

5 - قسر فلانا - قسرا : فقهه على كره ( المعجم الوجيز ص 501 )

6 - الديوان ص 205 .

7 - ازدرع : زرع . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

8 - المرجع السابق ص 208



ويتحدث "أسامة" عن معركة جرت وقائعها في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وقد اشترك فيها جمعٌ كبيرٌ من ملوك الفرنج بما فيهم "بلدوين" <sup>(1)</sup> حاكم القدس، فقال: <sup>(2)</sup>  
ونحن كسرنا البَقَوِيْنَ وما لمن  
كسرتاه إبلان <sup>(3)</sup> يُرْجَى ولا جبرُ

فيصف الشاعر الكسرة الشديدة، والهزيمة المرة التي لحقت بهذا الملك وجنوده، وكيف كانت الغلبة لجيش المسلمين؛ بحيث لا يرجى لهذه الكسرة بُرء ولا جبر.

وقد جاء ذكر هذه المعركة في كتاب "الروضتين" "لأبي شامة" حيث قال: "ثم سار أتابك الشهيد -عماد الدين زكي- في هذه السنة، وهي سنة أربع وثلاثين إلى بلاد الفرنج، فأغار عليها واجتمع ملوك الفرنج وساروا إليه، فلقبهم بالقرب من حصن "بارين" <sup>(4)</sup>، وهو للفرنج، فصبر الفريقان صبراً لم يسمع بمثله إلا ما يحكى عن "ليلة الهرير" <sup>(5)</sup>، ونصر الله المسلمين، وهرب ملوك الفرنج وفرسانهم، فدخلوا حصن بارين، وفيهم ملك القدس؛ لأنه كان أقرب حصونهم، وأسلموا عدتهم وعتادهم، وكثر فيهم الجراح. ثم سار الشهيد إلى حصن بارين، فحصره حصراً شديداً، فراسلوه في طلب الأمان ليسلموا ويسلموا الحصن، فأبى إلا أخذهم قهراً. فبلغه أن من بالساحل من الفرنج قد ساروا إلى الروم والفرنج يستجدونهم، ويصفون إليهم ما فيه ملوكهم من الحصر؛ فجمعوا وحشدوا وأقبلوا إلى الساحل، ومن بالحصن لا يعلمون شيئاً من ذلك لقوة الحصر عليهم. فأعادوا مراسلته في طلب الأمان، فأجابهم وتسلم الحصن" <sup>(6)</sup>، ثم يتحدث الشاعر بإسهاب وتفصيل عن هذه المعركة فيقول: <sup>(7)</sup>

فسله اللعين الحائن <sup>(8)</sup> الخائن الذي له الغدر دينٌ : ما به صنع الغدرُ  
وهنا يصف الشاعر هذا الملك بأنه أحمق وخائن، والخيانة والغدر هما عهده دائماً، ثم يتساءل سؤالا غرضه التوبيخ والاستهزاء: ما صنع الغدر به؟، وهو بالطبع يعرف الإجابة؛ وهي هزيمته النكراء وكسرتة الشنعاء، ثم يستطرد في وصف حاله فيقول: <sup>(9)</sup>  
وقد ضاقت الدنيا عليه برُحْبها  
فلم يَجْه بُرٌّ، ولم يَحْمِه بَحْرُ

1 - بلدودين : أحد ملوك الإفرنج الصليبيين . ديوان أسامة ص202 "بالهامش" .

2 - المرجع السابق ص 202

3 - إبلان : بئٌ ، بلولا : برا وصح ( الوجيز ص62 )

4 - بارين : مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب ( معجم البلدان 320/1 )

5 - ليلة الهرير : تطلق على إحدى ليالي صفين ، وإحدى ليالي القادسية وقد بلغ بهما القتال أشده ( الروضتين 130/1 ) .

6 - الروضتين ( 130/1 ) بتصرف يسير .

7 - الديوان ص 202

8 - الحائن : الأحمق . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

9 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

فيصف لنا كيف أن المسلمين قد ضيقوا عليه الخناق والحصار حتى شعر بأن الدنيا بأسرها قد ضاقت عليه ، فلم يجد مفرأ ؛ برا ولا بحرا ، ثم يعود الشاعر ليؤكد لنا أن الغدر شيمة من شيمه ، فليس له عذر في غدره بعد يمينه بإتجيله ، ولكن ما دعاه إلى ذلك إلا مكره ونفسه الخسيسة ، فيقول : (1)

أفى غدره بالخيل بعد يمينه      بإتجيله بين الأنام له عذرُ  
دعته إلى نكث اليمين وغدره      بذمته النفسُ الخسيسة والمكرُ

ثم يصف لنا الشاعر عاقبة غدره وما صنع به ؛ إذ كانت خيله مختلفة الألوان وبعد قتل من عليها عادت غنيمة للمسلمين كلها مخضبة بلون دماهم ، فقال : (2)

وقد كان لونُ الخيل شئى فأصبحت      ثغادُ إلينا ، وهى من دمهم تُشفرُ (3)

ثم يذكر "أسامة" ؛ أن هذا الملك الجاهل قد توهم وطن جهله أن حلم المسلمين وصبرهم عليه هو نوع من العجز ، وما العجز فى حقيقة الأمر إلا فى عقله وتفكيره ، فيقول أسامة : (4)

توهم عجزاً حلمنا وأناتنا      وما العجزُ إلا ما أتى الجاهلُ الغمرُ (5)

ثم يصف لنا "أسامة" عاقبة تماديه فى جهله وعجز تفكيره ؛ حيث لم يثنه عن جهله النهى والزجر ، فكان عاقبة ذلك أن برزوا له بروز ليثٍ فارق عرينه وعادته كسر فرائسه والقضاء عليها ، وبعد أن برزوا له وهاب لقائهم ؛ ساروا إليه ، وبان له البؤس والشر من قوتهم وبأسهم ، يقول : (6)

فلما تمادى غيّه وضلاله      ولم يثنه عن جهله النهى والزجرُ  
برزنا له كالليثٍ فارق غيّه (7)      وعادته كسرُ الفرائس والهصرُ (8)  
وسرنا إليه حين هاب لقاءنا      وبان له من بأسنا البؤسُ والشرُ

1 - ديوان أسامة ص 202

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

3 - الشقرة : هى بياض البشرة مع ميل للحمرة ( الوجيز ص 347 )

4 - الديوان ص 202

5 - الغمر : من لم يجرب الأمور ( لسان العرب 5 / 3295 )

6 - الديوان ص 202

7 - غيّه : غيل الأسد : موضع الأسد ( اللسان 5 / 3329 )

8 - الهصر : الكسر . الديوان ص 202 "بالهاسى" .

وفى قصيدة أخرى لأسامة أرسلها إلى الملك الصالح " طلائع بن رزيك" رداً على  
قصيدة أرسلها إليه مطلعها : (1)

ألا هكذا فى الله ثمضى العزائم وتمضى لدى الحرب السيوف الصوارم

والتي يشرح له فيها الملك الصالح حال هذه الموقعة ويحرض فيها نور الدين على  
قتال المشركين فأجابه "أسامة" بقصيدة حاول فيها وصف معركة الأسطول المصرى  
وصفاً حياً يبرز فيه مهارتهم وقدرتهم الفائقة فى الغزو براً وبحراً ، فلم يرد صولتهم جحافل  
المشركين المتزاحمة ، فأفنؤهم قتلاً وأسراً ، ثم يصف المعركة فى البحر ، والأساطيل  
كأنها الموج المتلاطم ، تحمل على ظهورها الفرسان وكأنها طير يطير على الماء . يقول  
(2).

وجحفلهم (3) فى أرضها متزاحم  
فناجيههم مستسلم أو مسالم  
عن الأرض منهم ظلمة ومظالم  
أساطيل فيه موجه المتلاطم  
على الماء طيرٌ ، ما لهن قوادم

غزوتهم فى أرضهم وبلادهم  
فأفنيتهم قتلاً وأسراً بأسرهم  
فلما أبادتهم سيوفك ، وانجلت  
غزوتهم فى البحر، حتى كأنما الـ  
بفرسان بحر، فوق دُهم (4)، كأنها

1 - ديوان أسامة ص 220

2 - المرجع السابق ص 225 ، 226

3 - جحفلهم : الجحفل : الجيش الكبير ( الوجيز ص 930 )

4 - دُهم : يريد بها السفن السود . الديوان ص 226 "بالهامش" .

### 3- وصف أدوات الحرب

فى حقبة مثل حقبة الحروب الصليبية وما جرى فيها من معارك وحروب ، ومع شاعر خاض الكثير من هذه الحروب والمعارك ، وبالأخص شاعرنا "أسامة بن منقذ" ، الذى يمتلك مقومات شخصية ؛ كالشجاعة والجسارة والإقدام ، وما يمتلكه من مقومات أدبية من روعة الأسلوب والبيان ؛ كان من الطبعى أن تمتلأ قصائده بوصف ما يتعلق بوصف هذه المعارك، ومنها أدوات الحرب ؛ فقد فاضت أشعار وقصائد "أسامة" بوصف أدوات الحرب : من سيوف ودروع وسهام ورماح وخيول .

#### (أ) - السيف .

الحرب عند شاعرنا عبارة عن مقطوعة موسيقية وهو عازف بأدواتها؛ لإخراجها وإبرازها فى أحسن إيقاع وأحلى نغم ، فوقع السيف فى الأعداء كوقع الناي و صوت الألة الوترية ، وفى هذا المعنى يقول "أسامة" :<sup>(1)</sup>

دماء العدا أشهى من الرّاح<sup>(2)</sup> عندنا ووقع المواضى<sup>(3)</sup> فيهمُ النّايُ والوترُ

وتارة يصف السيف بالبرهان القاطع والحكم الفصيل بينه وبين أقرانه وأترابه؛ لإثبات شجاعته وجسارته وتفوقه عليهم ، وكذلك هو الشاهد على شجاعته وإقدامه على الموت فى الحروب ، فقال<sup>(4)</sup> :

ولو حَكَمْتُ بينى وبينهم الطّبّا<sup>(5)</sup> رضيتُ بما تُقضى المهثدةُ البئرُ<sup>(6)</sup>  
ثم قال :<sup>(7)</sup>

وأبيك ما أَحْجَمْتُ عن خَوْض الرّدى<sup>(8)</sup> فى الحربِ، يشهدُ لى بِذاك المُتَّصِلُ<sup>(9)</sup>  
ثم يصف السيف وقد شبه الملك الصالح به ، وهو يمدحه بأن له صدر مصقول لين عند ملاسته ؛ لكن له حد ذليق قاطع مسنون.

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 201

2 - الرّاح : الخمر . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

3 - المواضى : السيوف الباترة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

4 - المرجع السابق ص 200

5 - الطّبة : حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك ( اللسان 4/2743 ) مادة [ ظب ] .

6 - المهثدة البئر : السيوف القاطعة . ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 200 "بالحامش" .

7 - المرجع السابق ص 271

8 - الرّدى : الهلاك ( الوجيز : 261 )

9 - المُتَّصِلُ : السيف . ديوان أسامة ص 271 "بالحامش" .

يقول "أسامة" في المعنى السابق : (1)

هو مثل الحسام : صدرٌ صقيل<sup>(2)</sup> لينٌ مسُهُ ، وحدٌ ذليق<sup>(3)</sup>

أما عن حده فقد جعله الشاعر من نصيب الأعداء رمزاً لهلاكهم ، وأما بالنسبة لأوليائه فهو رمز الخير والعطاء ، فقال : (4)

في حده حتف من ناواك<sup>(5)</sup> وهو لمن والاك منبجس<sup>(6)</sup> بالبارد الشبم<sup>(7)</sup>

ويصف لنا الشاعر سيفه في وسط المعركة وهو يضرب الرءوس ويقطع الرقاب في سرعة شديدة ، حتى لكان من يراه يظنه البرق في سرعته وفي ما يخلقه من هلاك لمن يصيبه ، فيقول : (8)

بصارم ، من رآه في قتام وغي أفري<sup>(9)</sup> به الهام ، ظن البرق قد لمحا

ثم يؤكد على المعنى نفسه -وصفه لل سيف بالبرق- وهو يخوض الحرب ومعه رفيقه وملازمه ؛ فشاعرنا كالشهاب المقذوف بأرض المعركة ومعه سيفه الذي يشبه البرق أو شعلة من النار إذا أصابت عدواً فلا دواء ولا علاج ينفع عندئذٍ ، فيقول : (10)

أخوضها كشهاب القذف ، يصحبني أعضب<sup>(11)</sup> كبرق سرى أو ضوء مقباس<sup>(12)</sup> إذا ضربت به قرناً<sup>(13)</sup> أنزله أوحاه<sup>(14)</sup> عند عائد يغشاه أو آسى<sup>(15)</sup>

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 189 .

2 - صقيل : مجلو ( الوجيز ص 367 )

3 - ذليق : حاد. ديوان أسامة ص 189 .

4 - المرجع السابق ص 196

5 - ناواك : عداك ( الوجيز ص 638 )

6 - منبجس : منفجر (المرجع السابق ص 36 )

7 - الشبم : البارد (المرجع السابق ص 334 )

8 - الديوان ص 209

9 - القتام : الغبار . والوغي : الحرب . وأفري : أشق . والهام : جمع هامة : وهى الرأس . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

10 - ديوان أسامة ص 211

11 - العضب : السيف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

12 - المقباس : شعلة نار تقتبس من معظم النار . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

13 - قرناً : القرن للإنسان : مثله في الشجاعة والعلم وغير ذلك ( الوجيز ص 500 ) .

14 - أوحاه : أعجله . ديوان أسامة ص 211 .

15 - الآسى : الطبيب . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

وفى المعنى نفسه ؛ حيث شبه سيفه بالبرق والشهاب يحكى لنا الشاعر مشهداً بديعاً ؛ حيث تكون السيوف كالشهب المضئية ، الخاطفة فى سرعتها وسط غبار المعركة الكثيف المظلم ، فقال: (1)

موقف توديع ترى البيض به شهياً ، وهابى النقع ليلاً أسودا  
ويصف الشاعر سيفه بأنه الأداة التى يشعل بها الحرب ويضررها كما تضرم النار  
إذا أخدمت ؛ وذلك عند ضربه لرؤوس أعدائه ، فينجم عن ذلك شرر كثيف يشعل  
النار ، يقول: (2)

قد كنت مسرّ (3) حرب كلما خدمت  
وفى المعنى نفسه السابق يقول : (6)

أغدوا لنار الوغى فى الحرب إن خدمت بالبيض فى البيض والهجمات مقتدحا  
وفى قصائد أخرى نرى أن هذا المعنى يتكرر عند "أسامة بن منقذ" فيصف السيف  
تارة بالبرق وتارة بجذوة النار أو كشعلة النار ، ومن ذلك قوله : (7)

وأضحى عليه للسهم وللظبا ورقع المذاكى (8) الرعد والبرق والقطر  
ثم ينتقل بنا الشاعر فى وصفه للسيف إلى معنى آخر ؛ حيث يصفه كأنه الإنسان الظامى  
الذى لا يرويه إلا دم الأعداء ، ويستجيب دائماً لداعى الجهاد ، فيقول : (9)  
وأجابته بالصليل سيوف ظامناً ، وبالصهيل خيول

وقال أيضاً فى المعنى نفسه : (10)  
والبيض والسمر لا تروى بغير دم من كل جانحة الأرجاء بالزبد (11)

- 
- 1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 210 .
  - 2 - المرجع السابق ص 255 .
  - 3 - ستر الحرب : أوقدها . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .
  - 4 - البيض : السيوف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .
  - 5 - الغزال : الجماعات من الناس . والفئة بالضم : أعلى الرأس والجمع قتل . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"
  - 6 - المرجع السابق ص 209
  - 7 - المرجع السابق ص 204
  - 8 - رقع المذاكى ، يقال : رقع الغرض بسهمه إذا أصابه ، وكل إصابة رقع ، ورقعة السهم صوته فى الرقعة ( اللسان 3 / 1705 ) .
  - 9 - المرجع السابق ص 192
  - 10 - المرجع السابق ص 169

ثم يصف لنا الشاعر سيفه بأنه حامى الحمى ، وهو رمز الدفاع عن الإسلام والوطن ، وهو السياج الواقى من الأعداء ؛ ولهذا يخلع أوصافه على الأمراء والقواد الذين كانوا رمزاً فى الدفاع عن الإسلام ، فهم عند شاعرنا يستحقون أعلى مكانة وأفضل منزلة ؛ يستحقون أن يشبههم بالسيف ، فمن ذلك قوله مادحاً الأمير "معين الدين أنر" وقد لقي الفرنج فهزمهم :<sup>(1)</sup>

أنت سيف الإسلام حقاً ؛ فلأف  
لن<sup>(2)</sup> غرار يك<sup>(3)</sup> أيها السيف دهر

ثم يضيف الشاعر لأوصاف السيف وصفاً آخر ؛ وهو أنه سبب زيادة عزة الإسلام وذلة الشرك والكفر والذى يشبهه "معين الدين" به ، فقال:<sup>(4)</sup>

بك زاد الإسلام يا سيفه الميخنة<sup>(5)</sup>  
عزاً وذلاً شرك وكفر

وقال أيضاً فى "نصربن الأفضل" حول المعنى نفسه:<sup>(6)</sup>

وحميت البلاد بالسيف ، فاستص  
عب منها سهل وعز ذليل

وفى المعنى نفسه قال فى "طلان بن رزيك" :<sup>(7)</sup>

وحمى البلاد بسيفه  
عن أن تذال ، وأن تذالا

وسيوف المسلمين لا تعرف الاستقرار فى أعمادها ولا السكون ، فلا يكون النصر إلا بمفارقة سيوفهم أعمادها ، ولا يكون النصر إلا بالقوة والمجاهدة لا بالركون إلى الراحة والدعة :<sup>(8)</sup>

ولو لزمتم أعمادها<sup>(9)</sup> البيض ما انجلت  
بها غمرات<sup>(10)</sup> الحرب ، واتضح النصر

11 - الزيد : الزيد من الماء : أى الرغبة (الوجيز ص 285)

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 170

2 - فلّ : فلّ السيف : أى : تتلم حده ( الوجيز ص 481 )

3 - الغرار : القالب يضرب عليه النصال (المرجع السابق ص 448 )

4 - ديوان أسامة ص 170

5 - خنمة : قطعته . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

6 - ديوان أسامة ص 191

7 - المرجع السابق ص 215

8 - المرجع السابق ص 200

9 - الغمد : غلاف السيف (الوجيز ص 454 ) .

ومؤكداً على المعنى نفسه ، وأن سيوف المسلمين ليس مكانها الأغعاد ، وإنما هي دائماً خارج خدورها تحكى جداً لا تسيل من الدماء ، فيما يشبه جداول الماء في الكثرة والغزارة فيقول :<sup>(1)</sup>

والبيض ، دون خدور<sup>(2)</sup> البيض ، مُصلته حكت جداول ماءٍ غير مُطرَد

ثم يصف الشاعر السيف بالألوان فيقول :<sup>(3)</sup>

صوارمنا حُمر المضارب من دم قوائمها من جُودنا نضرة خضر

فيصف سيوف المسلمين بأنها حمر المضارب دائماً ؛ وذلك لأنها مخضبة بالدم وهذا هو دأبها في الحرب من كثرة الطعن والضرب ، ويقول في مكان آخر :<sup>(4)</sup>

إذا استغلقت شَمُ الحصون فعندنا مفاتحها :بيضٌ ، مضاربها حُمر

فيشبه السيف بالمفتاح الذي يفتح الحصون المستعصية ؛ ويقصد بذلك قوتهم وقهرهم للأعداء ، مؤكداً على أن المضارب لونها بلون الدم .

ثم يشبه الشاعر عزمته القوية الأبية بحد السيف ، وكأنه لم يجد شيئاً ينال هذا الشرف في مشابهيته لعزمته إلا حد السيف ؛ وذلك لأن شاعرنا كان معتزاً بنفسه وبشجاعة إلى حد بعيد ، حتى أنه صار ذو عزيمة أشد في القتال من السيوف نفسها . فيقول :<sup>(5)</sup>

فلطالما أقدمت إقدام الحتوف على الحتوف  
بعزيمة أمضَى على حد السيوف من السيوف

وحول المعنى السابق يؤكد الشاعر أن له عزمًا قويًا كحد السيف في قوته وصرامته عند وقوع المصائب والبلاء . يقول :<sup>(6)</sup>

قل للخطوب :إليك عني، إن لي في الخطب عزمًا مثل حد المُتصل<sup>(7)</sup>

10 - غمرات : شدائد . المرجع السابق الصفحة نفسها .

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 168

2 - خدور : مفرد ما خدر : أي ستر (الوجيز ص 187) .

3 - الديوان ص 203

4 - المرجع السابق ص 204

5 - المرجع السابق ص 212

6 - المرجع السابق ص 219



ثم يصف الشاعر السيف بأنه الأداة الوحيدة التي تشق هذا الظلام الكئيب المخيف الذي يخيم على جو المعركة؛ وكأنه شعاع الضوء أو كما يشبهه دانماً بالشهاب، يقول: (1)

أشق بالسيف دجى (2) تنقعها شق الدياجى مرسل الشهب

ثم يعبر الشاعر عن أقصى أمانيه في الحياة؛ وهي ليست تحقيق الغنى ولا بلوغ أعلى الدرجات بين الناس، فكل هذا دون ما يتمنى، وكل هذا إلى جانب أمنيته لا يعدو شيئاً؛ والتي تتمثل في الضرب المتواصل بذلك السيف في هامات الأعداء حتى يتحطم في النهاية وتتكرر أجزاؤه، فقال عن ذلك: (3)

ولست أهوى بلوغ المجد في رفه ولا العلا دون حطم البيض والأسل (4)

فهو لم يدخر لدهره وللنوازل والمصائب والأحوال مალًا ولا سلطانًا، ولم يدخر غير سيفه ورمحه على حد قوله: (5)

ولم أنخر للذهر، إن ناب أونبا (6) وللخطب إلا صارمى وسناني (7)

---

7 - المُضَلّ بضمّتين ومكرم : السيف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 208

2 - دجى : ظلام الليل ( الوجيز ص 221 )

3 - الديوان ص 255

4 - الأسل : الرماح . ( الوجيز ص 18 )

5 - الديوان ص 229

6 - نبا : قنبح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

7 - السنان : نصل الرمح . ( الوجيز ص 325 )

( ب ) - الرمح .

نجد عند "أسامة بن منقذ" وصفاً آخراً مستفيضاً لأداة أخرى من أدوات الحرب ؛ ألا وهي الرمح ، فقد جاء ذكرها ووصفها في أشعار أسامة لوصف المعارك الحربية ، ولكن ليس كبأسها به في وصف السيف .

يقول أسامة عن الرمح : (1)

وكل أسمر فيه لهذم<sup>(2)</sup> ثرب<sup>(3)</sup>  
كجذوة النار لم تُقبس<sup>(4)</sup> ولم تُقد

حيث يصف لنا سن الرمح الحاد القاطع كقطعة من النار الملتهب ، ولكن لم تشتعل بعد وفي انتظار إشعالها ، وإذا ما صوب الرمح باتجاه العدو الشديد الخصومة قضى عليه وكأنه مريض والرمح علاجه ، فقال : (5)

إذا تسدد داوى كل ذى لدب<sup>(6)</sup>  
وإن تأود<sup>(7)</sup> ساوى ميل ذى الأود

ثم يقول الشاعر بأن السيوف والرمح عطشى ولا يرويهما إلا دماء الأعداء في ساحة القتال ، وهي إن لم تستخدم في القتال يؤول مصيرها الى الصدا ، ولا يجلوها غير كثرة ضربها لنحور الأعداء ولرؤوسهم ، فقال في ذلك المعنى : (8)

والبيض والسمر لا ثروى بغير دم  
صديين حتى جلاها في النحور وفي الـ  
هلمات أورع يروى غل كل صد<sup>(9)</sup>  
من كل جائشة الأرجاء بالزبد

ثم يصف لنا الرمح وكيف أنه يشتبك في قتال الأعداء ، فإن لم تحسم المعركة جاء دور السيف ليُنْه الأمر لصالح المسلمين . يقول : (10)

صُبْرٌ إذا ما ضاق معترك القتا  
فرجت سيوفهم مضيق المنهج

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 169

2 - الهمذم : القاطع من الأسنة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

3 - الثرب : الحاد . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

4 - القنبسة : شعلة تقتبس من النار . ( الوجيز ص 488 ) .

5 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 169

6 - اللدذ : الخصومة الشديدة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

7 - أود : إعوج . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

8 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

9 - الغل : العطش . والصدى : العطشان . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

10 - المرجع السابق ص 209

ويصف لنا الشاعر في مكان آخر الدور المهم للرمح في الحرب ، وكيف يوقع الكثير من القتلى في صفوف الأعداء بمجرد التصويب ، وذلك لدقة الرمي ، فيصيروا طعاماً للنسور ، فيقول : (1)

فإن خفض الفرسان للطعن في الوغى رماحهم انقضت عليها القشاعم (2)

ثم يؤكد لنا الشاعر على أهمية دور الرماح في الحرب ، فهي أداة أساسية بيد المحارب ولا يستغنى عنها ، ففي ساحة الحرب يبدو الجيش – الذي شبهه الشاعر بالأسود – وهو يحمل الرماح الكثيرة ، والتي تبدو للناظر وكأنها شجر كثيف متشابك من كثرتها فيقول : (3)

كل أرض فيها من الأسد جيش سائر فوقه من السمر غيل (4)

ويؤكد لنا الشاعر على هذا الوصف للرمح الكثيرة بالغابة المتشابكة، فيقول في مكان آخر: (5)

رميت العدا بالأسد في أجَم (6) القنا على الجرد، (7)تقتاد الردى وهو راغم

وهي أيضاً سبب اساسى من أسباب النصر في أى معركة إلى جانب السيف حيث يقول: (8)

هم الأسد من بيض الصوارم والقنا لهم في الوغى الناب الحديدية والظفر

ثم يصف لنا الشاعر كثرة استخدامه لرمحه حتى صار يألف كفه وهذا منذ نعومة أظفاره ، حتى صار رامياً بارعاً يعرف رمحه مكانه ومستقره من جسد أعدائه ؛إما في قلوبهم أو في هاماتهم، فقال : (9)

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 225

2 - القشاعم : النسور . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

3 - المرجع السابق ص 192

4 - الغيل : الشجر الكثيف الملتف ، والأجمة . والسمر : الرماح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

5 - المرجع السابق ص 224

6 - الأجمة : الشجر الكثيف الملتف . المرجع السابق ص 192 "بالهامش" .

7 - الجرد : يقال فرس أجرد : سبّاق ( الوجيز ص 99 )

8 - الديوان ص 203

9 - المرجع السابق ص 272

قد كان كفى مألفاً لمهند (2) الكعوب وجاره (3)  
ثُعْرَى (1) القلوب له وتفرى الهام  
حيث استمر الفكر والأوهام

ثم ينقل لنا الشاعر موقفه عند نزول المصائب وما ادخره للدهر عند وقوع الخطوب ووقوع المعارك، فهو لم يدخر إلا رмحه مع سيفه ، ومن هنا يتضح لنا مكانة هذه الأداة عند شاعرنا ، حيث يقول : (4)

ولم ادخر للدهر، إن ناب أو نبا وللخطب إلا صارمى وسِنائي

ثم يصف لنا الشاعر أعلى وأعلى ما يتمنى في حياته فهو لا يتمنى علواً ولا بلوغ قمة المجد، فما من أمنية تدانى أمنيته ورغبته ألا وهي أن يقاتل حتى يحطم رмحه وسيفه فلا يبقى منهما شيء ، وقد قال في ذلك : (5)

ولست أهوى بلوغ المجد في رفهِ ولا العلا دون حطم البيض والأسل

1 - ثُعْرَى من العروى وهي : الرعدة . ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 272 "بالهامش" .

2 - لندن الشبي - لدانة ، ولدونة : لان . ( الوجيز ص 554 ) .

3 - الوجار : في الأصل حجر الضبع ديوان أسامة ص 272 "بالهامش" .

4 - المرجع السابق ص 229

5 - المرجع السابق ص 255

( ج ) - السهم

نجد عند "أسامة" أداة أخرى مهمة من أدوات الحرب ؛ وهى السهم ، وهى التى حث النبى صلى الله عليه وسلم على التدرب عليها والرمى بها<sup>(1)</sup> ، ولأول وهلة عند سماع لفظة السهم يمر على خاطرنا معنى السرعة وخفة الحركة ، وشدة وسرعة النفاذ فى الإصابة ، وهذا هو ما استخدمه "أسامة" من صفات لهذه الأداة ؛ فقد وصف السهم فى قصيدة للملك الصالح مطلعها : (2)

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر      لتحيا بنا الدنيا ، ويفتخر العصر

حيث وصف فيها الجنود الشجعان المقدمون على غمار الحرب بكل قوة وبسالة ينطلق كل واحد فيهم كالسهم ، وقد وصف السهم هنا بالقوة والسرعة حيث قال : (3)

ترى كل شهم فى الوغى مثل سهمه      نفوذاً ، فما يثنيه خوف ولا كثر

وفى تأكيد آخر على وصفه للسهم بالسرعة ، يوظف الشاعر مشهد هزيمة عدو المسلمين البرنس ، وفراره بكل ذعر وبسرعة شديدة ؛ حتى أن من يراه كأنه يسابق سهام المسلمين وفى ذلك قال " أسامة " : (4)

قولى يبارى عائرات سهامنا      وفى سمعه من وقع أسيفنا وقر

وفى مكان آخر من القصيدة نفسها يصف لنا الشاعر السهم فى سرعتها ، وما توقعه من أثر مباشر فى الهدف ، فيصفها بالرعذ فى القوة والسرعة وذلك عند فتح الحصون المستعصية ، حيث يقول : (5)

وأضحى عليه للسهم وللظبا      ورقع المذاكى الرعد والبرق والقطر

1 - حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مر النبى صلى الله عليه وسلم - على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبى صلى الله عليه وسلم - : " ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بنى فلان " . (حديث صحيح ) أخرجه البخارى (كتاب الجهاد باب التحريض على الرمي) واللفظ له ، وهو برقم (2899) فى (فتح البارى) ، أحمد فى مسنده (برقم 16480) ، وابن حبان فى صحيحه (1646) ، والطبرانى فى الكبير (174/3) ، وسعيد بن منصور فى سننه (2456) ، والحاكم فى المستدرک (2 / 94) . "ينتضلون" : أى يرتمون بالسهم (لسان العرب 6 / 4456) ، مادة [ نضل ] .

2 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 201

3 - المرجع السابق ص 203

4 - المرجع السابق ص 204

5 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

وفى قصيدة أخرى يصف الشاعر السهم وكيف أنه يحتاج الى برّى ؛ليكون مسنوناً ،وحتى يحقق إصابة بالغة ومباشرة فى هدفه ، ومن المعلوم أن الريش الذى يوضع فى مؤخرة السهم كى يعمل على إنزانه فى الهواء عند انطلاقه ، ولكن المدهش فى هذا الوصف أن الشاعر يتخيل أن من يفعل ذلك فى السهام للمسلمين ؛ هو الدهر ،فيقول: (1)

والدهر لا ينفك يبى      برى،أو يريش لنا النبلا (2)

وفى هذا إشعار بقدرته هو وقومه فى خوض غمار الحروب وأتون المعارك طيلة حياته .

---

1 - ديوان أسامة د.أحمد أحمد بدوى ص 216 .

2 - برى السهم : نحته. وراش السهم : ألزق عليه الريش . النبلا : السهام . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

( د ) - الخيل .

وتظهر عند شاعرنا بعض الأدوات الأخرى والتي تستخدم في الحرب وذكرها كثيراً في قصائده ، وهي من الأهمية بمكان حيث تذكر ، ومن أهمها الخيل ؛ فهي رمز الجهاد والقتال وهي رمز النصر ، وفي شأنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " (1) ، وحين يُذكر الخيل يستحضر الإنسان صورة المعركة ، فنرى الظلمة المنبعثة من غبار المعركة والذي ينبعث من حركة الخيل السريعة ، ونسمع صوت صليل السيوف وحركة المقاتلين ونشعر بحرارة أنفاسهم .

وفي قصيدة قالها "أسامة" في "نصر بن الأفضل" يمدحه فيها ، استخدم فيها وصف الخيل مع باقي الأدوات لتكتمل صورة المعركة ؛ فهو يصف لنا عزيمة "نصر بن الأفضل" الجادة للغزو ، وليس هناك برهان أدلّ على ذلك من أن يجد الإنسان البرهان واضحاً مسموعاً ، فمن أراد أن يعرف صدق هذه العزيمة ، أجابه صليل السيوف وكذلك صهيل الخيول ، قال أسامة في ذلك : (2)

وأجابته بالصليل سيوف      ظامنات ، وبالصهيل خيول

وكان "طلانغ" قد أرسل "لأسامة" قصيدة مطلعها : (3)

ألا هكذا في الله ثمضى الغزائم      وتمضى لدى الحرب السيوف الصوارم

فأجابه "أسامة" بقصيدة استخدم فيها وصفاً متكاملًا لأدوات الحرب ، وبالطبع لم ينس الخيل التي هي رمز النصر والخير ، فجعل للخيل نصيب كبير في هذه المنظومة المكونة من جنود ورماح وخيول ، فهي وسيلة الحركة في الحرب ؛ فيها يكون الكر والفر ، فقال فيها : (4)

رمى العدا بالأسد في أجَم القنا      على الجرد ، نقتاد الردى وهو راغم

فجعل أسامة هذه المنظومة هي التي تسوق الموت والهزيمة للأعداء ، وكذلك قال في قصيدة مطلعها : (5)

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر      لتحيا بنا الدنيا ، ويفتخر العصر

1 - (حديث صحيح) ، أخرجه: البخاري في الجهاد والسير 2849 ، والنسائي في الخيل 3573 ، ومالك في الجهاد 1016 ، أحمد في المسند 2005 ، جميعهم من طريق عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

2 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 192

3 - المرجع السابق ص 220

4 - المرجع السابق ص 224

5 - المرجع السابق ص 201

رد بها على قصيدة للملك الصالح ، واصفاً الخيل وما لها من دور في المعركة التي كانت بين المسلمين و"بلدوين" ملك الفرنج ؛ حيث استخدم الشاعر الخيل بشكل جيد ؛ فقد جعلها شاهداً على هزيمة الفرنج وعلى كثرة القتلى ، فقال : (1)

وقد كان لون الخيل شتى فأصبحت      تعاد إلينا ، وهي من دمهم شقر

فقد أبرز الشاعر صورة الخيل ووصفها بأنها كانت قبل المعركة مختلفة الألوان ما بين أسود وأبيض وغير ذلك ، ولكنها صارت بعد المعركة بلون واحد ؛ وهو اللون الأحمر ، وهو دليل على كثرة قتلى الأعداء وهزيمتهم المفجعة .

ثم تحدث الشاعر في القصيدة نفسها مستخدماً الخيل كأداة من أدوات المعركة في موقعة كانت بين المسلمين وبين أحد ملوك الفرنج ، فقد إستخدمها كوسيلة لمطاردة هذا الملك المهزوم الهارب من أتون المعركة فقال : (2)

وما تنثني عنه أعة<sup>(3)</sup> خيلنا      ولو طار في أفق السماء به النسر

أى لن نكف عن مطاردته وتعقبه بالخيل ولو طار في السماء ، وهذا دليل على الإصرار والعزم التام على تعقبه وأسره.

ويؤكد الشاعر على فكرة التباهي والاستقواء بالخيل ، وإعتبارها أداة مهمة وأساسية في إبراز قوة الجيش ؛ حيث يقول في البلاد والحصون التي صَعَبَ على المسلمين فتحها ؛ أن إذلالتها وإخضاعها وفتحها ؛ إنما يكون بالرعد والبرق والقطر ، والرعد عند شاعرنا هي السهام والسيوف هي البرق ، ووصف شاعرنا الخيل بالقطر أو بالمطر فكما أن البرق والرعد مقدمات لسقوط المطر ، كذلك فإن السهام تسدد وتصوب تجاه العدو كمقدمات للحرب ، وكان هذه المقدمات تمهيداً لما هو أهم منها وهو الخيل المدربة القوية التي عليها الفرسان ومعها النصر ، وحول هذا المعنى يقول أسامة : (4)

وأضحى عليه للسهام وللظبا      ورقع المذاكى<sup>(5)</sup> الرعد والبرق والقطر

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 202

2 - المرجع السابق ص 204

3 - أعة : جمع عان : وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة ( الوجيز ص 438)

4 - ديوان أسامة ص 204

5 - المذاكى من الخيل : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .



ثم يصف شاعرنا نفسه بعد أن تَمَرَّسَ في الحياة وأصبح مجرباً خبيراً بها بعد أن قاتل وهو ابن خمس عشرة سنة إلى أن صار بهذه الخبرة؛ يشبه نفسه بالخيّل ، فوصف خير الخيّل بتلك التي تَمَرَّست وخاضت غمار الحروب ، فصارت خبيرة مجربة ، وعبر عنها بقوله: " خير الخيّل ماقرحاً "؛ أى ما انتهت أسنانه وصار فرساً ماهراً فى الكر والفر ، فقال (1) :

لخمس عشرة نازلت الكمأة<sup>(2)</sup> إلى أن شبتُ فيها، وخير الخيّل ما قرحاً<sup>(3)</sup>

وكان الشاعر قد أخذ هذا الوصف للخيّل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- حيث قال: " خير الخيّل الأدهم الأقرح "<sup>(4)</sup> ، وهنا نشعر بسعة اطلاع الشاعر ومعرفته بالحديث النبوى الشريف .

وهكذا نرى مهارة الشاعر فى استخدامه لهذه الأدوات من أدوات المعركة ؛ فقد إستخدمها كعلامة للنصر والقوة والشجاعة ، ودليل على هزيمة العدو ، ودليل على شدة بأس المسلمين .

---

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 209

2 - الكمى : وهو الشجاع ، أو لايس السلاح . المرجع السابق للصفحة نفسها "بالهامش" .

3 - قرح الفرس كمنع : انتهت أسنانه ، فهو قارح ، وذلك عند إكمال خمس سنين . المرجع السابق للصفحة نفسها "بالهامش" .

4 - جزء من حديث أخرجه الترمذى فى سننه برقم(1696)وابن ماجة فى سننه برقم(2789) أحمد فى مسنده ، برقم ( 22460 ) كلهم عن أبى قتادة مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم . والحديث صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (3273) .

(هـ) - الدرع :

الدرع من أدوات الحرب الأخرى والتي تظهر في أشعار "أسامة" لوصف المعارك الحربية ؛ ولكن على استحياء في بعض قصائده .

فمثلاً نجد الدروع التي منها ما يلبسها المقاتل للحماية من ضربات الأعداء ، أو مايمسكها بيده للوقاية من ضربات السيف المباشرة ، فتلك التي تلبس تظهر في قوله : (1)

وثير<sup>(2)</sup> حشايانا السروج، وقمصنا الدروع، ومنصوب الخيام لنا قصر

وقولة للملك الصالح : (3)

والق الأعداء بجدٍّ لا يخونك إن حانت غداة اللقاء البيض والزغف (4)

ومن الملاحظ في شعر وصف المعارك الحربية عند "أسامة" ؛ أن أكثر الأدوات ذكراً وبروزاً هي : " السيف " ، ثم الرمح ، ثم الخيل ، ثم السهم على الترتيب ، وجميعها أدوات تستخدم في الهجوم ، أما أقلها ذكراً فهي : " الدروع " ، وهي تستخدم للدفاع عن النفس ، وفي هذا إيحاءً قويٍّ لما يريد الشاعر أن ينقله لنا؛ فشعوره الدائم بالشجاعة والقوة والغلبة يجعله دائماً في موقف المهاجم .

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 203

2 - وثير : الفرائش الناعم اللين ( الوجيز ص 660 )

3 - ديوان أسامة ص 185 .

4 - الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهاش"

#### 4- وصف الأبراج والقلاع والحصون وما يتصل بها

نظراً لكثرة المعارك التي دارت بين المسلمين والفرنج في هذه الحقبة من التاريخ- حقبة الحروب الصليبية- وما نتج عنها من فتوحات إسلامية كثيرة ، فقد كان من الطبعي أن يكثر وصف الشعراء في هذه الحقبة للحصون والأبراج والقلاع التي فتحها المسلمون ، وكيف كانت صعوبتها ، فكيف بمن حضر هذه المواقع وشهد فتح تلك الحصون ؟ ، وكيف إن كان هذا الذي حضرها "أسامة بن منقذ" ؟ .

لقد ظهر هذا اللون من الوصف في قصائد "أسامة" كثيراً ؛ حيث نقل لنا وصف هذه الحصون مع كثرتها وصفاً يطول أو يقصر حسب الحاجة والبيان ؛ ففي قصيدة من قصائده الطوال ، والتي رد بها على قصيدة كتبها "طلانغ" (1) :

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر

وهي طويلة يذكر فيها "طلانغ" مواقع وسراياه إلى الفرنج وتسييره الجيوش ، فأجابه "أسامة" بهذه القصيدة الطويلة التي مطلعها : (2)

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر لتحيا بنا الدنيا، ويفتخر العصر  
والتي جاء فيها وصفٌ لكثير من الحصون والقلاع والأبراج التي فتحها المسلمون وكان "أسامة" مشاركا في فتحها .

يبدأ "أسامة" وصفه لتلك الحصون : بأنها كانت مستعصية أبية في فتحها ، وكأنه يصرح بذلك ليبين لنا قوة من فتحها ، حيث تم فتحها عنوة وبالقوة على يد المسلمين على حد قوله : (3)

إذا استغلفت شم الحصون فعندنا مفاتها: بيض ، مضاربها حمر  
ثم يشرع "أسامة" في وصف تلك الحصون والقلاع التي فتحت وكانت مستعصية ؛ حصناً حصناً ، وقد سبق الإشارة إلى مناسبة كل موقعة منها ؛ وذلك عند الحديث عن وصف مشاهد القتال ، فبدأ بحصن "الرها" حيث قال : (4)

فتحنا الرها حين استباح عداتنا حماها ، وسنى ملكها لهم الحتر

1 - ديوان "طلانغ بن رزيك" د. احمد أحمد بدوى ص 63

2 - ديوان أسامة د. احمد أحمد بدوى ص 201

3 - المرجع السابق ص 204

4 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

فهو يصف هذا الحصن بأنه كان فريسة سهلة للفرنح عندما سقط في أيديهم بسبب المكر والخديعة، ولكن استعاده المسلمون بعد أن هزموا الفرنج شر هزيمة وصارت الأبقار أسيرات بيد المسلمين ، دلالة على الذلة والمهانة، فقال : (1)

**جعلنا طلي الفرسان أعماد بيضنا**      **وملأنا أبقارها الفتكة البكر**

ثم يعرج الشاعر بعد ذلك على وصف حصن من الحصون العاتية على حد وصفه وهو "تل باشر" ، فهو يقول في وصفه أن الأكاسرة الأشداء والملوك الأقوياء عجزوا عن فتحه لمنعته وتحصنه القوي ، ولكن فتحه المسلمون : (2)

**ونحن فتحنا تل باشر بعدها**      **وقد عجزت عنه الأكاسرة العر**

ثم ينقل لنا وصف حصن آخر من الحصون القوية ، والذي كان مليئاً بالجنود والعناد ؛ وهو "تل عزاز" ، وقد كان ذو جدران قوية ، ولكن صبحته جيوش المسلمين ففتح بإذن الله ، ولم تمنعهم تلك الجنود ولا تلك الجدران من فتحه والإستيلاء عليه ، فقال في ذلك : (3)

**وتل عزاز صبحته جيوشنا**      **فلم تحمنا الرجال ولا الجنر**

وهكذا ينتقل بنا الشاعر من حصن إلى حصن واصفاً بإيجاز أهم السمات الغالبة عليه ، وكان الشاعر من كثرة هذه الحصون لم يتسع له الوقت للإسهاب في وصفها ، ويمر عليها مرأ سريعاً ولا يقف إلا على تلك التي تحتاج إلى وقفة ؛ وذلك لتمييزها عن غيرها بالمنعة أو لأنها كانت تعلق في ذهن الشاعر ، فمن تلك التي احتاجت إلى وصف أكثر من غيرها ، حتى وكأننا نراها رأى عين ؛ برج الرصاص ، والذي جعل الشاعر اسمه وصفه ، فهو يصفه لنا كأنه بالفعل سد من الرصاص ؛ لقوته ، وكان الشاعر يريد أن يوضح : أنه ما كان فيه أي ثغرة يمكن الدخول منها ، ولكنه يعود ويقول : أن الرصاص ليس له إلا ما يذيبه ويصهره ؛ وهو لهيب جيش المسلمين ، والذي يصفه بالتحاسن الذائب المنصهر الذي ما إن وقع عليه حتى أذابه ، فيقول : (4)

**وملأنا إلى برج الرصاص وإنه**      **لكالسد، لكن الرصاص له قطر**

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 204.

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

4 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

ثم يصف لنا الشاعر حصناً من الحصون وهو "حارم" وكيف أنه صار حزيناً كما يتصوره الشاعر لما حدث فيه من آثار الخراب والدمار من جراء المعارك ، وقد صار أهله وسكانه تحت الحصار ، فيقول : (1)

### وأضحت لأتطاكية حارم شجى وفيها لها والساكين بها حصر

ثم يبدأ الشاعر في وصف حصون أخرى ولكن بإيجاز ، فيبدأ في مزاجتها في البيت الواحد أو يذكر أكثر من اثنين ، فهو يجمع مثلاً بين حصن "كفر لاتا" ، و "هاب" قائلاً : (2)

### وحصن كفر لاتا وهاب تدانيا لنا، وذراها للأثوق به وكر

أي أن هذين الحصنين قد ذلا وخضعا للمسلمين ، وليس خضوعاً عادياً بل قمة الخضوع ، وقد كانا من قبل مضرباً للمثل في استحالة الوصول إليهما والنيل منهما .

ثم يوالى الشاعر الحديث والوصف بإيجاز عن باقي الحصون فيقول في حصن "باسوط" "وقورس" أن فتحهما كان مليئاً بالصعاب ولكنها ذلت وتيسرت للمسلمين ؛ وذلك بسبب الصبر الذي ما أن يتقدم حتى يعقبه النصر ، فقال أسامة في وصفهما : (3)

### وفى حصن باسوطا وقورص ذلت الصر عاب لنا، والنصر يقدمه الصبر

ثم يصف لنا حصنين من الحصون التي كانت صعبة جداً في فتحها وكانت مستعصية ، فما كان هناك من سبيل للمسلمين في فتحها إلا بمواصلة الليل بالنهار قتالاً وحصاراً ، وهما "قامية" ، و "البارة" حيث قال فيهما : (4)

### وفامية والبارة استنفذتهما لنا همة من دونها الفرغ والغفر

ومن تلك الحصون التي وصفها "أسامة" أيضاً بالصعوبة والعسر في فتحها ؛ لشدة تحصينها ، ولكن بذل الله بفضله هذا العسر إلى يسرهما "بسر فود" ، و "أنب" وقد وصفهما أسامة فقال : (5)

### وحصن بسر فود وأنب سهلت لنا واستحال العسر، وهو لنا يسر

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 205 .

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

4 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

5 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

ثم يُقرّد "أسامة" حصناً من الحصون بالوصف في بيت بمفرده وهو حصن "راوندان" وهو إن دل على شيء فإنما يدل على أهميته ومكانته في نفس الشاعر ، وبالفعل يؤكد أسامة على ذلك ؛حيث يقول: أنه حصن ليس له مثيل في قوة تحصينه وشدته ومنعته على المسلمين ،وما من شيء يسهل هذه الصعاب إلا قهر المسلمين له ، وفتحه عنوة وقهراً كما يقول "أسامة": (1)

وما مثل راوندان حصن وإنه      لمنتع ، لو لم يسهل له القسر

وهكذا نجد تلك الحصون والقلاع والأبراج التي فتحها المسلمون كثيرة جداً حتى أن أسامة يعجز عن سردها تفصيلاً ،ولهذا يُجمل لنا الشاعر وصفها بأنها كانت كمثيلات مما ذكره باسمه ؛من حيث القوة والمنعة والصعوبة فيقول : (2)

وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى      ومزروعات لا يحيط بها الحصر

---

1 - ديوان أسامة د.أحمد أحمد بدوي ص 205 .  
2 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

## 5 - وصف الجيوش

يُعدُّ وصف الجيوش من الأغراض المهمة في شعر وصف المعارك الحربية ؛ فهي - أى الجيوش - العامل المؤثر في أى معركة حربية ، وبها يكون النصر الحقيقي على أى عدو ، فما فائدة الأدوات الحربية الحديثة والفتاكة بيد جنود وقوادٍ لا يملكون عزيمة القتال والرغبة فى النصر؟ ، وعلى العكس من ذلك ؛ فكثيراً ما يتحقق النصر على يد جيوش لها عزيمة قوية وإخلاص فى تحقيق النصر ، ولم تكن تملك من العدة والعتاد إلا القليل ، وخير مثال لنا ما حدث للمسلمين فى غزوة بدر ، ومن هنا يتضح لنا أن أى مكسب حقيقي يقاس بمقدار ما تحققه الجيوش من مكاسب فعلية على الأرض .

وقد كان من الطبعي ألا يغفل شاعرنا هذا الغرض المهم فى شعر وصف المعارك الحربية ألا وهو وصف للجيوش ، والتي بها الصلّ والجول على الأعداء وبها الكر والفر ، وقد أجاد "أسامة" فى وصفه لجيوش المسلمين فى قصائده التى وصلت إلينا ؛ فمثلاً فى قصيدته التى كتبها "طلائع بن رزيك" رداً على قصيدته التى مطلعها : (1)

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر

رد "أسامة" بقصيدة أولها : (2)

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر لتحيا بنا الدنيا ، ويفتخر العصر

وصف فيها "أسامة" جيوش المسلمين بأن النصر حليفها دوماً ، وقد عرفت الطيور الجارحة هذه العادة ، فأصبحت تسير معها كى تأخذ غنيمتها من جثث القتلى من أعداء المسلمين ، وهذا البيت يرمز لانتصارات الجيوش الإسلامية الكثيرة المتوالية والتى صارت كأنها عادة ملازمة لهم ، وعن هذا المعنى قال أسامة : (3)

تسير إلى الأعداء والطيور فوقنا لها القوت من أعدائنا ، ولنا النصر

وقد أكد "أسامة" على هذا المعنى فى مكان آخر فقال : (4)

تسير جيوش الطير فوق جيوشها لها كل يوم من عداها ولا تم

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 63

2 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 201

3 - المرجع السابق ص 203

4 - المرجع السابق ص 224

ثم وصف "أسامة" بعد ذلك جيش المسلمين بعدة أوصاف كلها تدل على اليأس والقوة والشجاعة، والتي تدخل الرعب والرهبة في قلوب الصليبيين، فبأسهم يذيب الصخر من قوته ، وهم كالأسود عندما تلاقي فرائسها ، وكالسهام التي يحملونها ؛ في المضاء والعزيمة ، يضاف إلى ذلك كله؛ أنهم يرون في الموت خلوداً لهم ، وهم يتمنون هذا الخلود من كل قلوبهم ، فإذا كان الموت أمينة لهم، فلنا أن نتوقع كيف يكون لقائهم عدوهم . قال أسامة : (1)

|  |                                    |
|--|------------------------------------|
| ولطفاً له بالماء ينبجس <sup>(2)</sup> الصخر    | فبأس يذيب الصخر من حر ناره         |
| أسود الشرى عنت لها الألم <sup>(3)</sup> والعفر | وجيش إذا لاقى العدو ظننتهم         |
| نفوذاً، فما يثنيه خوفاً ولا كثر                | ترى كل شهيم في الوغى مثل سهمه      |
| لهم في الوغى الناب الحديدية والظفر             | هم الأسد من بيض الصوارم والقنا     |
| سقاء لقوم قتلهم عندهم عمر                      | يرون لهم في القتل خلداً، فكيف بالـ |

ونلاحظ أن "أسامة بن منقذ" يكرر وصفه لجيوش المسلمين بالأسود التي تنقض على فريستها فلا تبقى لها أثراً .

أما الفرنج فإنهم يهابون لقاء المسلمين ويحذرون من ذلك أشد الحذر ، فعندما وقعت المعركة التي دارت بين المسلمين وبين "بلدوين" حاكم بيت المقدس ، بدا للصليبيين ما كانوا يحذرون من قوة المسلمين وشدة بأسهم . يقول أسامة : (4)

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| وعدائهم كسر الفرائس والهصر   | برزنا له كالليل فارق غيله |
| وبان له من بأسنا البؤس والشر | وسرنا إليه حين هاب لقاءنا |

ثم يصف الشاعر هذه المرة جيوش الفرنج ، وبالتحديد تلك الواقعة التي قتل فيها المسلمون "البرنس" ؛ حيث يصف لنا "أسامة" جيوش الفرنج بالجيوش العظيمة الجرارة كثيرة العدد من الفرسان والجنود ، وهو ما أراد بذلك إلا أن يشيد بمدى قوة جيوش المسلمين التي هزمت هذه الجيوش وقتلت قائدها ، أي أن جيوش المسلمين لا تنتصر على عدد قليل ضعيف ولكن على جيوش ضخمة قوية وفي منتهى القوة . يقول أسامة : (5)

|  |                                 |
|--|---------------------------------|
| تَحَفُّ به الفرسان والعسكر المَجْرُ <sup>(6)</sup> | قَتَلْنَا البرنس، حين سار بجعله |
|--|---------------------------------|

- 
- 1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 203
  - 2 - إنجيس : تفجر . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .
  - 3 - الألم من الظباء : المشربة بياضاً . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .
  - 4 - المرجع السابق ص 202
  - 5 - المرجع السابق ص 203
  - 6 - المجر : الجيش العظيم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .



ثم يصف لنا "أسامة" جيش العدو بأنه تشتت فلم يبق إلا الأسرى بعد أن انقسم ذلك الجيش المهزوم إلى نصفين ما بين أسير وقتيل . يقول "أسامة" : (1)

ولم يبق إلا من أسرنا ، وكيف بالـ      سبقاء لمن أختنّ عليه الظُّبَا البُتر

ثم قال : (2)

وخلى لنا فرسانه وحماته      فشطّر له قتلّ ، وشطّر له أسر

ثم يعود الشاعر ليؤكد على وصفه لجيوش المسلمين بالأسود الضارية في غير موضع من قصائمه أخرى ، فيقول مثلاً في قصيدة قالها في "نصر بن الأفضل" : (3)

كل أرض فيها من الأسود جيشٌ      سائرٌ فوقه من السمير غيلٌ  
فهو يصف الجيوش بالأسود التي تعلوها غابة من الرماح .

وفى قصيده أخرى ردّاً بها "أسامة" على قصيدة "طلّاع بن رزيك" واستهلها "طلّاع" بقوله : (4)

ألا هكذا في الله ثمضى العزائم      وتمضى لدى الحرب السيوف الصوارم

يقول "أسامة" واصفاً جيش المسلمين الذي سيره "طلّاع" لقتال الفرنج بالأسود التي تقود الموت أمامها لأعدائها : (5)

رمىّ العدا بالأسد في أجَم القنا      على الجُرد ، تقتاد الردى وهو راغم

ثم يصف "أسامة" هذا الجيش بالسيل الجارى الذى ضاق به الفضاء ، فاجتاح الأعداء إجتياحاً واكتسحهم اكتساحاً ، فما وجدوا مَقَرّاً ولا مهرباً ، فيقول : (6)

بمثل أتى السيل ، ضاق به الفضاء      وضاق على الأعداء منه المخارم

---

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 203.

2 - المرجع السابق ص 204

3 - المرجع السابق ص 192

4 - المرجع السابق ص 220

5 - المرجع السابق ص 224

6 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

7 - الأتى : السيل يأتى من موضع بعيد . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

وقد كرر "أسامة" هذا الوصف للجيش بأنها في الكثرة والقوة وسرعة الإقدام على خوض الحرب كالسيول في أماكن أخرى من قصائده ،فقال مثلاً : (1)

ورأى النقع راكباً دون مجرى الشـمس ،والأرضَ بالجيش تسيل  
وقال أيضاً في مكان آخر يصف جيوش المسلمين بموج البحر الشديد التأثير في ليل  
بهم مظلّم ؛ليزيد من رعب الموقف : (2)

سرايا كموج البحر ، في ليل عثير (3) به من عواليهم (4) تجوم نواجم

وفي قصيدة "لأسامة" يرد بها على قصيدة "الطلّاح" ؛يصف أسامة الجيوش الإسلامية بالوصف نفسه ،ولكن هذه المرة يصف الأساطيل البحرية بالموج المتلاطم وذلك دلالة على كثرتها وقوتها وشدة بأسها فيقول : (5)

غزوتهم في البحر ،حتى كأنما الـ ساساطيل فيه موجه المتلاطم

ثم يصف مشهد الفرسان على ظهور سفنهم كأنها الطير في سرعتها ولكن بلا أجنحة حيث يقول : (6)

بفرسان بحر ، فوق دهم كأنها على الماء طير ، مالهـن قوادم (7)

وفي قصيدة أخرى قالها في "نصر بن الأفضل" يصف "أسامة" جيوش المسلمين وأساطيلهم في عيون الفرج المذعورين ؛فالجيوش من كثرتها كأنها القمم العالية وأساطيل المسلمين كأنها موج البحر المتلاطم قال أسامة : (8)

فالربى عنده جيوشٌ وموج الـ بحر في كل لجة (9) أسطول  
وهكذا نرى كيف أن وصف الجيوش في شعر وصف المعارك الحربية عند "أسامة" عنصرٌ مهمٌ ،وإدأه أساسية من أدواته التي يرسم بها لوحاته الفنية ،فتخرج لنا لوحة حربية زاهية الألوان تكاد تتطلق بصوت المعركة .

1 - ديوان أسامة د.أحمد أحمد بدوي ص 192

2 - المرجع السابق ص 224

3 - العثير : التراب . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

4 - العوالي : جمع عالية وهو أعلى القناة ، أو رأسه ، أو النصف الذي يلي اسنان الرمح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

5 - المرجع السابق ص 226

6 - المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

7 - القوادم : ريشات في مقدم الجناح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

8 - ديوان أسامة

9 - اللجة : البحر المتلاطم الأمواج ( الوجيز ص 191 )

## ثانياً : وصف المعارك عند " طلائع بن رُزَيْك "

- 1- الحث على الجهاد
- 2- وصف مشاهد القتال
- 3- وصف أدوات الحرب
- 4- وصف الأبراج والقلاع  
والحصون وما يتصل بها
- 5- وصف الجيوش

## 1 - الحث على الجهاد

كان "نور الدين محمود" من أبرز الأبطال الذين عُقدت عليهم الأمل للقضاء على الفرنج في حقبة الحروب الصليبية ، وقد عَيَّرَ الأدب خير تعبير عن آمال البلاد فيه ، فأقبل الشعر والنثر عليه ؛ لحثه على مواصلة الجهاد والقتال ، وها هو ذا الملك الصالح "طلائع بن رزيك" الوزير المصري يرسل إلى "أسامة بن منقذ" ؛ كي يحث "نور الدين" ، على أن يتفقا معا على جهاد الفرنج ، أحدهما من الشمال والآخر من الجنوب ؛ فيقضيا على الفرنج معا .

وقد كان "طلائع" من أشد المتحمسين لحرب الفرنج والداعين إلى وحدة الجهود في هذا السبيل ، ومما كتبه من ذلك إلى "أسامة" بن منقذ قوله : (1)

**كره الشام أهله ؛ فهو محقوق بالآل يقيم فيه لبب  
إن تجلت عنه الحروب قليلاً خلقتها زلازل وخطوب**

وهنا نجد أن الشاعر يقرر أمراً يظنه واقعاً بات فيه أهل الشام ؛ ألا وهو أنهم صاروا محل سخط وكره من تلك الأرض التي يعيشون على ظهرها ؛ فلماذا فما من عاقل يرتضى لنفسه أن يقيم على أرض قد أعلنت عن سخطها عليه ، وكان من آثار هذا السخط أن كثرت الحروب في هذه البقعة ، ولا تلبث تلك الحروب أن تتجلى حتى تعقبها الزلازل والمصائب والابتلاءات الشديدة ، ثم يوضح الشاعر ظنه واعتقاده لسبب غضبة أرض الشام ؛ إعلان سخطها على أهلها فيقول : (2)

**إن ظني، والظن مثل سهام الرمي: منها المخطي، ومنها المصيب  
أن هذا لأن غدت ساحة القدس وما للإسلام فيها نصيب  
منزل الوحي قبل بعث رسول الله ، فهو المحجوج والمحجوب**

فهو يقول أن السبب فيما صار إليه أهل الشام حسب ظنه ، والظن مثل سهام الرمي قد يكون مصيباً أو مخطئاً ، على حد قوله ؛ هو ساحة القدس وما يحدث فيها من أحداث ، ثم يصف هذا المكان ومكانته في الإسلام بأنه كان منزل الوحي في زمن سيدنا عيسى -عليه السلام- وقبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد كان مقصداً للزيارة وشدة الرحال قبل أن يغتصبه الفرنج ، أما الآن وقد صار أسيراً بيد الفرنج ؛ فقد أصبح محجوباً عن الزيارة والصلاة فيه ، ثم يستطرد الشاعر في توضيح مراده وقصده عن سبب غضبة الأرض وسخطها على أهلها فيقول : (3)

**نزلت وسطه الخنازير والخمر ، وبارى النافوس فيها الصليب**

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" ص 59 ، 60 ، جمعه وبوبه وقدم له د. أحمد أحمد بدوي ط. مكتبة النهضة - مصر

2 - المرجع السابق ص 60

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

أى أن السبب هو تدنيس الأرض بما فعله الفرنج الغاصبون ؛ فقد صارت الأرض الطاهرة المقدسة -أرض بيت المقدس - مرتعاً للخنازير النجسة ،ومكاناً لشرب الخمر المحرمة ، ومكاناً لإبراز شعائر الكفر ؛من دق نواقيسهم ،ورفع صليبيهم المزعوم .

ثم يستنكر الشاعر هذه الحملة الهمجية وما تتبعها بقوله : (1)

لورآه المسيح لم يرض فعلاً زعموا أنه له منسوب

أى أن المسيح الذي يزعمون الانتساب إليه ، ويزعمون أن حربهم ما كانت إلا بأمره وانتصاراً له كذباً وزوراً وبهتاناً ، لو رأى أفعالهم هذه من تدنيس الأرض واستباحة العرض لم يرض بها ولا تكررهما عليهم .

ثم يتهم الشاعر على أولئك الهمج بأنهم كالأنعام بل هم أضل ؛لأنهم يعتقدون أن ربهم الذى يعبدونه قد صلبٌ وغدبٌ فيقول : (2)

أبعد الناس عن عبادة رب الناس قومُ إلههم مصلوب

ثم يستنير الشاعر النخوة والحمية بتحسره على القدس وما صار إليه ؛ فقد أصبح خالياً من أهله الأصليين من المسلمين ،وصار مرتعاً لهؤلاء الضلال الكفار من الفرنج وأعوانهم فيقول : (3)

لهف نفسي على ديار من السكان أقوت، فليس فيها عريب(4)

ثم يمهّد الشاعر لنفسه قبل دخوله فى صلب الموضوع وهو طلب الوحدة مع "نور الدين" فيقول لأسامة : (5)

وجهاد العدو بالفعل والقول على كل مسلم مكتوبٌ

أى أن الله قد فرض الجهاد بالقول والفعل على كل مسلم ،ثم يستنير عند "أسامة" النخوة والحمية ،بقوله : (6)

1 - ديوان" طلائع بن رزيك " د.أحمد أحمد بدوى ص 60

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

4 - أقوت الدار : خلت . ما فيها عريب : أحد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

5 - المرجع السابق ص 61

6 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت ، إذ تشبُّ الحروب

أى أن لك تاريخاً مُشْرِقاً ومكانة عظيمة في الأمرين: جهاد العدو بالسيف وباللسان وقد كان الشاعر معجباً بمواهب "أسامة" في الحرب والسلام ، يرى فيه محارباً شجاعاً وشاعراً مُفْلِقاً ، وخطيباً بارعاً ، وحكيماً في إبداء الرأي صائباً فيه ، ولهذه الأسباب فقد وجد فيه بغيته وطلبه في لعب دور الوساطة بينه وبين "نور الدين"؛ يحرضه على أن يجتمعاً معاً على حرب الصليبيين في وقت واحد ، حتى تتشكَّت وحدتهم ، ولا يستطيعون الحرب في جهتين ، ثم يعتمد الشاعر لهدفه مباشرة فيقول: (1)

فانهض الآن مسرعاً ، فبأمثالك مازال يُدركُ المطلوب  
والق عنا رسالة عند نور الدين ، ما في إلقاتها ما يريبُ

وهنا قد وصل الشاعر إلى بيت القصيد ، وهو طلبه من "أسامة" تسليم رسالة إلى "نور الدين محمود" ، وقد جاءت هذه الرسالة مشحونة بعبارات الحث على الجهاد وإثارة الحمية والنخوة ثم طلب الاتحاد لمواجهة العدو فقال فيها: (2)

أيها العادل الذي هو للدين شباب ، وللحروب شبيب (3)  
والذي لم يزل قديماً عن الإسلام بالعزم منه ثجلى الكروب  
وغداً منه للفرنجة إذا لاقوه يوم من الزمان عصيب (4)

فيدأ بإثارة حمية "نور الدين" بذكر مفاخره وشجاعته في الحروب ؛ فهو ناصر الدين ورمز شبابه ، ثم يصفه بأنه للحروب شبيب ؛ يريد "شبيب بن يزيد الشيباني" أحد كبار السائرين على بنى أمية وقد كان بطلاً في الحرب ، ثم وصفه بأنه حامى حمى الإسلام ، والذآب عن بيضته منذ أول عهده ، ووصفه بقوة بأسه وشجاعته في حربه للفرنجة بلا هوادة ولا رحمة ؛ حتى صار يوم لقائهم "بنور الدين" في الحرب من أشد الأيام عليهم ، ثم يَعرِضُ الشاعر عرضه على "نور الدين" بأن يتحداً معاً لمواجهة الفرنجة واعداء "نور الدين" بأنه لن يخلف وعده معه ، فهو يُمضى ما يقول : (5)

غيرنا من يقول ما ليس يُمضيه بفعل ، وغيرك المكذوب

1 - ديوان "طلح بن رزيق" د. أحمد أحمد بدوي ص 61

2 - المرجع السابق ص 63

3 - يريد شبيب بن يزيد الشيباني أحد كبار الثائرين على بنى أمية ، وكان بطلاً في الحرب. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

4 - العصيب : الشديد . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

5 - المرجع السابق ص 62

ثم يشرح طلبه ومراده فيقول : (1)

قصدنا أن يكون منا ومنكم أجلّ في مسيرنا مضروب

ثم نجد الشاعر يواصل حثه "نور الدين" على الوحدة، ويعزز طلبه هذا بعرض كل ما يمكن تقديمه لإغراء "نور الدين" على الإقدام على هذا التحالف فيقول : (2)

فلدينا من العساكر ما ضاق      بأدناهم الفضاء الرحيب  
وعلينا أن يستهّل<sup>(3)</sup> على الشام ،      مكان الغيوث ، مالّ صبيب

فهو هنا يعبّر بالجيش الضخمة التي يضيق بها الفضاء الواسع ، وبالمال الكثير الذي شبهه بالمطر ، ثم يرى أن اجتماعهم معاً على حرب العدو كفيل بهزيمة شر هزيمة ودحره عن بلاد المسلمين ، فأرسل رسالة أخرى إلى أسامة يقول فيها : (4)

قلو أن نور الدين يجعل فعلنا فيهم مثالا  
ويسير الأجناد جهراً ، كي ينازلهم نزالا  
ويغنى لنا ، ولأهل دولته بما قد كان قالا  
لرايت للإفرنج طراً في معاقلها اعتقالا

وهو يؤكد هنا على طلب الوحدة والحث على لقاء الفرنج وقتالهم ؛ وذلك بأن يُسيّر "نور الدين محمود" جيشاً من عنده بالإضافة إلى جيش "طلانغ" ، فيجعلوا هزيمة الفرنج مضرباً للأمثال .

وقد أرسل "طلانغ" قصيدته هذه وغيرها إلى "أسامة بن منقذ" ليكون وسيطه لدى "نور الدين" ، لأنه يراه خير من يحمل عبء الرسالة ، وهو يؤكد على هذا المعنى في مكان آخر ، حيث كتب إلى "أسامة" هذه القصيدة بخط يده يقول فيها : (5)

أيها المنقذ<sup>(6)</sup> أنت على البعد صديق لنا ، ونعم الصديق  
ليس فيما تأتيه من ير أفعالك للطالب الحقوق عقوق  
فلهذا ترى مواصلة الكتب تباعاً إليك مما يليق

1 - ديوان "طلانغ بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 62 .

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها

3 - استهّل المطر : اشتد انصبابه . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

4 - المرجع السابق ص 85

5 - ديوان "طلانغ بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 81 ، 82

6 - نسبة إلى منقذ : أحد أبناء أسامة . المرجع السابق ص 81 " بالهامش" .

ونرى هنا كيف يضع "طلّاع بن رزيك" ثقته الكاملة في وساطة "أسامة" لدى "نور الدين" لحثه على الجهاد وطلب الوحدة بين مصر والشام ، فهو يصفه بالصادق بل ؛ نعم الصديق ؛ ولهذا لا يمل الشاعر من تكرار المحاولة لتحقيق هدفه ، فهو يعقد جُلّ أمله في تحقيق هدفه على "أسامة" فيقول :<sup>(1)</sup>

**ونناجيك بالمهمات إذا ، أنت بالقائها إليك خليك**

ثم يحدث على الجهاد بقوله :<sup>(2)</sup>

**وأهم الأمور أمر جهاد الكفر ، فاسمع فعندنا التحقيق**

ثم يطلب "طلّاع" من "أسامة" أن يستحث "نور الدين محمود" على جهاد الفرنج فيقول مخاطباً "أسامة" :<sup>(3)</sup>

**مالهذا المهم مثلك ، مجد الدين ،فانهض به ،فانت حقيق  
قل له ، لاعداه رأى ، ولا زال لديه لكل خير طريق :  
انت في حسم داء طاغية الكفار ذاك المرجو والمرموق**

وهنا يطلب من "نور الدين" استئصال شأفة الفرنج بقتالهم فهو جدير بذلك ،وهو أمل المسلمين في تحقيق هذه الأمنية ،ثم يحثه على اغتنام الفرصة بجهاد الكفار حتى يحظى بأجر الجهاد ومثوبته العظيمة ، فيقول :<sup>(4)</sup>

**فاغتنم بالجهاد أجرك ، كي تلقى رفيقاً له ، ونعم الرفيق**

ولما حدثت الوحشة بين "نور الدين محمود" وبين "قلج أرسلان" ، ووقعت الحرب بينهما ، عز ذلك على الصالح "طلّاع" وتآلم أن يرى جهود كل منهما تنصرف إلى قتال صاحبه ، وتتمزق وحدثهما بدلا من أن تتحد جهودهما وتتجه إلى عدوهما المشترك ،وهو الفرنج ، فقال يحثهما على قتال العدو :<sup>(5)</sup>

**ويعلم وجه الرأي ، والرأي ميهم  
يوفق للأمر الذي هو أحزم  
وما أخذ مما قضى الله يسلم**

**نقول ولكن أين من يتفهم  
وما كل من قاس الأمور وساسها  
وما أخذ في الملك يبقى مخذلاً**

1 - ديوان "طلّاع بن رزيك" د.أحمد أحمد بدوي ص 82

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها

4 - المرجع السابق الصفحة نفسها

5 - المرجع السابق ص 51



وهنا نجد أن الشاعر يخاطب "فلج أرسلان" ، وقد كتب إليه ينهاء عن هذه الحرب بينه وبين "نور الدين" محمود مبيناً له أن هذا خطأ فادح ، ورأى مرجوح ، ومع أنه من السياسة المشهورين إلا أنه لم يوفق في هذا الرأي ، وهو محاربة "نور الدين محمود" ، فلم التناحر على متاع زائل ؟ ، فلا الملك باقى ولا أحد على وجه الأرض يسلم من قضاء الله وقدره فهو واقع به لا محالة ، ولا رادُّ لقضائه جلَّ وعلا ، ثم يستنكر الشاعر موقف الفرقة والحرب والتناحر بعد الوحدة فيقول : (1)

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| أمن بعد ما ذاق العدا طعم حربكم | بقيهم ، وكانت هي صاباً وعلقمُ |
| رجعتم إلى حكم التنافُس بينكم   | وفيكُم من الشُعاء نارٌ تُضرمُ |
| أما عندكم من يتقى الله وحده    | أما في رعاياكم من الناس مسلم  |

أى :بعد ما ذاق الفرنج مر الهزيمة على أيديكم ،وكنتم قوة واحدة ،دبت بينكم الفرقة والتنافس على الملك وصار بينكم من الشُعاء ما يوجب النيران العظيمة ، ثم يتساءل أليس في كلا الفريقين من يتقى الله ويوقف هذه الحروب ؟ ، أليس في رعاياكم مسلم واحد يستحق أن تحقنوا دمه لوجه الله تعالى ؟ ، ثم يرجو الشاعر ويستحث كلا منهما على الوحدة ونبذ الفرقة فيقول : (2)

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| تعالوا لعل الله ينصر دينه | إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم |
| وننهض نحو الكافرين بعزيمة | بأمانها تحوى البلاد وتقسم    |

وهنا نرى الرغبة الملحة في تناسي المنصب الفاني ومتاع الدنيا الزائل ، والاتجاه إلى أسمى الأهداف وأشرف الغايات ؛ وهي نصره دين الله تعالى ومحاربة الكافرين الفرنج بعزيمة قوية تُشتردُّ على أثرها كل أرض المسلمين المغتصبة وعلى رأسها بيت المقدس .

وفى قصيدة أخرى يخاطب "طلّاح" "أسامة بن منقذ" طالباً منه أن يقوم بالدور نفسه - دور الوساطة - بينه وبين "نور الدين محمود" فيقول : (3)

فانهض ، فقد أنببت ، مجد الدين ، بالحال الجلية  
ألم بنور الدين واعلمه بهاتيك القضية

وهو يقصد بـ "القضية" : تلك الموقعة بينه وبين الفرنج والتي انتصر فيها "طلّاح" وجيشه ، وسوف يأتي الحديث عن هذه الموقعة -إن شاء الله- بالتفصيل عند الحديث عن

1 - ديوان "طلّاح بن رزيك" د.أحمد أحمد بدوى ص 51 ، 52

2 - المرجع السابق ص 52

3 - المرجع السابق ص 109

مشاهد القتال ، ثم يطلب من أسامة حث "نور الدين" على قتال الفرنج فهو جدير بذلك ، وحتى يقضى على فلول الفرنج التي بقيت بعد موقعة "طلائع" معهم ، وهو يستثير نخوته تجاه الدين لنصرته ، فإن لم يكن لذلك ، فلأجل ملكه ، فإن لم يكن ، فحمية لأهله وعرضه وأرضه ، قال "طلائع": (1)

فهو الذى ما زال يخلصُ منه أفعالٌ ونيةٌ  
أويبيد جمع الكفر بالبيض الرقاق المشرقية (2)  
ففساه ينهض نهضة يُقنى بها تلك البقية  
إما لنصرة دينه أو ملكه أو للحمية (3)

وفي قصيدة أخرى يعاتب الشاعر فيها "نور الدين محمود" على مهادنة الفرنج بعض الوقت ، ويطلب منه مواصلة القتال ، فليس هناك أسلوب لاسترداد الأرض إلا بالقوة ، وكأنه يريد أن يقول أن ما أخذ بالقوة لا يُرد إلا بالقوة ، فيقول : (4)

فقولوا لنور الدين : ليس لجائف (5) الجراحات إلا الكى فى الطبِّ والبط (6)  
وحسم أصول الداء أولى لعاقل لبيب ، إذا استولى على المُدْتَفِ (7) الخُط (8)

وهو هنا يشبه الفرنج بالجرح المتقيح المنتن ، والذي ليس له علاج إلا الكى بالنار ، فلا يصلح لعلاج المرض المستحل فى العضو ، إلا البتر ، ففى هذا علاج أصل المرض قبل انتشاره فى باقى الجسد ، ثم يعرج على "نور الدين" معاتباً إياه على مهادنته للفرنج قائلاً : (9)

فدع عنك ميلاً للفرنج وهدةً بها أبداً يخطى سواهم ، ولم يخطوا  
ثم يناشده أن يتأمل حال عدوه وغدره ، وكيف أن الكافر لا عهد له ولا شرط ، وكيف نقضوا عهداً سبق ، فيقول : (10)  
تأمل ، فكم شرطٍ شرطت عليهم قديماً ، وكم غدر به نقض الشرط

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوى ص 109

2 - المشرقية : السيوف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

3 - الحمية : الألفة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

4 - المرجع السابق ص 69

5 - جائف المينة : انتنت ( الوجيز ص 129 )

6 - بط الجرح : شقه . الديوان ص 69 "بالهامش" .

7 - المُدْتَف : المريض . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

8 - الخياط بالكسر : أن يخالط الرجل فى عقله . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

9 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

10 - المرجع السابق ص 70

ثم يحثه على الاتحاد معه لقتال الفرنج ، فيعلمه أنه قد أعد العدة وجيز الجيوش لقتال الفرنج معه في أى وقت وعلى وجه السرعة فقال :<sup>(1)</sup>

وشمر ، فإننا قد أعنا بكل ما سألنا ، وجهزنا الجيوش ، ولن يُبطوا  
ويبدو أن الشاعر قد شعر من "نور الدين" تباطؤاً في تحرير بيت المقدس فأراد أن  
يشحذ همته ويستثير نخوته ، فكتب إليه قصيدة عن طريق "أسامة" أولها :<sup>(2)</sup>

أيها السائر المُجدُّ إلى الشام تبارى ركابه<sup>(3)</sup> والخيول  
قال فيها معاتباً :<sup>(4)</sup>

فابلغن قولنا إلى الملك العادل ، فهو المَرْجُو والمأمول  
قل له : كم تماطل الدين فى الكفار ، فاحذر أن يغضب الممطل

أى قل له إن الله تعالى سوف يغضب عليه بسبب مهادنته الفرنج وتباطؤه فى قتالهم ،  
ثم يستحثه على السير مباشرة الى "بيت المقدس" وقاتل الفرنج الغاصبين فيقول :<sup>(5)</sup>  
سر إلى القدس ، واحتسب ذاك فى الله ، فبالسير منك يُشفى الغليلُ

أما إن لم تفعل وأبطأت فى سيرك فإن الله هو حسبنا ونعم الوكيل -على حد قول  
الشاعر :<sup>(6)</sup>

وإذا ما أبطأ مسيرك قاله إذا حسبنا ونعم الوكيلُ

وكما نرى فقد كان الشاعر شديد اللفتة فى أن يعقد مع "نور الدين" حلفاً يهاجمان به  
عدوهم المشترك فى جبهتين مختلفتين وفى وقت واحد ، ليجتاحاه معاً ، ويستردا ما اغتصب  
من أرض المسلمين ، ونجد فى شعره هذه الرغبة عنيفة متأججة ؛ فهو كثيراً ما يرسل إلى  
"أسامة بن منقذ" يصف له ما قام به من حملات ، وما أحرزه من انتصارات ، ويوسطه لدى  
"نور الدين" ؛ كى يحرضه على الإتحاد والتحالف لغزو الفرنج معاً ، فيقول :<sup>(7)</sup>

ألا هكذا فى الله ثمضى العزائم  
وتمتزلُّ الأعداء من طود<sup>(8)</sup> عزهم  
وتمضى لدى الحرب السيوف الصوارم  
وليس سوى سمر الرماح سالام

1 - ديوان طلائع بن رزيك "د. أحمد أحمد بدوى ص 70 .

2 - المرجع السابق ص 86

3 - تبارى : أى تتبارى . وباراه : عارضه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

4 - المرجع السابق ص 87

5 - المرجع السابق الصفحة نفسها

6 - المرجع السابق الصفحة نفسها

7 - المرجع السابق ص 92

8 - الطود : الجبل العظيم ( الوجيز ص 396 )

وهو هنا يضرب المثل بكيفية قتال العدو بعزيمة قوية وسيوف بتارة ، فيُنزل الأعداء رغماً عنهم من أوج عزهم وسلطانهم بالقوة والقهر ، ثم يوضح كيف يكون الدفاع عن الأرض والمقدسات بأسلوب الهجوم ، فهو خير وسيلة للدفاع يقول :<sup>(2)</sup>  
وَتُعْزَى جِيوشُ الْكُفْرِ فِي عُقْرِ دَارِهَا وَيُوطَا حَمَاهَا ، وَالْأَنْوْفُ رَوَاغِمُ

وفى سبيل هذا يبذل كل غالي ونفيس من الأنفس والأموال ، فهذا نذرٌ نذروه وقد وفوا به ، يقول الشاعر فى ذلك المعنى :<sup>(3)</sup>

وَيُوفَى الْكِرَامُ النَّادِرُونَ بِنَذْرِهِمْ وَإِنْ بُذِلَتْ فِيهِ النُّفُوسُ الْكَرَائِمُ

وهو طلب غير مباشر للاتحاد على قتال الفرنج ، ثم يعود ويوجه الطلب مباشرة ويجعل حثه "لنور الدين" صريحاً فيقول :<sup>(4)</sup>

فَقُولُوا لِنُورِ الدِّينِ ، لَا قُلْ حَدَه  
تَجَهَّزْ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ ، وَلَا تُهِنْ

وهو هنا يدعوا لجهاد العدو ، ويحذره من أن يدب فى عزمته الوهن والفتور لاستيلاء الفرنج على حصن "حارم" .

وعن سقوط حصن حارم فى أيدى الفرنج يقول الرئيس أبو يعلى :<sup>(7)</sup> " فى أوائل المحرم من سنة 553 هـ تناصرت الأخبار من ناحية الفرنج المقيمين بالشام - خذلهم الله تعالى - بمضايقتهم لحصن حارم ، ومواظبتهم على رميه بحجارة المجانيق <sup>(8)</sup> إلى أن ضعف ومُلك بالسيف " .

ثم يعود الشاعر ويواصل حثه "لنور الدين" على جهاد العدو ؛ كنوع من الشكر لله تعالى على أن نجاه من الموت بعد مرضه الشديد ، ثم يشجعه كعادته على القتال وذلك بوعده إياه :

أنه سيكون دوماً إلى جواره فى ساحة القتال كعهده لقتال الفرنج ، فقال :<sup>(1)</sup>

فَقُمْ ، وَاشْكُرِ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضَةٍ  
فَنَحْنُ عَلَى مَا قَدْ عَهَدْتَ : تَرْوَعُهُمْ  
إِلَيْهِمْ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لِلْخَلْقِ لَازِمٌ  
وَنَحْلِفُ جَهْدًا أَنَّنَا لَا نَسَالِمُ

2 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوى ص 92

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها

4 - المرجع السابق ص 99

5 - الغشم : الظلم . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

6 - حصن حارم : حصن حصين وكورة جبلية تجاه أنطاكية وهى الآن من أعمال حلب (معجم البلدان 2 / 205 )

7 - الروضتين ( 361/1 - 362 ) " بتصرف يسير "

8 - مفردتها منجنيق : هو من أسلحة الحصار ، يقذف به الأحجار والذهب . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

1 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوى ص 100

## 2- وصف مشاهد القتال

سجل الأدب خلال مرحلة الحروب الصليبية كل ما دار من معارك كانت بين المسلمين والفرنج ، ووصف هذه المعارك وصفاً دقيقاً ورسم صوراً حية لمشاهد القتال ، حتى أن القارئ لهذا الوصف من شعر أو نثر يشعر وكأنه في ساحة القتال ، يسمع صوت صيحات الجنود ، وصليل السيوف ، وصهيل الخيول ، ويرى بريق السيوف كالنجوم الالامعة في ظلام دامس ، ويشعر بخفقات القلوب ، وأنين الجرحى وتساقط القتلى قبل مصرعهم .

وقد كان من رؤاد هذه الحقبة الشاعر والوزير المصري "طلائع بن رزيك" ، الذي كتب كثيراً من القصائد الشعرية ، والتي أرسلها إلى الأمير "أسامة بن منقذ" ، ووصف فيها مشاهد القتال التي دارت في معاركه التي انتصر فيها على الفرنج وصفاً حياً نابضاً ، وكان من هذه المراسلات قصيدته التي أرسلها إلى أسامة يشرح فيها حال معركة من معاركه مع الفرنج مطلعها : (1)

ألا هكذا في الله تَمْضِي العزائم وتمْضِي لدى الحرب السيوف الصوارم

وممن أَرْخَ لهذه المعركة "أبو يعلى" حيث يقول في أحداث سنة 553 هـ : " وفي أوائل ربيع الأول ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق وافر من عسكرها إلى غزوة وعسقلان ، وأغاروا على أعمالها ، وخرج إليهم من وكان بها من الفرنج الملاحين ، فأظهر الله تعالى المسلمين عليهم قتلاً وأسراً ، بحيث لم يفلت منهم إلا اليسير ، وغنموا ما ظفروا به وعادوا سالمين ظافرين . وقيل : إن مقدم الغزاة في البحر ظفر بعدة من مراكب المشركين وهي مشحونة بالفرنج ، فقتل وأسر منهم العدد الكثير ، وحاز من أموالهم وعددهم وأثاثهم ما لا يكاد يحصى ، وعاد ظافراً غانماً " . (2)

ويقول "أبو شامة" : وأرسل إلى مؤيد الدولة أسامة بن منقذ من مصر وزيرها الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك قصيدة يشرح فيها حال هذه الغزاة . (3)

ومن هذه القصيدة التي تقدم أولها يقول "طلائع" : (4)

نذرنا مسير الجيش في صقر ، فما مضى نصفه حتى انتثنى وهو غانم  
وهو هنا يصف لنا الإستعداد لهذه الغزوة ؛ بأنهم نذروا مسيرة في شهر صفر فما انتصف الشهر حتى من الله عليهم بالنصر .

1 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوي ص 92

2 - الروضتين ( 1 / 362 ، 363 )

3 - المرجع السابق ( 1 / 363 ) " بتصرفاً "

4 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوي ص 93

وعن خط سير هذا الجيش وما لاقاه من صعاب ومشاق يقول : (1)

بعثناه من مصر إلى الشام قاطعاً  
أى اتجه من مصر إلى الشام قاطعاً الفيافي والقفار مسرعاً السير، بروح معنوية عالية  
، ليل نهار ، ثم يصف الشاعر جيوشه وصفاً مفصلاً سيأتي ذكره عند الكلام على وصف  
الجيوش ، ثم ينتقل الشاعر إلى وصف مشاهد قتال المعركة فيقول : (5)

وواجههم جمع الفرنج بحملةٍ  
تُهونُ على الشجعان منها الهزائم

أى بدأت المعركة بمواجهة جموع الفرنج الموفورة العدد المستكملة العدد ، والتي  
ألقت بنفسها في أتون الحرب ؛ مما يجعل الشجعان الأقوياء لا يجدون عاراً إذا ما  
انهزموا ؛ لصعوبة هذا الموقف وشدة هذه المواجهة ، ولكن كان حال جيشه مع هذه  
الجموع ؛ أن لقوهم بثبات وتأهب لافتراسيم وكسرهم ، فاحتوهم جميعاً داخل صفوفهم  
لكثرتهم وقوتهم ؛ فهزموهم وقضوا عليهم، يقول "طلائع" فى ذلك : (6)

فلقوهم زُرْقَ الأسنةِ ، وانطَوأ  
عليهم ، فلم يتَّجم من الكفر ناجمٌ (7)

ب- ثم وصف لنا الشاعر كيف أن الحروب والوقعات بين جيوشه وجيوش الفرنج مازالت  
على أشدها إذا ما تلاقى الفريقان فقال : (8)

وما زالت الحرب العوانُ (9) أشدها  
إذا ما تلاقى العسكر المتصادم

ثم يصور الشاعر لنا ساحة المعركة إذا ما أقيلت عليها الجيوش ؛ كموج بحر عظيم  
متلاطمة أمواجه ، ولا يبقى جندى فيه إلا وقد قاتل بضرارة وبسالة ، فلا نكاد نجد رماً سليماً  
من شدة الضرب والطلعن ، ثم جاء دور السيوف لئسَّ من أغصانها ، ففُطِعَ الرعوس وتَجَزَّ  
رقاب الفرنج فقال : (10)

- 1 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوى ص 93
- 2 - المفاوز : جمع مفازة ، وهى الغلاة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 3 - الوخذ للبعير : الإسراع فى السير . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 4 - العيس : الإبل البيضاء ، يخالط بياضها شقرة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 5 - المرجع السابق ص 97
- 6 - المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 7 - نجم : ظهر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 8 - المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 9 - الحرب العوان : هى التى قوتل فيها مرة بعد مرة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 10 - المرجع السابق ص 98

يُشَبِّهُهُمْ مَنْ لَاحَ جَمْعُهُمْ لَهُ      بَلْجَةً بِحَرِّ مَوْجِهَا مِتْلَاطِمِ  
وحسبك أن لم يبقَ في القوم فارسٌ      من الجيش إلا وهو للرمح حاطمٌ<sup>(1)</sup>  
وعادوا إلى سَلِّ السيف ، فَقَطَّعَتْ      رعوسٌ ، وَخَزَتْ للفرنج غلاصمٌ<sup>(2)</sup>

ثم نجد الشاعر يصف مشهداً آخر من مشاهد النصر على عداء الدين من الفرنج الكافرين ، فيصف فيه ما آل إليه حال الفرنج بعد لقائهم بجيوشه؛ ما بين مقتول وغريق وجريح ، فيقول :<sup>(3)</sup>

وعَقِيْبُهُ فَتَحَ الْإِلَهِ بِلُطْفِهِ      باب الظهور على غداة الدين:  
ما بين مقتولٍ ، ورامى نَفْسِهِ      غرقاً ، ومجروح ، وبين طعين

ثم ينتقل بنا الى جانب آخر من المعركة ؛ حيث دور أسطوله القوى العظيم الذى أجهز على من تبقى من فلول الكفر وبقايا الشرك ، يقول :<sup>(4)</sup>

واستَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ      بالنفس منه على الطَّبَا<sup>(5)</sup> بضنين  
وفى مشهد آخر من المشاهد التى تمخضت عنها المعركة ؛ مشهد الأسرى من رجال ونساء مكبلين بالقيود جنباً إلى جنب ؛ حيث القوة والقسوة إلى جانب الضعف واللين يقول :<sup>(6)</sup>

فَرَنَ النِّسَاءَ إِلَى الرِّجَالِ ، فَأَشَبَّهُوا      خَلَطَ الْقَسَاوِرَ<sup>(7)</sup> بِالظَّبَّاءِ الْعَيْنِ<sup>(8)</sup>

وفى قصيدة من قصائد "طلائع" التى أرسلها إلى "أسامة" يخبره فيها بحال حروبهِ وانتصاراته على الصليبيين يقول :<sup>(9)</sup>

يَهْتِكُ أَنْ جِيوشَنَا      فَعَلَتْ فَعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ  
سَارَتْ إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ      أَبْطَالِهَا مَائِثًا سَرِيَّةِ  
فَنُغَيِّرُ هَذِي بَكْرَةً      وَتَعَاوِدُ الْأُخْرَى عَشِيَّةِ  
فَالسَّوِيلُ مِنْهَا لِفَرَنْجٍ      جَ ، فَقَدْ لَقُوا جَهَنَّمَ الْبَلِيَّةِ

- 
- 1 - الخطم : الكسر . ديوان " طلّاح بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوى ص 98 " بالهامش " .
  - 2 - الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الحلقوم . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
  - 3 - المرجع السابق ص 105
  - 4 - المرجع السابق ص 106
  - 5 - الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، أو سنان ، أو نحوه . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
  - 6 - المرجع السابق الصفحة نفسها .
  - 7 - القساوير : جمع قسورة : الأسد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
  - 8 - العين : جمع عيئة ، وهى حسنة العينين واستعتهما . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
  - 9 - المرجع السابق ص 108

أى أن جيوشه قد انتصرت على الفرنج وكسرتهم كسرة شنيعة ، فقد سارت إليهم مائتا سرية من الأبطال العتاة ، والذين لم يهادنوا الأعداء ، فكانت غاراتهم مستمرة بالليل والنهار حتى أجهدوا الأعداء جهداً شديداً وأبلوهم بلاءً عظيماً .

وفى قصيده أخرى كتبها "طلائع" إلى "أسامة" جواباً على قصيدته ، وأولها :<sup>(1)</sup>  
**هى البدرُ ، لكن الثريا لها قرط<sup>(2)</sup>**  
**ومن أنجم الجوزاء فى نحرها سمط<sup>(3)</sup>**  
يصف لنا كيف أن الفرنج لما علموا من قوة جيشه وسطوته طالبوا الهدنة ، ولكنه رفض وفضل الحرب على المهادنة ، ثم يصف لنا الشاعر هول المعركة ؛ حيث الأرواح تُزهِقُ لمجرد المعاناة ، والأصوات تختلط وتضطرب من الدهشة لهذا الهول العظيم ، فقال :<sup>(4)</sup>

**وحرب لها الأرواح زاهقة لما**  
**تُعائِن ، والأصوات من دَهَش لَغَط<sup>(5)</sup>**  
وفى مشهد آخر يصف لنا الشاعر موقعة كانت بين جيوشه وجيوش الصليبيين بالقدس ؛ حيث كان النصر فيها من نصيب المصريين ، حيث يأخذ الشاعر فى وصف هول هذه المعركة ؛ فيصف لنا بأس وقوة خيوله وكثرتها ، والتي جعلت جبال القدس المرتفعة وكأنها أرض مستوية من سرعة جريان الخيل عليها وكثرتها :<sup>(6)</sup>

**جعلنا جبال القدس فيها ، وقد جَرَتْ**  
**فقد أصبحت أوعارها وحزونها<sup>(9)</sup>**  
**عليها عتاق<sup>(7)</sup> الخيل كالقنف<sup>(8)</sup> السُهْب**  
**سهولاً ، ثوطاً للفوارس والركب**  
ثم يصور لنا الشاعر ساحة القتال لما أشدت وطيس المعركة وأشتبكت السيوف والرماح ؛ فإذا بالدماء تهطل مكان الأمطار فتفيض بحاراً من الدم فوق جبال القدس من كثرة القتلى وكثرة ما يتساقط من رعوس الأعداء فيقول :<sup>(10)</sup>

**ولما غدت لا ماء فى جنباتها**  
**وجادت بها سحُب الدروع من العدا**  
**صبنا عليها وإبلاً من دم سكب**  
**نجيعاً<sup>(11)</sup> فأغتتها الغداة عن السُحْب**  
**ولكن بحاراً منه فوق جبالها**  
**ولكن بحاراً ليس تعذب للشرب**

- 1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوى ص 64
- 2 - الفرط : ما يعلق فى شحمة الأذن من ذر أو ذهب أو فضة أو نحوها ( الوجيز ص 498 )
- 3 - السمط : قلادة أطول من المخففة . ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوى ص 64 "بالهامش" .
- 4 - المرجع السابق ص 69
- 5 - لغط القوم : لغطاً : اختلطت أصواتهم واستبهمت ( الوجيز ص 559 )
- 6 - الديوان ص 47
- 7 - عتاق الخيل : أى بجانب الخيل ( لسان العرب 4 / 2798 )
- 8 - القنف : المغارة . والسهب : المستوى من الأرض . الديوان ص 47 "بالهامش" .
- 9 - حزن المكان - حزنه : حزنٌ وغلظ . فهو حَزَنٌ ( الوجيز ص 149 ) .
- 10 - الديوان ص 47 ، 48
- 11 - النجيع : الدم . الديوان ص 48 "بالهامش" .



ثم يشير الشاعر مرة أخرى إلى الخيل ،وكيف أنها أغارت مراراً على جيوش العدو وأصابتها بالفرع بعد أن كانت في مأمن ،حتى أن سهيل الخيول من كثرتها أخفت أصوات أهلها وعافت نواقيسهم عن الضرب فيقول :<sup>(1)</sup>

وقد رَوَّعَتْهَا خَيْلُنَا قَبِيلَ هَذِهِ      مَرَاراً، وَكَانَتْ قَبِيلُ أَمْنَةِ السَّرْبِ  
وَأَخْفَى سَهِيلُ الْخَيْلِ أَصْوَاتَ أَهْلِهَا      فَعَاثَتْ نَوَاقِيسَ الْفَرَنْجِ عَنِ الضَّرْبِ

وفى قصيده أخرى أرسلها الملك الصالح إلى "أسامة" مطلعها :<sup>(2)</sup>

أَيُّهَا الْمُنْقَذِيُّ أَنْتَ عَلَى الْبَعْدِ صَدِيقٌ لَنَا ، وَنِعَمَ الصَّدِيقُ

يصف فيها مشهداً من مشاهد القتال دار بين جنوده وبين جنود الفرنج ؛حيث يبين الشاعر كيف كان الصبر والمثابرة والجد من جنوده وسراياه التي كانت تُصَبِّحُ العدو على حين غرّة ، فتستبيح دياره وتكسره كسرة شديدة ،وكيف أنها أبادت الكفار بالقتل والحرق ؛ ليبين بذلك شدة بأس جيشه فيقول :<sup>(3)</sup>

وَاصْلَتْهُمْ مَنَا السَّرَايَا<sup>(4)</sup> ، فَأَشْجَاهُمْ<sup>(5)</sup> بِكُورٍ مَنَا لَهُمْ وَطَرُوقٍ  
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادَ الْقَوْمَ قَتْلَ مَلَازِمٍ وَحَرِيقٍ

ويصف لنا الشاعر مشهداً آخراً لتحرك جيشه الزاحف إلى الشام لحرب الفرنج ؛ يصف لنا ساحه المعركة والظروف الوعرة التي قطعها جيشه في سبيل الوصول إلى الشام من رمال وصحارى جرداء فيقول :<sup>(6)</sup>

سَارَتْ سَرَايَانَا لِقَصْدِ الشَّامِ ، تَعْتَسِفُ<sup>(7)</sup> الرَّمَالَا  
تُرْجَى إِلَى الْأَعْدَاءِ جُرْدَ الْخَيْلِ اتِّبَاعاً<sup>(8)</sup> ، تَوَالِي

ثم يصف لنا ما حدث في "تل العجول" من هزيمة لأعدائه وانتصار ساحق لجنوده ؛حيث كثر القتلى لدرجة أنهم قد ملأوا التلال المحيطة بساحة المعركة ،أما عن الأسرى فكثير ،

1 - ديوان" طلائع بن رزيك " د.أحمد أحمد بدوى ص 48

2 - المرجع السابق ص81

3 - المرجع السابق ص82

4 - السرايا : جمع سرية ، وهى الجزء من الجيش . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

5 - أشجاء : أحزنه . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

6 - المرجع السابق ص84

7 - اعتسفت الطريق : خبط على غير هداية . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

8 - اتباع : يأتى بعضها خلف بعض . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

ومنهم رعوس القوم وأقرباء قائد العدو وآل بيته ، وأما عن الاموال والغنائم فكثيرة جداً قد استاقها جنود "طلائع" :<sup>(1)</sup>

هذا ، وفي تلّ العُجُول<sup>(2)</sup> مَلَانٌ بالقتلى التللا  
إذ مرَّ مرّى<sup>(3)</sup> ليس يَلَوَى<sup>(4)</sup> نحو رَفَقَتِهِ اشتغالا  
واستاق عسكرنا له أهلاً يُحِبُّهُمْ ومالاً

وأرسل إلى "أسامة" ليصف له ما فعله الأسطول المصري فى الفرنج ، وكيف أن الأسطول قد أوقع بالعدو هزائم وخسائر أكثر مما يكونون يأملون ، مع أنهم كانوا قليلى العدد ، إلا أن الله نصرهم على عدوهم وظفروا منهم بعدة وعتاد عظيم ، فقال فى معرض ذكره لهذا الفتح :<sup>(5)</sup>

جاعنا بعدما ذكرناه فى كتب أتاكم بهن منا الرسول  
أن بعض الأسطول نال من الإفرنج مالاً يناله التأميل  
سار فى قلة ، وما زال بالله وصدق النيات يتمى القليل  
وبقايا الأسطول ليس له بعدُ إلى ساحل الشّام وصول  
فحوى من عكا و أنطُرطوس<sup>(6)</sup> عدة لم يحط بها التحصيل

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوى ص 84 ، 85

2 - تلّ العجول : موضع بالشّام . المرجع السابق ص 84 "بالحامش" .

3 - مرّى : أحد ملوك الفرنج الصليبيين Amary . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

4 - يلوى : ينتظر . المرجع السابق ص 85 "بالحامش" .

5 - المرجع السابق ص 86

6 - أنطُرطوس : بلد ساحلى بالشّام . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

### 3- وصف أدوات الحرب

كان من الطبيعي في عصر شُغِلَ بالحروب والإعداد لها أن نجد في أدبه ما يصور آلات القتال ، ويصف ما يتصل بهذه الحروب من أدوات استخدمها الجنود للفتك بالعدو والنيل منه سواء في البر أو في البحر ؛من سيف ،ورمح ،وسهم ،ودرع ،وأساطيل بحرية ،وما يتصل بها من تجهيزات للقتال ، وقد كان "طلائع بن رزيك" من أولئك الذين خاضوا خِصَمَ هذه المعارك وشارك في رسم معالمها وتحديد نتائجها ، وقد امتلأت قصائده التي وصف فيها المعارك الحربية بوصفه لأدوات الحرب التي أستخدمها هو وجنوده وهي: السيوف ،والرماح ،والسهام ،والخيول ،والدروع ،وكذلك الأساطيل البحرية .

#### (أ) - السيف

نجد السيف في طليعة الأدوات الحربية المذكورة عند شعراء هذا العصر وما سبقه من عصور في وصف المعارك الحربية وما فيها من أدوات أستخدمها الجنود في نزال الاعداء ، فنسمع صليل السيوف عند التهاب نيران المعركة، ولذا نجد هذا عند "طلائع" في وصفه لأدوات الحرب حيث كثر لديه وصف السيف، ومن وصفه له قوله: (1)

لِطَنِينَ السِيُوفِ فِي فَلَقِ الصَّبْحِ عَلَى هَامِ أَهْلِهَا تُطْرِبُ

فهو هنا يسمع صوت السيوف وينقل لنا هذا الصوت الذي يحدث عند ارتطامها برؤس الأعداء وكأنه صوت آلة موسيقية تحدث طرباً عند العزف عليها، ثم يعود مرة أخرى ويرى السيف وكأنه أنسان له كل صفات الأدميين من الشجاعة ، والإقدام ،والقوة ،ورجاحة الرأي وسداده في القرار ، فيراه صاحب الفضل في رد كل جاهل سولت له نفسه من أعداءه أن يجور عليه فيقول (2) :

عسي هو أن يصحو من الجهل، أو يُرَي عليه الحسام المُشْرِفُ (3) مُعْرِداً

ثم يخلع عليه صفة السداد في الرأي فيقول: (4)

فَعَاجِلُهُ مُسْتَحْكَمُ الرَّأْيِ قَدْ عَدَا لِقَهْرِ الْأَعَادِي فِي الْحُرُوبِ مَوْيِّداً

1 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوي ص 63

2 - المرجع السابق ص 49

3- سيف مشرفي: منسوب الى مشرف ،وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ( العمدة لابن رشيق 232/2 )

ط. دار الجبل بيروت ط. الخامسة 1401 هـ - 1981 م .

4 - الديوان ص 49

ونراه يصفه بالقوة وشدة البأس فيقول: (1)

رمى به سهماً مُصيباً ، وإنه  
لدى الحرب مازال القويم المُسدداً

ثم يعود ليصفه بالشجاعة وكأنه الأسد فيقول: (2)

هو الأسدُ الورْدُ الذي عاد سيفه  
إلينا من الضرب الدَّرَكِ المورداً

وفى قصيدة أخرى رد بها الملك الصالح على قصيدة "الأسامة ابن منقذ" بعثها له ، نراه يتباهى بسيوفه في الحرب ، فهي على حد تعبيره لها اليد العليا في كل حرب وبالأخص مع الفرنج الذين قد كتبوا إليه في عقد الصلح ولكنه أبى إلا قتالهم ، وبدلاً من أن يرسل إليهم كلاماً مسطوراً بالأقلام أرسل إليهم جيوشاً تحمل سيوفاً ورمحاً هي الشكل والنقط فوق حروف هذه المعاهدة والتي ستكون كلماتها هي ما تتمخض عنه هذه الحرب ، ثم وصفها بأنها لامعة في وسط ظلام المعركة ، قوية شديدة صلبة أبيّة ، وقد ادخر كل ذلك للعدو فقال: (3)

سللنا بها بيضَ السيوف ، فلاح في  
شباب الدجى لماً بدا لمعها وخط  
سيوفٌ لها في كل درع وجنة (4)  
إذا ما اعتلت قد (5) ، أو اعترضت قط (6)  
ذخرنا سطاهم للفرنج ، لأنها  
بهم دون أهل الأرض أجدر أن تسطو  
لهم قسطهم في الحرب ، ومالها  
عليهم لدى الهيجاء عدلٌ ولا قسط (7)

وعن طلب الفرنج للصلح ورده عليهم بطريقته وأسلوبه السابق يقول :

وقد كاتبوا في الصلح ، لكن جواؤهم  
بحضرتنا ما يُنبئ الخط لا الخط (8)  
سُطُورٌ خيول لا تُعْبُ ديارهم  
لها بالمواضي والقنا الشكل والنقط

وفى مشهد آخر ينقل لنا الشاعر مشهداً حياً للسيوف ؛ حيث نرى كل جندي في الجيش وقد انعكست أشعة الشمس على خورته فبدت لامعة براقّة ، شاهراً سيفه في وجه عدوه ، حاملاً رمحه انتظاراً للقتال (9):

1 - ديوان "طالع بن رزيق" د. أحمد أحمد بدوي ص 49

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها.

3 - المرجع السابق ص 68

4 - الجنة : كل ما وقى . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

5 - القد : الشق طولاً . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

6 - القط : القطع عرضاً . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

7 - القسط بالفتح : الجزر والعدول عن الحق . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

8 - الخط : سيف البحرين ، ومرقاً السفن بالبحر ، وإليه نسبت الرماح ، والخط الثانية : المراد بها الكتابة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

### وَالْبَيْضَ لَامِعَةً ، وَيَبِيضَ (1) الْهِنْد ، وَالْأَسَلَ (2) الشَّهَالَا (3)

ثم يصور لنا حال الجيش ، ففي أثناء التحرك لمواجهة الأعداء نرى وجوه الأبطال عابسة متجهمة ، وإذا سلوا سيوفهم تبدل العبوس إلى سرور ؛ لأنهم يتشوقون للقاء العدو لنيل إحدى الحسنين ولتقتلهم بالنصر عليهم ، قال "طلائع" في ذلك المعنى :<sup>(4)</sup>

إذا ما أثاروا النقع فالتغرُّ عابسٌ وإن جردوا الأسياف فالتغرُّ باسِمٌ

ونرى السيف عند شاعرنا هو الأداة الوحيدة القادرة على حسم المعركة حتى وإن استخدمت أدوات أخرى ، ولكن يظل السيف هو صاحب الكلمة الأخيرة في ساحة الوغى ؛ فهو القادر على الإجهاز على العدو ، ففي معركة كانت بين جيوشه وبين الفرنج نرى جنوده يقاتلون ببسالة فما من جندى إلا وحطم رمحه من كثرة الضرب وشدته - على حد قوله - ، ثم تعود الكرة مرة أخرى للسيف ليقطع أيديهم ورقابهم ، ويجهز على البقية الباقية من فلولهم فيقول :<sup>(5)</sup>

وحسبك أن لم يبقَ في القوم فارسٌ من الجيش إلا وهو للرمح حَاطِمٌ<sup>(6)</sup>  
وعادوا إلى سَلِّ السِوُوفِ ، فَقَطَّعَتْ رَعُوسٌ ، وَخَزَتْ للفرنَجِ غَلَاصِمٌ<sup>(7)</sup>

وفي قصيدة من قصائده التي رد بها على "أسامة بن منقذ" نراه يستفتح قصيدته مفتخراً بعزيمته وعزيمة جنوده القوية الأبية ، ثم نراه يشيد بأهم ما لديه من أدوات وهو السيف ، فهو يراه رمز القوة والشجاعة ، فهو أهم أداة من أدوات الحرب عند شاعرنا ، لذلك فهو يستحق أن يعتز به ويبدأ به ملحمة في الفخر بانتصاراته وقوته فيقول :<sup>(8)</sup>

ألا هكذا في الله ثَمَضِي العزائم وَثَمَضِي لَدَى الْحَرْبِ السِوُوفِ الصَّوَارِمِ

ولعل في كثرة افتخاره بالسيف دليل على شجاعته وحبه للمعارك والقتال فهي الأداة التي يكون بها القتال وجهاً لوجه .

9 - المرجع السابق ص 84

1 - بيض الهند : السيوف ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوي ص 84 " بالهامش " .

2 - الأسل : الرماح . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

3 - النهال : جمع ناهلة ، وهي مختلفة إلى المنهل . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

4 - المرجع السابق ص 97

5 - المرجع السابق ص 98

6 - الحطم : الكسر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

7 - الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الحلقوم . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

8 - المرجع السابق ص 92

## (ب) - الرمح

الرمح من الأدوات المهمة في الحرب عند شاعرنا ، فنراه يذكره كثيراً في معرض ذكره لأدوات الحرب ، فمثلاً نراه يجعله رمزاً للنصر وهزيمة الأعداء ، فغير عن ذلك في هذا المشهد الذي عاد فيه جنوده منتصرين ، ودليل ذلك رماحهم التي تعلوها رعوس أعدائهم، فبدلاً من أن تُرفع أعلام النصر على أسنة الرماح كانت رعوس الأعداء بديلاً عنها ، قال "طلائع" في ذلك :<sup>(1)</sup>

وَعَادُوا إِلَيْنَا بِالرُّعُوسِ عَلَى الْقَنَا وَأَغْنَاهُمْ كَسْبُ النَّاءِ عَنِ الْكَسْبِ

وفي مكان آخر من قصيدة أرسلها "لأسامة" يواسيه على ما أصابه من نوائب :بأن هذا هو حال الدهر فيه الجور والقصْدُ ، وفيه المكروه والمحبوب ، ثم يشبه إصابته بهذه المصائب الشديدة دون غيره بحال الرمح في ساحة المعركة ، حيث يكسر الصدر ويبقى الكعب الذي لا أهمية له أو دون الصدر في الأهمية والمكانة من حيث التأثير في الأعداء وأصابتهم بالموت ، ويقول :<sup>(2)</sup>

هَكَذَا الدَّهْرُ: حُكْمُهُ الْجَوْرُ وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ وَالْمَحْبُوبُ  
إِنْ تَخَصَّصْتُكُمْ نَوَائِبُ مَا زَالَتْ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَنْوِبُ  
فَكَذَلِكَ الْقَنَا : يُكْسِرُ يَوْمَ الرُّوْعِ مِنْهَا صَدْرَ ، وَتَبْقَى كُعُوبُ

وفي القصيدة نفسها يقول :<sup>(3)</sup>

إِنْ يَرِمُ نَزْفَ حَقْدِهِمْ فَلْأَشْطَانِ قَنَاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَلِيبِ

ومن الواضح أن شاعرنا ذو خيال واسع ، وهو مغرم بالتشبيهات البلاغية فتارة يشبه حال الإنسان صاحب المكانة والأهمية بحال الرمح ، وتارة يشبه الرمح براية النصر ، ثم نجده هنا يشبهه بالحبيل الذي يُستقى به من البئر العميق من حيث الطول وشدة تعمقه في قلوب وصدور الأعداء لاستنزاف حقدهم متأثراً بتشبيهه "عنتره" للرمح بالأشطان في قوله :<sup>(4)</sup>

يَذْعُونَ عَنْتِرَ وَالرَّمَاحَ كَأَنَّهُا أَشْطَانُ بئرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ<sup>(5)</sup>

وقد تقدم تصويره للسيف في حربه مع الفرنج بدلاً من الشكل فوق حروف المعاهدة التي رغبوا فيها ورفض الاستجابة لهم وأثر الحروب والقتال ، ففي المكان نفسه شبه الرمح

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 48

2 - المرجع السابق ص 61

3 - المرجع السابق ص 62

4 - البيت من معلقة عنتر بن شداد ( شرح المغلقات السبع للزوزني ص 151 ط. مكتبة المتنبى - القاهرة ) .

5 - الشطن: الحبيل الذي يستقى به ، والجمع الأشطان . اللبان: الصدر . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهاسن" .

بالنقط فوق حروف المعاهدة ، أى أن جوابه باختصار : بدلاً من سطور الكلام المشكل المنقوط كانت سطور الخيل والجنود حاملة الرماح والسيوف ، فقال فى هذا الوصف للرمح :<sup>(1)</sup>

وقد كاتبوا فى الصلح ، لكنْ جَوَابُهُمْ      بحضرتنا ما يُثْبِتُ الخَطُّ <sup>(2)</sup> لا الخطُّ  
سُطُورٌ خيولٌ لا تُغِبُّ ديارهم      لها بالمواضى <sup>(3)</sup> والقنا الشكلُ والنَّقطُ

ونراه وسط صليل السيوف وصهيل الخيل ووسط الضرب والطعن وغبار المعركة ، وسط هذا الجو المملوء بالخوف والرجاء ، والحزن والرعب ، حتى أن الأرواح لتزرق من مجرد المعاينة من هول ذلك المشهد فيقول :<sup>(4)</sup>

وحربٌ لها الأرواح زاهقة لِمَا      تُعاين ، والأصوات من دَهْشٍ لُغْطٍ <sup>(5)</sup>

ثم ينبعث من وسط ذلك كله شعاع من الضوء يحمل لنا معه إحساس الشاعر بالبهجة والفرحة بقوة جنوده وغلبتهم ونصرتهم ، حتى أنه يتخيل ساحة المعركة كأنها فتاة ، وغبار المعركة الأسود الكثيف الملتف كأنه شعرها الأسود ، وهنا يأتى دور الرماح لتلعب دور المشط الذي يمشط هذا الشعر ، وذلك ليوحى لنا بكثرة الرماح وتزاحمها ، والتي تتخلل جو المعركة وكأنها لكثرتها أسنان مشط متراص متساوي ، وهذه الصورة كما نرى مفعمة بجو خصب من الخيال ، وهذا يدل على أن الشاعر يتمتع بخيال خصب ، وقد قال فى المعنى السابق :<sup>(6)</sup>

إذا أرسلت فرعاً من النَّعْجِ قاحماً      أثيثاً <sup>(7)</sup> فأَسنان الرماح لها مُشْطٌ

ثم يصف هذا الجو العصيب والموقف الصعب بالعملية الحسابية الصعبة التى لا تفك طلاسمها إلا أنامل رجل ماهر سريع البديهة فى الحساب ، وما كانت هذه الأنامل الماهرة عند شاعرنا إلا رماحه حيث يقول :<sup>(8)</sup>

1 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوى ص 68

2 - الخط : سيف البحرين ، ومرقاً السفن بالبحر ، وإليه نسبت الرماح ، والخط الثانية : المراد بها الكتابة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

3 - مضى السيف مضاءً : قطع ( لسان العرب 4222/6 ) مادة [مضى] .

4 - ديوان طلائع ص 69

5 - لغط القوم : لغطاً : اختلطت أصواتهم واستبهمت ( الوجيز ص 559 )

6 - ديوان طلائع ص 69

7 - أثٌ الثياب : كثُر والثف ، وهو أثيث : كثير عظيم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

8 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

أَجَدَّ بِهَا فِي السَّرْعَةِ الْجَمْعُ وَالْقَطُّ

كَانَ الْقَتَا فِيهَا أَنَامُلٌ حَاسِبٍ

ولننظر كيف يصول الشاعر ويجول فيخلع على أدواته ما شاء من صفات وقمما شاء ، وفي أى موقف من مواقف المعركة .

وقد وصف الرمح فى مكان آخر من قصيدة طويلة أرسلها "لأسامة بن منقذ" يصف فيها نصره على الفرنج ، ويفتخر فيها بقوة بأسه وبأس جنوده فيقول :<sup>(1)</sup>

وَتَمْضَى لَدَى الْحَرْبِ السِّوْفُ الصَّوَارِمُ  
وَلَيْسَ سِوَى سُمْرِ الرَّمَا حِ سَلَالِمُ

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تَمْضَى الْعِزَانِمُ  
وَتُسْتَنْزَلُ الْأَعْدَاءُ مِنْ طَوْدٍ عَزَّهِمُ

وهنا يصف الرماح بالسلام التي عن طريقها أنزلوا أعداءهم من قمة مجدهم إلى قاع هوانهم ، ومن العز والفخر إلى الذل والصغار ، وذلك لما للرماح من دور كبير مهم ورئيسى فى إنزال الهزيمة بالفرنج .

وفى القصيدة نفسها يصف الشاعر الرمح بأنه رمز الجهاد والقتال بضراوة فى الحرب ، وأنه البرهان على شجاعة فرسانه وقوة بأسهم ، فلا دليل على حسن بلانهم فى قتال العدو أقوى ولا أوضح من أننا لانجد فارساً فى الجيش إلا وقد حطم رمحه من كثرة الطعن والضرب فيقول :<sup>(2)</sup>

وحسبك أن لم يبقَ فى القوم فارسٌ  
من الجيش إلا وهو للرمح حاطِمٌ<sup>(3)</sup>

1 - ديوان " طلائع بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوى ص 92

2 - المرجع السابق ص 98

3 - الحطم : الكسر . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهاشى".



### (ج) - السهم

السهم من الأدوات الحربية المهمة، فهي تُرمى وتُصوّب من على بعد وقبل النزول إلى أرض المعركة، وتستخدم أيضاً أثناء المعركة لتتال من العدو وتشتت قواهم وتصيبهم بالهلع والفرع .

وكثيراً ما يُذكر السهم في شعر المعارك الحربية ووصف المعارك، ولكننا نراه يظهر على استحياء في شعر "طلّاح" لوصف المعارك الحربية وفي وصفه لأدوات الحرب ، وربما يكون ذلك لأن السهم من الأدوات التي لا تكون فيها مواجهة ولا يتسم راميتها بالقوة والشجاعة التي يتسم بها الضارب بالسيف والرامي للرمح ، وبالتالي نذكرها عند شاعرنا ، وربما كان ذلك لاعتزازه بقوته وشجاعته، كما أنه استخدمه -على لُذرة ذكره- مشبهاً به ، فشبه السيف به في دقة الرمي واصابة موضع الضرب ، وشبه ظنه بالسهم أيضاً في الإصابة وعدم الإصابة .

ففي تشبيهه السيف بالسهم قال :<sup>(1)</sup>

رميتُ به سهماً مُصيباً ، وإنه      لَدَى الحرب مازال القويمُ المُسَدِّداً

وفي تشبيهه ظنه بالسهم بأنه قد يخطئ ويصيب يقول :<sup>(2)</sup>

إنَّ ظنِّي، والظنُّ مِثْلُ سِهَامِ الرَّمْيِ :منها المُخْطِئُ ،ومنها المُصِيبُ

وكما أشرنا آنفاً فشاعرنا لا يريد حرباً للتراشق بالسهم مع عدوه عن بُعد ، ولكنه يريد المواجهة مع عدوه وجهاً لوجه ؛ لذلك فهو ليس في حاجةٍ إلى السهم كحاجته لسيفه وفرسه ورمحه .

1 - ديوان "طلّاح بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 49

2 - المرجع السابق ص 60

## (د) - الخيل

من الأدوات المهمة جداً في أرض المعركة والتي لا يستطيع الوصف لمشاهد المعارك أن يغفل عنها هي الخيل ففي وسيلة النقل للجنود لأرض المعركة ،وبها الكر والفر ،وبها إنزال الرهبة والرعب في صدور الأعداء ،ولذلك نادراً ما نجد شعراً من أشعار المعارك الحربية في ذلك العصر وما سبقه من عصور خالياً من ذكر الخيل ،وشاعرنا من أولئك الذين عاصروا هذه المعارك وشاهدها وعاشها فنجد كثيراً ما يذكر الخيل في أشعاره لوصف المعارك فمثلاً يقول<sup>(1)</sup>:

جعلنا جبال القدس فيها ،وقد جرت عليها عتاق(2)الخيال كالنقف(3)السهب

فهو يصف جبال القدس الوعرة بأنها صارت كالأرض المنبسطة من سرعة حركة خيله عليها وكثرتها، وهو هنا يصف خيله ضيقاً بالمهارة والقوة ودرجة التدريب العالية ، في هذه الجبال الوعرة صعبة التضاريس كيف تكون حركة الخيل عليها بهذه السرعة والسهولة إلا إذا كانت على درجة عالية من القوة والمهارة والتدريب ، وتأكيداً على هذا المعنى يقول في مكان آخر<sup>(4)</sup>:

وأبطال حرب من كئامة(5) دوخوا(6) بلاد الأعداء بالمسومة القب(7)

أى أن هؤلاء الرجال الشجعان والفرسان الأقوياء من قبيلة "كئامة" -وهي قبيلة مغربية أنتت مع الفاطميين - قد اتعبوا الأعداء وأصابوهم بالإرهاق والإعياء الشديد ،وذلك بواسطة هذه الخيول المعلمة ،ذات البطون الضامرة ،وذلك دليل على أنها خيول عربية أصيلة .

وفى وصفه لأحد المعارك مع الفرنج يظهر لنا مدى حب شاعرنا لخيله وتدريبها ،فهي القوة المدربة التي تخرق شرق الأرض وغربها تحمل على ظهورها الفرسان الشباب الأقوياء المحنكين المهرة ، ذوى الخبرة والدناء ، فيقول<sup>(8)</sup>:

وتخرق شرق الأرض والغرب خيلنا عليها الشباب المرد ،والجلة الشمط(9)

1 - ديوان "طلات بن رزيك" د.أحمد أحمد بدوي ص47

2 - عتاق الخيل : أى تجانب الخيل ( لسان العرب/4/ 2798 )

3 - النقف : المفازة . ديوان "طلات بن رزيك" د.أحمد أحمد بدوي ص47 "بالحامش" .

4 - المرجع السابق ص48

5 - كئامة : قبيلة مغربية قدمت مع الفاطميين . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

6 - داخ يدوخ دوخا : ذل وخضع ، وداخ البلاد : قهرها واستولى على أهلها ( لسان العرب /2/ 1449 ) .

7 - المسومة : المعلمة . والقب : الضوامر من الخيل . ديوان "طلات" ص48 "بالحامش" .

8 - المرجع السابق ص67

9 - شَمَطُ شعره شَمَطًا: اختلط سواده ببياضه (الوجيز ص350)،والجلة :جمع جليل .وهو العظيم.ومن أسنَّ وأحكمتَه التجارب. (الوجيز ص112) مادة [جَل] .

وفى القصيدة نفسها كان رده على طلب الفرنج للهدنة عملياً بـسُطور خيل بدلاً من سُطور المعاهدة، فوصف الخيول بأنها الكلمات التى تترجم رده على الفرنج فقال: (1)

سُطُورُ خَيْولٍ لَا تُعَبُّ دِيَارَهُمْ      لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا الشَّكْلُ وَالنَّقْطُ

وفى وصفه للخيول وقوتها وشدة بأسها وما تصنعه بالفرنج الأعداء من ترويع وإرهاب يقول: (2)

وَقَدْ رَوَّعَتْهَا خَيْلُنَا قَبْلَ هَذِهِ      مَرَاراً، وَكَانَتْ قَبْلَ آمِنَةِ السَّرْبِ

وهو هنا يضيف الحياة على جبال القدس، وكيف أنها صارت فى حالة فزع ورعب بعدما كانت فى أمان، بل درجة أن أصوات الخيل من كثرتها وشدها قد أخفت صوت استغاثة أهلها بضرب نواقيس الحرب، فقال: (3)

وَأَخْفَى صَهِيلَ الْخَيْلِ أَصْوَاتَ أَهْلِهَا      فَعَاثَتْ نَوَاقِيسُ الْفَرَنْجِ عَنِ الضَّرْبِ

وعن سرعة استجابة الخيل لداعى الحرب وسرعة مبادرتها لمواجهة للعدو يقول عن حصن "الوعيرة" ومن به من جنود: (4)

وَعَلَى الْوَعِيرَةِ مِئْشَرٌ      لَمْ يَعْهَدُوا فِيهَا الْقِتَالَ  
نَهَضَتْ إِلَيْهَا خَيْلُنَا      مِنْ مِصْرَ تَحْتَمِلُ (5) الرِّجَالُ

ومؤكداً على قوة خيله ومهارتها وسرعتها حتى أن الطيور تسابقها فى جو السماء يقول: (6)

تُبَارَى خَيْوِلًا مَا تَزَالُ كَانَتْهَا      إِذَا مَا هِيَ انْقَضَتْ نَسُورٌ قَشَاعِمُ (7)  
فَإِنْ طَلِبْتَ قَصْدًا تُسَاوِينَ سُرْعَةَ      قَوَائِمُهَا (8) فِى جَوْهَا وَالْقَوَائِمُ  
هِيَ الدُّهُمُ أَلْوَانًا وَصَبِغَ عَجَاجَةٍ      فَإِنْ طَلِبْتَ أَعْدَاءَهَا فَالْأَدَاهِمُ (9)

1 - المرجع السابق ص 69

2 - المرجع السابق ص 48

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

4 - ديوان طلائع "بدوي" ص 84

5 - احتمله : حملة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

6 - ديوان "طلائع بن رزيق" د. أحمد أحمد بدوي ص 94

7 - القشع : الممن من النسور والضخم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

8 - القوائد : ريشات فى مقدم الجناح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

9 - الدُّهُم : جمع أدهم . وهو الأسود ، والأداهم : القيود . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

فهو هنا يتباهى بسرعة خيله ومسابقتها للطيور في أفق السماء ، أما عند الهجوم والانقضاض فهي كالنسر القوية الضخمة ، ثم يتباهى بألوانها السوداء شديدة السواد وقد كان اللون الأدغم رمز لقوة الخيل وأصالتها ، ثم هي عند طلب الأعداء كالقيود التي تكبلهم وتشل حركتهم ، وأخيراً فإن الخيل عند شاعرنا رمز للنصر وكسر العدو ؛ فهي إذا ما فارقت أرض مصر تطلب عدواً ما فالنتيجة معروفة مسبقاً ؛ ألا وهي النصر المبين ، فالنصر عند شاعرنا حليفاً ملازماً لخيله على الدوام ، وقد قال مشيراً إلى هذا المعنى :<sup>(5)</sup>

خيولٌ إذا ما فارقت مصر تبتغي      عداءً ، فلها النصر المبين ملأزمٌ

وليس النصر فحسب هو ما ترجع به الخيل ، فهي كما تذهب حاملة على صهواتها الفرسان الشجعان الأقوياء فإنها تعود محملة بغنائم الأعداء ، مثقلة بأحمالها من هذه الغنائم ، والتي تدل على كسر الأعداء وهزيمتهم المنكرة ، قال "طلّاع" في ذلك :<sup>(6)</sup>

سارت سرايانا لقصد الشام ، نعتسِفُ<sup>(7)</sup> الرّمالا  
تُرْجى إلى الأعداء جُرْدُ الخيل أتباعاً<sup>(8)</sup> تَوّاً لى  
ثمضى خفافاً للمُغار بها ، وتأتينا ثقّالا

وهو هنا يصف الخيل بقوتها وسرعتها ، وكذلك كثرتها في تلك السرايا التي أغار بها على الشام أكثر من مرة وكان النصر حليفه وكانت غنائم الفرنج من نصيبه وجنوده في كل مرة .

5 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

6 - المرجع السابق ص 84

7 - اعترف الطريق : خبط على غير هداية . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

8 - اتباع : يأتى بعضها خلف بعض . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

(هـ) - الدرع

من أدوات الحرب ما يُستخدم للهجوم والانقضاض للفتك بالعدو: كالسيف والرمح، والخيول، والسهام، وكذلك ما يُستخدم في الدفاع: كالدرع، والذي يُستخدم في اتقاء ضربات العدو، ومع شاعر ومقاتل يعتز بشجاعته وقوته "كطلائع" نستطيع أن نتوقع المساحة التي سوف يخصصها من أشعاره لذكر ووصف دروعه؛ بالتأكيد أن خُصصَ للدرع من أشعاره كان مساحة صغيرة إذا ما قورنت بذكر الأدوات الحربية الأخرى، فنجدته في قصيدته التي مطلعها: (1)

توالت علينا في الكتائب والكتبِ      بشائرُ من شرقِ البلاد ومن غربِ

يصف الدروع؛ ولكن وصفاً يجعلها كدليل على الهجوم والانقضاض والنصر، وكأنها ليست أداة دفاع عن النفس؛ فهو يصف جبال القدس التي لا ماء في جنباتها بأنها أمطرت بالدماء بدلاً من الماء ويصف الدروع بأنها كانت بمثابة مصدر السحب المملوءة بالدماء من العدا لكثرة القتل فيهم بدلاً من سحب الماء، يقول: (2)

ولمّا غدتْ لا ماء في جَنَبَاتِهَا      صببنا عليها وإبلاً من دم سكبِ  
وجادت بها سحبُ الدروع من العدا      تَجِيحاً (3) فَأَعْتَهَا الغداة عن السحبِ

ثم يترك الشاعر وصف دروعه ليصف دروع أعدائه، والتي كانت على النقيض من وصف دروعه؛ فإنه وصف دروعه وصفاً يجعلها كدليل على قوة جيوش المسلمين، بينما وصف دروع أعدائه وصفاً يجعلها كدليل على هزيمة أعدائه وضعفهم ودليلاً على قوة المسلمين من ناحية أخرى، فقد صارت مُشَقَّة طويلاً وعرضاً، وذلك ليس إلا من أثر ضربات سيوف المسلمين فقال: (4)

سيوفٌ لها في كلِّ دِرْعٍ وَجَنَةٌ (5)      إذا ما اعتلتْ قَدٌّ (6)، أو اعترضتْ قَطٌّ (7)

1 - ديوان "طلّاح بن رزيق" د. أحمد أحمد بدوي ص 47

2 - المرجع السابق ص 47، 48

3 - النجيع: الدم. الديوان ص 48 "بالهامش".

4 - المرجع السابق ص 68

5 - الجنة: كل ما وقى. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

6 - القد: الشق طويلاً. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

7 - القط: القطع عرضاً. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

## (و) - الأساطيل الحربية

كما أن المعارك الحربية تكون في البر وسط صليل السيوف وصهيل الخيول وصيحات الجنود والفرسان فكل ذلك قد يكون في البحر أيضاً ، ففي حقبة الحروب الصليبية كان البحر ميداناً للقتال ؛ وذلك لأن البحر في هذه الحقبة كان يمثل ثغرة دخل منها الصليبيون إلى بلاد الإسلام ، وقد كانت مصر الفاطمية تمتلك أسطولاً بحرياً قوياً مدرباً ، كامل العدة والعتاد ، مجهز بكل تجهيزات الحرب ، وقد خاض "طلائع بن رزيك" بعض المعارك ضد الفرنج مستخدماً أسطوله الحربي للوصول إلى بلاد الشام وظفر فيها بالانتصار على الفرنج ، فأرسل إلى "أسامة بن منقذ" فرحاً يصف له انتصاره وما فعله أسطوله بالفرنج قاتلاً :<sup>(1)</sup>

ذاكرينَ الفَتْحَ الذي فَتَحَ اللهُ علينا ، فالصنع منه جميلٌ  
لم يَزَلْ فِعْلُنَا له خالِصاً ، وهو لِمَا شاءَ في الأتَمِ فَعُولٌ  
جاءنا بعدما ذُكرناه في كُتُبِ أتاكم بهن منا الرسول

ثم يذكر الشاعر كيف أن الأسطول المصري نال من الفرنج الكفرة ما لا يتخيله عقل ولا يأمله مأمٌ ؛ فقد سار بعض الأسطول وهو قليل وليس بكثير ، ولكن بصدق النيات ينمى الله تعالى القليل إلى كثير ، فقال في ذلك :<sup>(2)</sup>

أن بعض الأسطول نال من الإفرنج ما لا يناله التأمل  
سار في قلة ، ومزال بالله وصدق النيات ينمى القليل

ثم يصف لنا الأسطول وقد صار وسيلة لنقل غنائم الفرنج ؛ من عدة وعتاد بعد هزيمتهم في "عكا" و"أنطربوس" ، فقد بلغت عدتهم التي غنمها الأسطول المصري من الكثرة ما لا يُستطاع حصره ، فقال :<sup>(3)</sup>

فَحَوَى من عكا وأنطربوسَ عُدَّةٌ لم يُحِطَ بها التحصيل

ثم ينتقل بنا الشاعر في قصيدة أخرى يصف فيها قوة أسطوله وبطشه بالأعداء ، وكيف أنه أجهز على البقية الباقية من جنود الأعداء الذين فرُّوا هاربين من جحيم المعركة وسطوة السيوف ، فيقول :<sup>(4)</sup>

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 86

2 - المرجع السابق الصفحة نفسها

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها

4 - المرجع السابق ص 105، 106

وعَقْبُهُ فَتَحَ إِلَـهَهُ بِلُطْفِهِ      بَابُ الظُّهُورِ عَلَى غَدَاةِ الدِّينِ :  
مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ ، وَرَأَى نَفْسَهُ      غَرْقًا ، وَمَجْرُوحٌ ، وَبَيْنَ طَعِينٍ  
وَأَسْتَهِلَكَ الْأَسْطُولَ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ      بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الظُّبَا<sup>(1)</sup> بَضْنِينَ

ثم يعود الشاعر في قصيده أخرى ليصف لنا كيف كانت قوة أسطوله السائر إلى الشام ، وكيف أنه كان أضعاف من ساروا من جنوده إلى الفرنج ، فلا حصن عاصم للفرنج من قوة ويطش هذا الأسطول ، ولا شيء يستطيع منع ما سوف ينزله هذا الأسطول بهم من هزيمة ساحقة ، فيقول :<sup>(2)</sup>

وَأَسْطَوْلُنَا أَضْعَافُ مَا كَانَ سَائِرًا      إِلَيْهِمْ ، فَلَا حَصْنَ لَهُمْ مِنْهُ عَاصِمٌ

ثم يفصح الشاعر عن نيته وعزمه على اجتياح واستئصال باقي الفرنج بهذا الأسطول الجبار فيوقع بهم الهزائم ، ويحصدون الغنائم ، ويقودون الأسرى ، فيقول :<sup>(3)</sup>

وَنَرْجُوا بِأَنْ نَجْتَاحَ<sup>(4)</sup> بِأَقْيَهُمْ بِهِ      وَتُخَوِّى الْأَسَارَى مِنْهُمْ وَالْغَنَائِمُ

ومن الملاحظ تقدم أسلحة الهجوم عند شاعرنا من حيث كثرة ذكرها في شعر وصف المعارك ، فكما رأينا أن أكثر أسلحته ذكراً هو : السيف ، ثم الرمح والخيل والسهم ، ثم نجد ذكر أسلحة الدفاع كالدرع أقل مساحة من السيف والخيل ، وفي هذا إيحاء بحسب الشاعر للقتال وإقدامه وشجاعته على الانتفاض على عدوه وإفتراسه ، كذلك ظهر عند شاعرنا "طلّاع بن رزيك" نوع آخر من أدوات الحرب المستخدمة في الانتفاض على الأعداء وهي الأساطيل ، وذلك لأنه خاض معارك بحرية وانتصر فيها .

1 - الظبا : جمع ظبية : وهي حد السيف ، أو سنان ، أو نحوه . ديوان "طلّاع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 106 "بالحامش" .

2 - المرجع السابق ص 101

3 - المرجع السابق الصفحة نفسها

4 - الجوّح : الإهلاك ، والاستئصال ، كالاجتياح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

#### 4 - وصف الأبراج والقلاع والحصون وما يتصل بها

نادراً ما نجد في شعر "طلائع" لوصف المعارك الحربية وصفاً صريحاً للقلاع والحصون والأبراج ، وإنما في الغالب يذكر هذه الحصون مجرد ذكر عابر يصف ما تم فيها من معارك بينه وبين أعدائه ، فمثلاً يقول :<sup>(1)</sup>

وعلى الوُعيرة<sup>(2)</sup> مَعَشْرٌ لم يعهدوا فيها القتالا

فهو هنا يذكر لنا حصن "الوعيرة" ، ومع أن اسمه يوحي بالقوة والصلابة إلا أن أهله كانوا من الضعف والوهن الذي يدل على عدم درايتهم بالقتال وفنونه ، وهو يريد بهذا الوصف أن يُظهر مدى قوة جنوده وحكمتهم وخبرتهم بفنون القتال ، ثم يصف لنا الحال في أحد تلك الحصون وهو "تل العجول" والذي صارت تلاله مملوءة بالقتلى من الأعداء ؛ حيث هزم جيشه جيش العدو هزيمة منكرة ، ونكل بهم تنكيلاً شديداً فيقول :<sup>(3)</sup>

هذا ، وفي تلّ العُجُول<sup>(4)</sup> ملأَن بالقتلى التلّالا

وعن حصن "عكا" و"أنطربوس" يقول الشاعر : بأن جنوده قد غنموا منهما غنائم كثيرة بحيث يصعب حصرها وعدّها ، فيقول :<sup>(5)</sup>

فحوى من عكا وأنطربوس<sup>(6)</sup> عدة لم يحط بها التحصيل

ثم يصف صراحة حصناً من تلك الحصون التي قد فر إليها وهرب من هرب من أشتات الجنود المهزومين أمام جيشه القوى ليحتما بذلك الحصن ، وقد اغتروا في البداية بعددهم ، ولكن الهزيمة كانت من نصيبهم بعد أن تجرعوا كأس القهر والتنكيل ، وبعد أن هزموا فروا إلى هذا الحصن متوقعين فيه الحماية والأمان ولكنه لم يكن بحصين ولا منيع أمام قوة "طلائع" وجيشه التي يهون لها الصعاب ، يقول :<sup>(7)</sup>

فلجاً من الحشْدِ الذّى قد غرّه عَدَدًا لِحِصْنٍ لم يَكُنْ بحصين

- 1 - ديوان "طلائع بن رزيق" د. أحمد أحمد بدوي ص 84
- 2 - الوُعيرة : اسم حصن . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 3 - المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 4 - تل العجول : موضع بالشام . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".

- 5 - المرجع السابق ص 86
- 6 - أنطربوس : بلد ساحلي بالشام . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 7 - المرجع السابق ص 105



## 5 - وصف الجيوش

إن الفارئ لشعر "طلائع" فى وصف المعارك الحربية يجد مساحة كبيرة مُستقطعة لوصف الجيوش ، وكيف لا ؟ وشاعرنا واحد من أولئك الذين خاضوا لجةً هذه الحروب فى هذه المرحلة من التاريخ ، فهو قائد الجيش الفاطمى المصرى ، وهو المجهز له والمعد له لمواجهة الأعداء ، وهو الذى يأمره تنطلق السرايا فى بطون الصحراء أو عبر أمواج البحار ؛ فكان من الطبعي أن نجد اهتمامه الكبير بوصف قوته وشدة بأسه وغلبته من خلال وصفه لقوة جيوشه .

وهى عنده بمثابة البشير ، الذى ما إن يرى إياه إليه حتى يشعر بالبشرى التى يحملها ، قال فى ذلك :<sup>(1)</sup>

توالت علينا فى الكتائب والكتبِ      بشائرُ من شرقِ البلاد ومن غربِ

ثم يصف لنا الشاعر جيوشه ومدى قوتها وكثرتها عدداً وعدة ، لدرجة أن صوت سهيل خيول جنوده طغى على أصوات أعداء الله الفرنج فى جبال القدس وهذا دليل على اشتداد وطيس المعركة ولهيبها وشدة الجلبة التى أحدثتها جنوده وخيولهم ، يقول :<sup>(2)</sup>

وأخفى سهيل الخيل أصوات أهلها      فعافتْ نواقيسَ الفرنج عن الضربِ

وهذا ليس بغريب ، فأقل جيش عند "طلائع" يضيق الفضاء الواسع بعده ، فكيف بأكثر جيوشه عدداً ، وفى هذا يقول :<sup>(3)</sup>

فلدينا من العساكر ما ضاقَ      بأدناهم الفضاء الرحيبُ

وعن جيشه يقول الشاعر : بأن خيله تنطلق شرقاً وغرباً غازية وفاتحة للبلاد وعليها جنود شجعان فى ريعان الشباب ، أجلاء ذوو حكمة وحكمة عالية فى القتال ، قال :<sup>(4)</sup>

وتخرقُ شرقَ الأرض والغربَ خيلنا      عليها الشباب المرءُ ، والجلّة الشمطُ<sup>(5)</sup>

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوى ص 47

2 - المرجع السابق ص 48

3 - المرجع السابق ص 62

4 - المرجع السابق ص 67

5 - شُيِّطَ شعره شُيِّطاً : اختلط سواده ببياضه (الوجيز ص 350) ، والجلّة : جمع جليل . وهو العظيم ، ومن أسنّ وأحكمته التجارب . (الوجيز ص 112) مادة [جَلَّ] .

ثم يصف جيشه بأن خيله كثيرة العدد، هي مثل السطور المكتوبة في المعاهدة ، فيها السيوف والرماح بدلا من الشكل والنقط على حروف تلك المعاهدة ، يريد بذلك أن رده على طلب الفرنج بالهذنة سوف يكون أبلغ رد بواسطة جيشه فيقول: (1)

### سُطُورُ خِيُولٍ لَا تُغِبُّ دِيَارَهُمْ      لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَتَا الشَّكْلَ وَالنَّقْطَ

ثم يصف لنا "طلانغ" سراياه بأنها تواصل القتال ضد العدو ، فقد فاجأته في وقت لم يتوقعه ، وهو وقت البكور ، فكانت الهزيمة من نصيب أعدائهم و"طلانغ" وجيشه النصر المبين ؛ فاستيحت ديار الكفر ، واستأصل الجيش شأفتهم بالقتل والحرق ، قال "طلانغ": (2)

وَأَصْلَتْهُمْ مَنَا السَّرَايَا (3) ، فَأَشْجَاهُمْ (4) بِكُورٍ مَثْلًا لَهُمْ وَطُرُوقٍ  
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادَ الْقَوْمَ قَتْلَ مُلَازِمٍ وَحَرِيقٍ

ومن خلال شعر "طلانغ" لوصف المعارك الحربية نوقن بأن هذا الرجل قد عاين هذه الحروب وعاشها ؛ فصدق ألفاظه ووصفه بهذه الطريقة لا يتأتى إلا عن مشاهدة ومعاناة ، فهو لا يقتصر على ذكر سراياه وما فعلته بالأعداء بل يصف لنا خط سير كل سرية بالتفصيل وما لاقته من مصاعب وعناء ، وما تكبدته من جهد ومشقة ، وكذلك ما أحرزته من نصر مؤزر بعزة وإباء ، فهو مثلا يتحدث عن جيشه الزاحف إلى الشام لحرب الفرنج فيقول: (5)

سَارَتْ سَرَايَاتَا لِقَصْدِ الشَّامِ تَعْتَسِفُ (6) الرَّمَالَا  
تُزْجِي إِلَى الْأَعْدَاءِ جَرْدَ الْخَيْلِ اتِّبَاعًا (7) تَوَالِي  
تَمْضِي خَفَافًا لِلْمُغَارِ (8) بِهَا ، وَتَأْتِينَا ثَقَالَا  
حَتَّى لَقَدْ رَامَ الْأَعَادَى مِنْ دِيَارِهِمْ اِرْتِحَالَا

وهنا نجد ألفاظ الشاعر الصادقة ومعانيها المعبرة تغنى عن شرحها ؛ فهو يبدأ بسير سراياه تجاه الشام تقصد الأعداء ، فسارت مُجتازة صحارى ومفاوز صعبة جداً ؛ من حيث أن رمالها لا يمكن اجتيازها إلا بمشقة ، ومع ذلك فما زالت تلك السرايا متوالية القدوم على الأعداء لا ينقطع مددها لتنزل بهم الهزيمة بل الهزائم المنكرة ، والدليل على ذلك أنها تغزو إليهم

1 - ديوان "طلانغ" بن رزيك "د. أحمد أحمد بدوي ص 69

2 - المرجع السابق ص 82

3 - السرايا : جمع سرية ، وهي الجزء من الجيش . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

4 - أشجاء : أحزنه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

5 - المرجع السابق ص 84

6 - اعتسف الطريق : خطب على غير هداية . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

7 - اتباع : يأتي بعضها خلف بعض . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

8 - المغار : الإغارة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

خفافاً وتعود مثقلة بالغنائم التي حصدها من الأعداء، حتى أن الأعداء لم يجدوا بديلاً ولا حلاً إلا أن يرتحلوا عن بلادهم بلا رجعة .

وبواصل الشاعر ذكره لسراياه ووصفها وصفاً يغنى السامع عن المعاينة ، فيصف لنا سرية أحد قادته وهي :سرية "ابن فريج الطائي" ،وكيف طالبت مدة خروجها لقتال الفرنج ؛حيث سارت إلى أرض الخليل ولم تدع منفذاً ولا طريقاً إلا وسارت فيه ، فيقول :<sup>(1)</sup>

وسرية ابن فَرِيحِ الطائِي طال بها وصالا  
سارت إلى أرض الخليل ؛ فلم تدع فيها خلالاً<sup>(2)</sup>

ثم يصف طائفة من الجيش المصرى أصلها من "برقة" ،وكيف أنهم أجهزوا على عدوهم بسيفهم البتارة فلم يبق مواجهاً لها في ساحة القتال ، فقال :<sup>(3)</sup>

وَبَرَقِيَّةُ<sup>(4)</sup> شاموا السيف ،فلم يعش  
لبارقها في ساحة الشام شامُ

ويصف لنا طائفة من جيشه من أصول مختلطة بأنها قوية وشديدة البأس وسريعة الغلبة ، وبأنها من القوة والحكمة بحيث لو توجهت الى روما لفتحتها ولم تستعص عليها ، يقول :<sup>(5)</sup>

واقفاء<sup>(6)</sup> جندٌ ،لو توجه جمعهم  
لرومية جالت عليها المقاسم

وعن طائفة من الجيش من المماليك يصفهم بالحكمة والمهارة في القتال ، والفضل في ذلك يرجع "لطلانغ" وجنوده الذين علموا هؤلاء الجنود ، فصاروا إلى ما صاروا إليه من مهارة ، قال في ذلك :<sup>(7)</sup>

وجمعُ ممالكِ بافعالنا اقتنوا  
فكلهم بالطعن والضرب عالمُ

1 - ديوان "طالع بن رزيق" د.أحمد أحمد بدوي ص85

2 - الخلال . جمع خل ، هو الطريق . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

3 - المرجع السابق ص96

4 - بَرَقِيَّةُ : طائفة من الجيش المصرى ، قدم أصولهم من برقة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

5 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

6 - الاقفاء : الأخطا . وجالت عليها المقاسم ، يريد : انهزمت . ورومية روما . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش".

7 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

ويصف "طلائع" فرقة أخرى من الجيش اسمها "سُنْبِس" بأن جنودها قد حازوا المكارم ، وأحرزوا الدرجات العلا والمكانة الرفيعة بما صنعوا في الأعداء من شدة الفتك والتتكيل بهم ، فقال :<sup>(1)</sup>

وسنْبِس<sup>(2)</sup> قد شادوا المعالي بفعلهم وليس لهم إلا العوالي<sup>(3)</sup> دعائم

وعن طائفة أخرى من الجيش وهي "ثعلبة" والتي ليست كاسمها ؛ إذ أنها تحولت إلى أسود ضارية بعد أن تقوت بجيش "طلائع" ، فلم تستطع جيوش الفرنج أن تقاومها أو تقاوم قوتها وبأسها ، يقول :<sup>(4)</sup>  
وثُعلْبَة<sup>(5)</sup> اضْحَوْا بنا قد تأسدوا<sup>(6)</sup> فما لهم في المشركين مُقاومُ

ثم يصف جنود قبيلة "جُزَام" وهي من قبائل الجيش المصري بآنها مازالت ، وكما كان شأنها قديماً تستأصل شافة المشركين بأرض الشام ، فيصير وجودهم إلى زوال ، يقول :<sup>(7)</sup>

وإن جذاماً<sup>(8)</sup> ، لم يزلْ قطْ منهمُ قديماً لحبل الكفر بالشام جاذمُ<sup>(9)</sup>

وهذه الأبيات السابقة من قصيدة كتبها "طلائع" في وصفه لجيشه وغاراته على الفرنج ، ووصف قواد هذا الجيش وما أحرزه من نصر مؤزر ، وقد أرسل بهذه القصيدة إلى "اسامة بن منقذ" ؛ لكي يخبر "نور الدين" بها ؛ رغبة من "طلائع" في أن يتحالف "نور الدين" معه ضد الفرنج ، وهذه القصيدة مطلعها :<sup>(10)</sup>

ألا هكذا في الله ثَمَضِي العزائم وَثَمَضِي لَدَى الحرب السيوف الصوارمُ  
والقصيدة طويلة يتحدث فيها الشاعر عن نذره أن يهاجم العدو ويحطّم قواه ، وعن الروح المعنوية القوية التي قطعت بالجنود الفياقي والقفار ، مستهينين بالشدائد والصعاب ومواجهة عدو مستكمل العدة ، موفور العدد فقال :<sup>(11)</sup>

- 1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوي ص 96
- 2 - سُنْبِس : فرقة من الجيش . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 3 - العوالي : أعالي الرماح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 4 - المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 5 - قبائل في الجيش المصري . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 6 - تأسد : صار كالأسد . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 7 - المرجع السابق ص 97
- 8 - جذام : من قبائل الجيش المصري . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 9 - جذمة : قطعه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش".
- 10 - المرجع السابق ص 92
- 11 - المرجع السابق ص 93

نَذَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ ، فَمَا  
مَضَى نِصْفُهُ حَتَّى انْتَهَى وَهُوَ غَانِمٌ  
مَقَاوِزَ<sup>(1)</sup> ، وَخَذَ<sup>(2)</sup> الْعَيْسَ<sup>(3)</sup> فَيَهْنُ دَائِمٌ  
بَعَثَاهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ قَاطِعاً

ثم يواصل الشاعر وصفه للمعاناة والصعاب التي لاقاها جيشه ؛ فيذكر لنا منطقة من أشد المناطق وعورة وصعوبة وهي: "أرض الجفار" وهي أرض بين فلسطين ومصر أولها رفح ، كلها رمال بيض حيث تشتد الحرارة على جانبي طريق الجيش وكأنها الجحيم المتأجج ، وقد صارت عيون وآبار الماء عزيزة المطلب ، تكاد لا تكفي للشرب إذا ما أقبل عليها العسكر المتراحم ، يقول "طلانغ"<sup>(4)</sup>:

وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْجِفَارِ<sup>(5)</sup> إِذَا التَّظَلَّى  
وَصَارَتْ غَيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عَزَّةً<sup>(8)</sup>  
بَجَبْتِيَّةٍ مَشْتَبُوبٍ<sup>(6)</sup> مِنَ الْقَيْظِ جَاجِمٌ<sup>(7)</sup>  
إِذَا مَا آتَاهَا الْعَسْكَرُ الْمُتَزَاخِمُ

ومع كل هذه الصعاب والأحوال وبعد المسافة التي قطعها الجيش ؛ ثبت الجيش ولم يندب الوهن في عزيمته ، حتى مع هذا القَيْظِ الشديد وجهد الظمأ لقلّة الماء ، ثبت الجيش وسار إلى الأعداء في أشد أوقات النهار قيظاً وهو وقت الهاجرة أي وسط النهار ، وسار كذلك عند زوال الشمس يقول:<sup>(9)</sup>

فَمَا هَالَهُ بَعْدَ الدِّيارِ وَلَا ثَنَى  
يُهْجَرُ<sup>(11)</sup> وَالْعَصْفُورُ فِي وَكْرِهِ  
عَزِيمَتُهُ جَهْدُ الظَّمَا وَالسَّمَامِ<sup>(10)</sup>  
وَيَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالنَّجْمُ نَائِمٌ

ثم يواصل وصفه لجيشه وقوة فتكه بأعدائه وما يوقعه في صفوفهم من قتلى لا يحيط بهم الحصر ، ليكونوا طعاماً للجوارح من الطير ، والتي صارت مصاحبة للجيش قبل القتال تنتظر غنيمتها ، فصارت تلك الجوارح علامة وإشارة على سيرهم إلى الأعداء ، وصارت بدلا عن الرايات بعد طيها ، وهذه الطيور تسابق الخيول في غدوها ولا تكاد تسبقها ، فقال:<sup>(12)</sup>

إِذَا مَا طَوَى الرَّاياتِ وَقَتَ مَسِيرِهِ  
تَبَارَى خَيْولاً مَا تَرَالُ كَانَهَا  
غَدَتَ عَوْضاً مِنْهَا الطُّيُورُ الْحَوَانِمُ  
إِذَا مَا هِيَ انْقَضَتْ نَسُورٌ قَشَاعِمُ

1 - مقاوز : جمع مقازة ، وهي الغلاة . ديوان " طلانغ بن رزيك " د. أحمد أحمد بدوي ص 93 " بالهامش".

2 - الوخذ للبعير : الإسراع في السير . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش" .

3 - العيس : الإبل البيضاء ، يخالط بياضها شقرة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

4 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

5 - الجفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رفح ، وكلها رمال بيض . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

6 - مشبوب : من شبت النار : اتقدت . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

7 - الجاجم : الجحيم . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

8 - عَزَّةٌ : من عزّ الثنّى : قَل . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

9 - المرجع السابق الصفحة نفسها .

10 - السَّمُومُ : الريح الحارة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

11 - هَجَرَ : سار في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش".

12 - المرجع السابق ص 94

وفى وصف تلك الجيوش التى أرسلها الى أرض الشام لنجدة أهلها من أيدي الفرنج الكفرة يصفها بالطاعة الكاملة لأوامره ، وهى عند سيرها للقاء الأعداء تكون وجوه الجنود عابسة ترديد الفتك بالأعداء واستتصال شافهم ، أما عند اللقاء وإشهار السيوف تعترى وجوههم الفرحة؛ ثقة فى انتصارهم على العدو وتحقيق مرادهم من الإجهاز على عدوهم ، يقول "طلائع": (1)

جيوشُ أفدناها اعتزاماً ونجدةً      فطاعتنا منهم ، ومنا العزائم  
إذا ما أثاروا النّقع فالتغرُّ عابسٌ      وإن جَرَدُوا الأسياف فالتغرُّ باسم

ثم يصف جيوشه وعظمته وهيبته عند اصطدامه بجيش العدو الكبير فى أرض المعركة ، وكأنه موج متلاطم فى بحر عظيم واسع ، يقول: (2)

يُشَبِّهُهُمْ من لاح جَمْعُهُمْ له      بلُجّةٍ بحر موجها متلاطم

ثم يعود ويصف جيوشه وقوة اندفاع جنوده لساحة المعركة لقتال العدو ، بالسيول الجارفة التى تكتسح كل ما يعترض طريقها ، يقول: (3)

فكيف إذا سالت عليهم سؤلنا      وجاشت لنا تلك البحار الخَضارمُ (4)

وفى قصيدة من قصائده التى أرسلها إلى "أسامة" يصف له فيها جيوشه مشيداً بكثرة جنده ، فيقول مخاطباً "أسامة": أن جيوشه قد فعلت بالأعداء أفعال الجاهلية ، من قتل وذبح وتمثيل بالقتلى ، إلى غير ذلك من أفعال الجاهلية ، يريد بذلك وصف شدة التنكيل بالأعداء ، حيث كانت جيوشه المتجهة صوب العدو نحو ما يقرب من مائتى سرية تغير على العدو ليل نهار بشكل متواصل ، فالويل للفرنج الكفرة من جيوشه التى قد أجهدتهم وأبليتهم بلاءً شديداً ، قال "طلائع": (5)

يَهَيِّئْكَ أن جيوشنا      فعلت فعال الجاهلية  
سارت إلى الأعداء من      أبطالها مائتا سرية  
فتغير هذى بكثرة      وتعاود الأخرى عشية  
فالويل منها للفرن      ج ، فقد لقوا جهنم البلية

1 - ديوان "طلائع بن رزيك" د. أحمد أحمد بدوى ص 97

2 - المرجع السابق ص 98

3 - المرجع السابق ص 99

4 - الخضارم جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شئ . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

5 - المرجع السابق ص 108

## المبحث الثاني

" وصف الفرحة بالنصر بين  
الشاعرين "

ويشتمل على ما يلي :-

أولاً: وصف الفرحة بالنصر عند أسامة بن منقذ  
ثانياً: وصف الفرحة بالنصر عند طلائع بن رزيك

# أولاً : وصف الفرحة بالنصر عند " أسامة بن منقذ "

- 1 - تهنئة وبشرى بالنصر
- 2 - الفخر
- 3 - المـدح
- 4 - وصف هزيمة الأعداء



## 1 - تهنئه وبشرى بالنصر

" لقد مضى الأدب مبتهجا طرباً يذيع أنباء النصر في أرجاء العالم الإسلامي ، ويحمل بشرى الفتوح إلى الخلفاء والولاة والأمراء ، لينيع ذلك بين أبناء الشعب ، فتقوى الروح المعنوية فيه ، ويشند ساعده ، فيسدده سهمه إلى العدو ، وليقضى عليه القضاء الأخير . وإذاعة أخبار النصر كفيلة بحفظ هذه الروح قوية متوثبة <sup>(1)</sup> .

ولقد مضى الشعراء - ومنهم " أسامة بن منقذ " - ينظمون الأشعار التي تحمل إلى القاصي والداني أخبار هذه الانتصارات ، ولقد أتقن أسامة فن استخدام الألفاظ في الدلالة على أسمى معاني النصر ، وفي نقل شعوره وشعور كل مسلم مبتهج بالظهور على عداة الدين ، حتى كأن الكلمات تتراقص طرباً وفرحاً بالنصر . وكيف لا ؟ ؛ فالرجل كان ذو تجربة صادقة ، فقد ذاق غصة هذه الحروب وتجرع كأسها رشفة رشفة ، نعم كانت الانتصارات مستمرة ولكن هذه حرب يعاين فيها الإنسان الموت بعينه ويشم رائحته بأنفه ؛ ولهذا كانت فرحته بانقضائها والنصرة فيها فرحة عظيمة .

نجد أسامة بن منقذ يصف لنا فرحته بالنصر المستمر المتتابع في مطلع قصيدته التي أرسلها يهنئ فيها "معين الدين أنر" بما كتب الله له من ظفر في جهاد الفرنج كما ذكر "أبو شامة" في الروضتين <sup>(2)</sup> . حيث يقول "أسامة" <sup>(3)</sup> :

كل يوم فتح مبين ، ونصر واعتلاء على الأعادي وقهر

وهنا نجد "أسامة" مبتهجا فرحاً بكثرة الانتصارات التي يمن الله بها على المسلمين حتى انه يصف تتابعها واستمرارها بأنها صارت كل يوم ، كما انه ليس نصراً عادياً إنما هو نصر مبين مؤزر ، وفتوحات عظيمة يكون العلو فيها والغلبة والظهور للمسلمين ، بينما الذلة والهزيمة تكون من نصيب عداة الدين من الفرنج .

وفي مشهد من مشاهد النصر ينقل لنا الشاعر فرحته وفرحة المسلمين بهذا النصر الذي من الله به على المسلمين وكيف تقدم هذا النصر صبر من جانب المسلمين ؛ حيث كان النصر بفتح حصن باسوطاً وقورص ، وفي وصف الفرحة بذلك الفتح الكبير يقول "أسامة" منتشياً ومبتهجا بالنصر <sup>(4)</sup> .

1- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام د. أحمد أحمد بدوي ص 489 ط. دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - القاهرة ط. الثانية . "بتصرف يسير"

2- الروضتين 222/1

3- ديوان أسامة بن منقذ د. أحمد أحمد بدوي ص 170

4- المرجع السابق ص 205

وفي حصن باسوطا وقورص<sup>(1)</sup> دلت الصـ عاب لنا، والنصر يقدمه<sup>(2)</sup> الصبر

وفي مشهد آخر نجد البشـرى بالنصر عند "أسامة"، ولكن هذه المرة لا تحملها الرسائل بل تحملها الخيل والجنود الذين يعودون من المعركة ظافرين محملين وحاملين للغنائم، وهي خير برهان ودليل على النصر على أعداء الإسلام، حيث يقول<sup>(3)</sup>:

أما السرايا حين تر  
جع بعد خفتها ثقالا

---

1- قورص : موضع بالشام . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

2- قدم القوم كنصر : تقدمهم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

3- ديوان أسامة بن منقذ . د. أحمد أحمد بدوي ص 217

## 2 - الفخر

"كان الانتصار في المعارك الحربية ضد الفرنج مثار غبطة في نفوس الأبطال ، ومصدر بهجة لهم ، و كان يسرهم أن يستمعوا إلى تسجيل أفعالهم ، و إلى التغني بهذه الوقائع . وإشباعا لهذه الرغبة في نفوسهم ، النف حولهم طوائف من الشعراء ، تمجد بطولتهم ، وتسجل انتصاراتهم ، ولما كانت الغالبية العظمى لهؤلاء الأبطال لا تجيد قول الشعر ، ولا الكتابة الفنية ، حلا لهم الاستماع إلى الشعر والنثر ، يتغنيان بهذه المفاسر ، ونذر أن كان بين هؤلاء الأبطال من يجيد قول الشعر ، فتغنى بوقائعه ، ووصفها في شعره . ومن هؤلاء طلائع بن رزيك ، وأسامة بن منقذ ، فقد تغنيا في شعرهما بما جاهدا العدو ، وبما أبليا في سبيل هذا الجهاد"<sup>(1)</sup>.

وقد كان "أسامة بن منقذ" قائداً من القواد وبطلا من الأبطال الذين قادوا كثيراً من المعارك ضد الصليبيين وانتصر فيها ، ليس هذا فحسب بل وكان أديباً شاعراً ؛ لذا فله شعرٌ حماسيٌ يفخر فيه بشجاعته وصبره وبلائه في ميدان القتال ، من ذلك قوله: (2)

|   |   |
|---|---|
| سل بي كماه الوغى في كل معركة <sup>(3)</sup> | يضيق بالنفس فيها صدر ذي لباس                    |
| ينبؤك بأنني في مضايقها                      | ثبت ، إذا الخوف هز الشاهق الراسي <sup>(4)</sup> |
| أخوضها كشهاب القذف ، يصحبنى                 | عضبٌ كبرق سرى أو ضوء مقباس <sup>(5)</sup>       |
| إذا ضربت به قرناً أنزله                     | أوحاه <sup>(6)</sup> عن عاتق يغشاه أواسي        |

وهنا نجد قمة إحساس الشاعر بعزته وقوته وشدة بأسه في ساحة الحرب فهو لن يتحدث عن نفسه ولكن يطلب من أي أنسان أراد أن يعرف من هو أسامة أن يسأل عنه أبطال القتال في ساحات المعارك ؛ حيث يعظم الخطب ويشد التأس ، وتضيق الصدور وتبلغ القلوب الحناجر ، عندئذ سيخبرون عن "أسامة" بأنه ثابت الأقدام ، رابط الجأش إذا فعل الخوف أفعاله وهز الشوماخ من الأبطال ، فهو يخوض خضم هذه المعارك كالشهاب الخاطف ومعه سيفه ، من سرعته الخاطفة في الضرب به كأنه برق لمع في صفحة السماء ، أو ضوء مقتبس من شعلة من النار إذا ما ضرب هامة من ينازله فلا شفاء له ولا دواء

ويقول أسامة مفتخراً ومعتزاً بشجاعته وجلده عند نزول البلاء: (7)

وما ضعفتني الحادثات ، وانني كعهديك : وعر الخلق في الخطب وعثه

1- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام د. أحمد أحمد بدوي ص498

2- المرجع السابق ص502 بتصرف ، والأبيات من ديوان أسامة ص211

3- في لياب الآداب "معتزك" . ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص211 "باليهامش"

4- الراسي : الجبل . المرجع السابق الصفحة نفسها "باليهامش"

5- العضب : السيف . والمقباس : شعلة نار تكتسب من معظم النار . المرجع السابق الصفحة نفسها "باليهامش"

6- أوحاه : أعجله . المرجع السابق الصفحة نفسها "باليهامش"

7- المرجع السابق ص116

جرئ على الأهوال، والموت محجّم مريد القوى، والدهر قد بان نكته

أي ما أثرت في وما هزنتي البلايا والحوادث العظيمة الخطب، ولكنني كما عهدتني شديد اليأس رابط الجأش عندما يشتد الخطب، جرئ على المصائب والأهوال، شديد القوى وقد بانّت من الدهر ابتلاءاته .

وعن شجاعته ومكانته في ساحة الحرب هو وأسرته وكيف انه ركن أساسي في كل معركة؛ حتى انه من كثرة خوضه المعارك صار كالحلقة التي يتعلم الرمي والطعن عليها، وكيف أن أسرته يخوضون الحرب بوجوه طلبة مستبشرة، ويحمون الحمى ولهم في الحرب خبرة وتاريخ طويل يقول مفتخراً بذلك كله : (1)

|                                 |                                 |
|---------------------------------|---------------------------------|
| وأنتي كل يوم قطب معركة          | درينة السمر والهندية الذلق (2)  |
| أغشى الوغى مفرداً من أسرتي، وهم | هم إذا الخيل خاضت لجة (3) العلق |
| هم المحامون؛ والأشبال مسلمة     | والملتقون الردى بالأوجه الطلق   |

ومؤكدًا على المعنى نفسه؛ ألا وهو شجاعة أسرته وأهله وعدم رهبتهم أو خوفهم عند خوض لجة القتال ومواجهة الموت وجهًا لوجه، فلا ترى على وجوههم علامات القلق والخوف من الموت، بل على العكس تماماً ترى على وجوههم علامات البشور والسرور كأنهم يتהלلون فرحاً بخوضهم الحروب ومجابهة الموت، ثم ينهالون على أعدائهم كأنهم البرق والرعد فيقول مفتخراً : (4)

يتهللون لدى النوال، وفي الوغى يسطون بالإرعاد والإبراق

ومن الواضح أن الشاعر يكن لأهله وعشيرته مكانة كبيرة، بل إن القارئ لشعر أسامة عند افتخاره بأسرته يجد أن جبههم قد ملأ عليه كل وجدانه؛ فحين يتباهى بقوتهم وشجاعتهم نشعر أنه يتباهى بقوته وشجاعته .  
فنجده مفتخر بهم قائلاً : (5)

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| إن أفقرت شيزرٌ منهم، فهم جعلوا | منيع أسوارها بيضاً وخرصانا (6) |
| هم حموها، فلو شاهدتها، وهم     | بها، لشاهدت أسادا وخفانا (7)   |

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 129

2- الدرينة : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها . والسمر : الرماح . والهندية : السيوف . و الذلق :

الحادة المرجع السابق الصفحة نفسها "بالبهامش"

3- العلق : الدم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالبهامش"

4- المرجع السابق ص 134

5- المرجع السابق ص 308

6- البيض : السيوف . والخرصان : الرماح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالبهامش"

7- الخفان : مأسدة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالبهامش"

أي حتى وإن خلا منهم حصن شيزر موطنهم - فقد خلفوا وراءهم من يحمي حماه ؛ فقد جعلوا أسواره منيعة الاقتحام وكأنها السيوف المرفوعة المشهورة في وجوه الأعداء ، وقد حموا حماه وهم فيه ، وهم غائبون عنه أيضاً ؛ فلو رأيت هذا الحصن حال وجودهم فيه وحال شيزر وهم فيها لكانك ترى الأسود الضارية المفترسة .

وعلى الوتيرة نفسها يتغنى الشاعر ممجداً أسرته تملأه نشوة الفخر واصفاً إياهم بأنهم قد حازوا قصب السبق في المجد والعلو حتى أنهم قد علوا وزادوا في علوهم ومجدهم على "سيف بن ذي يزن" أحد ملوك اليمن القدامى ، والذي قد ملأت كتب القصص والأساطير بأخباره وطبقت شهرته الآفاق ، كما أن "شيزر" قد علت بعزها ومجدها "غمدان" ، فيقول : (1)

علوا بمجدهم سيف بن ذي يزن  
كما علت شيزر في العز غمدانا (2)

ثم يفتخر الشاعر بقومه مرة أخرى في ساحة القتال وكأنهم الأسود الضارية ، وفي ساحة الكرم والجود والعطاء كأنهم المطر الشديد ، أما في ساحة العبادة فتراهم قياماً في جوف الليل يصلُّون إلى الله ؛ أي أنهم رهبان الليل وفرسان النهار فيقول : (3)

تراهم في الوعى أسداً ، ويوم ندى  
غيثاً هتونا ، وفي الظماء رهبانا

وعن نفسه يقول "أسامة" مفتخراً بشجاعته : أنه قد تَوَدَّ مصارعة الأبطال وخوض ساحات القتال منذ أن كان شاباً يافعاً وحتى صار كهلاً ، وتشهد له بذلك مكرماته ومواقفه المشهورة في الحروب ؛ فقد كان يخوض لجة الحروب تحت بريق السيوف ووايل الأمطار ، أمطاراً كانت من الدم ، حتى وكان الموت يهابه من شدة إقدامه عليه ورباطة جأشه ، وشدة بأسه ، ولو تم تحكيم السيوف البتارة بينه وبين أعدائه وحساده فهو راض بحكمها ؛ لأن النتيجة ستكون في صالحه ، يقول في ذلك : (4)

ألمت الذي مازال كهلاً ويافعاً  
له المكرمات الغر، والنائل الغمر (5)

وخائض وقعات ، بوارقها الظبا  
ويهل الردى مني تقحمي الردى (6)

ولو حكمت بيني وبينهم الظبا  
رضيت بما تقضي المهتدة البتر (7)

ويشكل غير مباشر نستشعر مدى استهانة الشاعر بالموت وأحوال القتال ، وحبهِ لمواجهة الأعداء وافتخاره بشجاعته وقوة بأسه ، حيث يقول أن دماء الأعداء أشهى عنده

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص308

2- سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن ، وغمدان : قصر ضخم باليمن . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

3- المرجع السابق الصفحة نفسها

4- المرجع السابق ص200

5- النائل : ما تلتله ، الغمر : الكثير . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

6- همر : منهزم . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

7- البتر : السيوف القاطعة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

من شرب النبيذ ، وسماع وقع ضرب السيوف في الأعداء أشد تطريباً في أذنيه  
من وقع الناي والوتر ، يقول "أسامة" : (١)

دماء العدا أشهى من الراح<sup>(٢)</sup> عندنا      ووقع المواضي<sup>(٣)</sup> فيهم الناي والوتر  
وفي مكان اخر يفتخر "أسامة" قائلاً : (٤)

أنا تاج فرسان الهياج<sup>(٥)</sup> ومن بهم      ثبتت أواخي ملك كل متوج  
وهنا نراه يتباهى بأنه قد فاق جميع أمثاله وأقرانه في ساحة القتال؛ فكأنه تاجهم  
المتوج عليهم بلا منازع ، وبهم ثبتت أركان الممالك .

ويقول مفتخراً أيضاً<sup>(٦)</sup>

وكنت إن ثوب<sup>(٧)</sup> داعي الوغى      لبيته بالطعن والضرب  
أشق بالسيف دجى<sup>(٨)</sup> نفعها      شق الدياجى مرسل الشهب  
أنازل الأقارن يرديههم      من قبل ضربي هامهم رعي

فهو يقول : أنه كان أسرع وأول من يلبي نداء الحرب والجهاد ، وكانت تلبيه  
عملياً بالطعن والضرب بالرمح والسيوف ؛ حيث يشق غبار المعركة الذي هو أشبه  
بظلام الليل الحالك ، يشقه بريق سيفه الذي هو أشبه بالشهب المحرقة ، فيقاتل الأعداء ،  
ويصرعهم رعيهم من أسامة قبل ضربات سيفه في هاماتهم .

ثم يواصل فخره فيقول : (٩)

ألقي الرزايا رابط الجأش في      أحداثها — مجتمع اللب  
ما خائنى عزمي ، ولا عزنى<sup>(١٠)</sup>      صبري ، ولا ارتاع لها قلبي

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص201

2 - الراح : الخمر . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

3 - المواضي : السيوف الباترة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

4 - المرجع السابق ص209

5 - الهياج : بالكسر القتال . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

6 - المرجع السابق ص208

7 - التثويب : الدعاء . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

8 - دجى : ظلام الليل " المعجم الوجيز ص221

9 - المرجع السابق ص208

10 - عزنى : غلبنى ، فلم يطعننى . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

أي أننى ألقى المصائب والمحن الشديدة ثابت الجنان شامخ البنيان فما خاننى أبداً عزمى ولا خانتنى همتى ، ولا نقص صبرى على هذه المحن ، ولا اهتز قلبى ولا ارتاع لهذه الخطوب ، وكل هذا ليس بغريب على محارب مثل أسامة ؛ فقد تربى على مصارعة الأسود فى الغابات ، وشاب وهو مازال يضرب بسيفه ورمحه فى ساحات المعارك ، فمئذ أن كان سنه خمس عشرة سنة صارع الأبطال ورمى فى ساحات المعارك ؛ أى أنه صار مخضرباً خبيراً بأمور القتال شأنه فى ذلك شأن الخيل الخائضة لكثير من المعارك وقرحت من كثرة القتال ، وهى بلا شك خير الخيل وأحسنه ، كما أنه يخوض المعارك كالشهاب المقذوف يلقي الموت وهو مبتسم الوجه طلق المحيا ، مصاحباً له سيفه البتار الذى لا يراه أحد وهو يفرى هامات الأعداء إلا وقد ظن أنه لمع وميض برق خاطف من سرعته وشدهته ، يقول أسامه معبراً عن ذلك كله : (1)

لخمس عشرة نازلت الكماة (2) إلى  
أنخوضها كشهاب الفذف مبتسماً  
بصارم، من رآه فى قتام (4) وغى (5)  
أن شبت فيها، وخير الخيل ما قرحا (3)  
طلق المحيا ووجه الموت قد كلحا  
أفرى (6) به الهام (7)، ظن البرق قد لمحا

ثم يواصل فخره قائلاً : أنه يشعل نار الحرب ويوقد عزيمة الرجال للقتال بسيفه ؛ حيث يقدح به هامات الأعداء وكأنه يشعل ناراً حقيقية ، وهو يقصد بذلك إيقاظ همم الجنود ، وحثهم على منازلة الأعداء عندما يرون أفعاله فيهم اقتداءً به ، وإن أردنا التأكيد من صدق أقوال شاعرنا وبرهاناً حقيقياً لفخره هذا ؛ فما علينا إلا أن نسأل الفرسان فى ساحات المعارك عنه لنعلم كم من الكريات والخطوب كان أسامة سبباً فى كشفها ، وكم من ضيق كان أسامة السبب فى تفريجه بسبب قوته وشجاعته وعزيمته التى من الله عليه بها ، فيقول فى ذلك (8)

أعدو لنار الوغى فى الحرب إن خمدت بالبيض فى البيض (9) والهامات مقتدحا (10)  
فسل كماء الوغى عنى، لتعلم كم كرب كشفت، وكم ضيق بى أنفسحا  
وهو مع كل ما لاقاه من عناء وإبتلاء ومصائب ومحن ؛ تقوى لم تؤثر فيه تلك المحن ولا أوهنت عزيمته الأبية، فكل هذا عند أسامة أشبه بالنسيم الذى لا يؤثر فى صخر شديد الصلابة ، وهو يتسائل مستكراً : وهل يروع الخطب والبلاء قلباً قد تعود الروغ فصار لا يؤثر فيه ولا يحرك فيه ساكناً .

1 - ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 209

2 - الكماة : جمع الكمى ؛ وهو الشجاع أو لابس السلاح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

3 - قرح الفرس : انتهت أسنانه ، فهو قارح ، وذلك عند اكمال خمس سنين . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

4 - قتام : غبار . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

5 - الوغى : الحرب . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

6 - أفرى : أشق . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

7 - الهام : جمع هامة ؛ وهى الرأس . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

8 - المرجع السابق ص 209

9 - البيض : جمع بيضة ، تتخذ من الحديد ، وتلبس فى الرأس . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

10 - اقتدح : رام الإبراء . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

يقول "أسامة" :<sup>(1)</sup>

لا تحسبن الرزء أوهى جلدى      أن التسميم لا يفرض (2) الجلمدا (3)  
وهل يروع الخطب قلب أروع      أن كلب (4) الدهر عليه أسدا (5)

وفي قصيدة أخرى يتباهى "أسامة" ويفتخر بشجاعته ورباطة جأشه في ساحات  
الوغي فيقول :<sup>(6)</sup>

قل للخطوب :إليك عني، إن لي      في الخطب عزمًا مثل حد المنصل<sup>(7)</sup>  
لا يستكين لحادثٍ من تكبتٍ      طرقت ، ولا يعيا (8) بأمر مشكل  
يلقى الخطوب، إذا دجت أهوالها      بالصبر حتى تضمحل وتنجلي  
تنجاب<sup>(9)</sup> عنه الحادثات إذا عرت<sup>(10)</sup>      عن قلب ثبت العزائم حول<sup>(11)</sup>

وهنا يبين الشاعر حاله عند نزول البلاء ووقوع المهام الجسام حيث يواجهها بعزيمته القوية الحادة كحد السيف ، لا تؤثر فيه مصيبة فلا يستكين وينكسر لها ، ولا يعيبه أو يعجزه أي أمر مشكل صعب ؛ فهو يلقي الخطوب إذا ادلهمت أهوالها وعظمت بكل ثبات وصبر جميل حتى تنقضي وتمضي ، ثم تنقضي وتنصرم الأهوال وتتكشف من قلب ثابت الجنان ومن عزم راسخ الأركان ، لا يؤثر فيه هول ولا خطب جلل ، بصير بتقلب الأمور والأحوال ، ومؤكدا على المعنى نفسه يقول أسامة :<sup>(12)</sup>

إذا ضاق بالخطى<sup>(13)</sup> معترك الوغى      وهال الردى وقع الظبا<sup>(14)</sup> في الجماجم  
سل الموت عني ، فهو يشهد أنني      على خوضه في الحرب ثبت العزائم

وفي البيتين السابقين نجد الشاعر يتحدث عن الموت وكيف أنه يتصوره إنسان يهوله منظر القتال ووقع السيوف في الجماجم ، كما يطلب ممن أراد أن يعرف من هو أسامة

- 1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوى ص 210
- 2- القضي : الكسر بالفتحة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 3- الجلمد : الصخر . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 4- كلب : سفه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 5- أسد : صار كالأسد . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 6- المرجع السابق ص 219
- 7- المُنْصِلُ بضمين وكمرم : السيف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 8- عني باللامر : لم يهتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطق احكامه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 9- انجاب : انكشف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 10- عرا : غشى . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 11- حول القلب : محتال بصير بتقلب الأمور . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 12- المرجع السابق الصفحة نفسها
- 13- الخطى : الرمح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 14- الظبا : جمع ظبية ، وهي حد سيف أو سنان أو نحوه المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"



أن يسأل عنه الموت فهو يعرفه جيداً ، فكثيراً ما رآه على مقربة منه ، ويشهد على أن أسامة في خوضه للحروب ثابت العزم ورباط الجأش .

وعن طول خبرته وخوضه للمعارك يفتخر أسامة بنفسه ، ويشبهها بالسيف الذي تلم حده من كثرة ضرب الأعادي ، ثم يعاد إرهاف حده وصقله مرة بعد مرة فيقول : (1)

وهل أنا إلا بالسيف قتل<sup>(2)</sup> حده قراع الأعادي ، ثم أرففه<sup>(3)</sup> الصقل  
ثم يؤكد على طول خبرته وباعه الطويل في ساحات المعارك فيقول : إن كفه قد كان دائماً مصاحباً لسيفه الذي ترتعد القلوب عند رؤيته ، وكان أيضاً مألفاً لرمح صار كعبه ليناً من كثرة الضرب والقتال ، هذا الرمح الذي يعرف مكانه من أجساد الأعداء ؛ حيث يستقر في هامة كل من سولت له نفسه نزال أسامة ، ثم يشبه حاله مع الأعداء بحال الأسد الضاري الذي تفر منه النعام خوفاً ورعباً من الفتك بها فيقول : (4)

قد كان كفى مألفاً لمهند ولأسمر لدن الكعوب ، وجاره<sup>(7)</sup>  
تعرى<sup>(5)</sup> القلوب له وتفرى<sup>(6)</sup> الهام  
حيث استمر الفكر والأوهام  
نفرت من الأسد الهصور نعام

وحول الصورة نفسها التي رسمها أسامة لنفسه بالأسد الهصور وحوله فرائسه من الأعداء يقول أسامة : (8)

همي منازل الأقربان ، أحسبهم فرائسي ، فهم مني على وجل

وبطل "كأسامة" له تاريخ طويل مشرف في ساحات القتال ، وعز ومجد كاد يبلغ عنان السماء ؛ كان له بالتأكيد أقران وحساد ، وهناك أيضاً من تضيق صدورهم غيظاً وكمداً بالأبطال أمثال أسامة ومن هم على شاكلته .  
ويفسر "أسامة" لهؤلاء الحساد ما وصل إليه من عز ومجد ؛ بأن ذلك لم يأت من فراغ وكسل ، ولكن أتى بمجاهدة النفس ومكابدة الصعاب ، ورؤية الموت رأى العين مرة بعد أخرى ، فهذا العز ما جاء إلا لما استهانت وهانت لله نفسه في ساحة الحرب وبين صفوف الأعداء

- 1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 241
- 2- فلُ السيف : فللاً : تلم حده " الوجيز ص 481 "
- 3- أرففه : رققه وحدده " الوجيز ص 280
- 4- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 272
- 5- تعرى : من العروى وهي : الرعدة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"
- 6- فراه يفريه بشقه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"
- 7- الوجار في الأصل : جحر الضبع وغيرها . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"
- 8- المرجع السابق ص 255

رغبة في الموت في سبيل الله، فلطالما أقدم على الموت بكل جرأة وشجاعة، وعزيمة قوية لبيئة جادة أشد حدة ومضاء وقوة من حد السيف، يقول أسامة في هذا المعنى: (1)

إن يحسدوا في السلم منزلتي من العز المنيف (2)  
فبما أهين النفس في يوم الوغى (3) من الصفوف  
فلطالما أقدمت إقدام الحتوف (4) على الحتوف  
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

ونجده يفتخر بنفسه وبهوانها عليه في سبيل الله؛ فيطلب الموت بعزة غير هائب له ولا متردد، بل يلقي نفسه في أحضان الموت إن لاقى فارساً من الأعداء يقاتله فلا يأبه بأن يموت هو أو عدوه أولاً؛ وذلك لأنه لا يريد الانتصار لنفسه وإنما يريد الانتصار لدين الله، لذا فإنه ينتظر الشهادة، وتهون نفسه في سبيلها فيقول: (5)

إذا أنا هبت الموت في حومة الوغى (6) فلا وجدت نفسي من الموت موئلاً (7)  
وإنى إذا نازلت كبش (8) كتيبة فليست أبالي أينما مات أولاً

ثم يفتخر الشاعر بمكانته العالية السامية، فقد صار المأ ينغص على أعدائه، يروونه حيث ذهبوا وكأنه رمص في أعينهم، يروونه في مكانة عالية كادت تصل إلى ما فوق نجوم السماء فيقول: (9)

مازلت، منذ كنت، في عين العدو قذى (10)  
يسرى محلى فوق النجم منتبذاً (11)

ويواصل "أسامة" ملحمة في الفخر بنفسه واعتزازه بشخصيته القوية ومكانته التي حققها في السلم والحرب؛ وذلك بتصريحه بأن جهاده للأعداء لن يتوقف، بل إنه سيبدل قصارى جهده في اكتساب العز والمكرمات، وسيبدل كل ما يملك في سبيل ذلك لتظل سيرته خالدة بين الناس حتى بعد موته، فيسعى لخوض الصعاب والمعارك القاسية بغير خوف ولا تردد في الإقدام على الموت، بل سيقدم على القتال بكل شجاعة لا يخشى

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 212

2- المنيف: العاني المشرف. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

3- في لياب الآداب "يوم". المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

4- الحتف: الموت. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

5- ديوان أسامة "أحمد بدوي ص 219

6- حومة الوغى: أشد موضع فيه، والوغى: الحرب. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

7- المؤئل: الملجأ. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

8- كبش القوم: رئيسهم وسيدهم. لسان العرب 3812/5 مادة [كبش].

9- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 330

10- القذى: ما يتكون في العين من رمص وغصص وغيرها "الوجيز ص 494"

11- الانتبذ: التثني الديوان ص 330

ضرب الرماح ولا السيوف يقول :<sup>(1)</sup>

أضل بها بعد الممات مخلدا  
ولا أتخشى عاملاً<sup>(2)</sup> ومهندا  
كان له في القتل عيشاً مجددا

سأنفق وقرى فى اكتساب مكارم  
واسعى إلى الهيجاء، لا أرهب الردى  
بكل فتى يلقى المنية ضاحكاً

ولم يكتف "أسامة" بما سجله من شعر فى قصائد تمجد أسرته ويفتخر فيها بنفسه وما حاز من مكرمات ، بل تعدى فخره ذلك ليسجل فى أشعاره فخره بجيوش المسلمين وما أحرزته من انتصارات وفتوحات ، فهاهو ينشد قصيدة طويلة يفخر فيها بجيوش المسلمين أولها :<sup>(3)</sup>

لتحيا بنا الدنيا ، ويفتخر العصر  
وينقاد طوعاً فى أزمتنا<sup>(4)</sup> الدهر  
ويرهبها منا على بعدنا الذكر

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر  
وتخدما الأيام فيما نرومه  
وتخضع أعناق الملوك لعزنا  
ومنها :<sup>(5)</sup>

سوانا ، فما يثنيه حر ولا قر  
ولم يلهننا عنه السماع ولا الخمر

وما فى ملوك المسلمين مجاهد  
جعلنا الجهاد همنا واشتغالنا

وهنا يبرز الشاعر مدى فخره واعتزازه بجيوش المسلمين والتي كان قائدها "نور الدين محمود" ، وكيف أن الله قد أخضع للمسلمين رقاب ملوك الأرض الكفرة من الأعداء ، وكيف صار صيتهم رهبة لمن لم يلقيهم ، وهو يفخر هنا بأن "نور الدين محمود" وجيوشه ليس أحد سواهم - هم من رفعوا راية الجهاد ، فما تنأهم عن ذلك برد ولا قيظ ، فصار الجهاد شغلهم الشاغل ومهمهم العاجل ؛ فطلبوا الآخرة وباعوا الدنيا بكل متاعها بعبكس غيرهم ممن باعوا الآخرة بكأس وغانية .

ثم يعرج "أسامة" على إبراز صورة الجيش وجنوده ، وكيف أن من يراهم عند لقاء الأعداء كأنهم أسود الشرى فيقول :<sup>(6)</sup>

وجيش إذا لاقى العدو ظننتهم  
أسود الشرى عنت لها الأدم<sup>(7)</sup> والعفر<sup>(8)</sup>

- 1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص234
- 2- عامل الرمح : صدره . و. المهند : السيف . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 3- المرجع السابق ص201
- 4- أزمة : جمع زمام . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 5- المرجع السابق الصفحة نفسها
- 6- المرجع السابق ص203
- 7- الأدم من الظباء : المشربة بياضاً . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 8- الأفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"

ثم يفتخر الشاعر بأن الله قد أيد الإسلام بهذه الجيوش فزادت عزته ، وأذل لهم الكفر والكفار فيقول :<sup>(1)</sup>

بنا أيّء الاسلام ، وازداد عزّة  
وذل لنا من بعد عزته الكفر

ثم يتسائل الشاعر وكله فخر وعزه :كيف تسابقنا أو تبارينا الملوك الى العلا ونيل الرفعة ؟ وعزمها ضعيف خائر ، وصولتنا وجولاتنا قد طبق صيتها وشهرتها الأفاق ، فإن وعدوا بغزو الأعداء وقتالهم بالكلام والرسائل والأشعار ، فما هي رعوس الأعداء بأسياقنا لا يحصوها عدد ، وهذا هو الفرق بيننا وبين سوانا من الملوك ؛ هم لا يملكون إلا الكلام ونحن نفضل الفعل ، وسوف نلقى الأعداء بدلاً منهم ونكفيهم المشقة والعتة ، وسوف نلقاهم بسيوفٍ لن يكون حدّها وصقلها إلا بقطع رعوسهم .

وفى هذا المعنى يقول أسامة مفتخراً :<sup>(2)</sup>

فكيف تسامينا<sup>(3)</sup> الملوك إلى العلا  
وإن وعدوا بالغزو نظماً ، فهذه  
سنلقى العدا عنهم بببيض صقالها  
وعزمهم سر ، ووقعاتنا جهر  
رعوس أعاديهم بأسياقنا نثر  
هداياهم ، والبتّر<sup>(4)</sup> يرهفها البتر<sup>(5)</sup>

ثم يواصل أسامة وصفه لجيوش المسلمين بقيادة "نور الدين محمود" وكيف أن المشاهد لهم وقد لبسوا عدتهم من الدروع وحملوا أسياقهم ورماحهم سوف يتعجب من هذا المشهد الذي هو أشبه ببحر عظيم متلاطم الأمواج ، ولكن بحرٌ من النيران المشتعلة المتوهجة ، وهم جنود يتصفون بالصبر والجلد إذا ما ضاق الخطب وضائق الحرب بالرماح تأتي سيوفهم على الفوز لتنتهي المعركة وتحسم النتيجة لصالح المسلمين ، فهم صبرٌ عند اللقاء صادقوا العزيمة عند مواجهة الأعداء ، وإن طلبَ لهم للنصر وجَدَتْهُمْ مستعدين للقتال ، فهم معروفون بقوة بأسهم ، وهم دائماً عند حسن ظن من طلبهم للنصر وهزيمة الأعداء ، وفي هذا يقول "أسامة" :<sup>(6)</sup>

قومٌ إذا لبسوا الحديد عجبت من  
صبرٍ إذا ما ضاق معترك القنا  
وإذا رجوتهم لنصر صدّقوا  
بحر تدافع في لظي<sup>(7)</sup> متوهج  
فرجت سيوفهم مضيق المبهج  
بعظيم بأسهم رجاء المرتجى

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص203

2- المرجع السابق ص205، 206

3- ساماه : علاه وباراه . " الوجيز ص 323 "

4- البتر : السيوف القاطعة . ديوان أسامة ص206

5- البتر : القطع . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش"

6- المرجع السابق ص209

7- اللّظي : لهاب النار القاص لا تدان فيه . والظي : اسم من أسماء جهنم " الوجيز ص558 "

### 3 - الممدوح

كان الأدب العربي يرقب عن كَنَبِ أحداث الحروب الصليبية ، وأحوال رجالها فحيطهم بخير ما يملك من شعر ونثر ، إذا ظفروا وانتصروا ، يستقبلهم فرحاً وبهنيئهم إذا عادوا ناجحين ، أو إذا خرجوا من شدة أو سلموا من مرض ، أو نجحوا في سياسة ، وقد امتلأت صفحات الكتب بهذه التهنئات المبتهجة التي تسجل فرح العالم الإسلامي بما ينجح فيه هؤلاء الأبطال أو ينالون من خير ، أو يظهرون به من سعادة ، والأدب حين يحيط هؤلاء الرجال بحبه ، يقدس فيهم أول ما يقدس تكريسهم الجهود لخدمة المسلمين ، وصيانة الإسلام ، ويشيد بما سيكون من أعمالهم من جليل الآثار .

وقد كان الأمير "أسامة بن منقذ" من هؤلاء الشعراء الذين مدحوا أبطال الأسلام في ذلك الوقت ، فها هو يمدح "معين الدين أنر" على ما كتب الله له من الظفر في جهاد الفرنج حيث يقول في قصيده أولها<sup>(1)</sup>:

**كل يوم فتحٌ مبينٌ ، ونصر**  
**واعتلاءٌ على الأعادي وقهر**  
حيث يمدحه "أسامة" بأنه جديرٌ بهذه التسمية ؛ فاسمه "معين الدين" وهو بحق معين الدين الذي أعان الله به دينه وأظهره على الأعداء الكفرة ، فاسم الإنسان دليل وإشارة على شخصيته ، وفي هذا يقول "أسامة"<sup>(2)</sup> :

**صدق النعت فيك ، أنت معين الله**  
**صدين ، إن النعوت فالٌ وزجر**  
ثم يعود ويمدحه ويصفه بأنه سيف الإسلام الذي أعز الله به الحق وأذل به الكفر والشرك ، ويدعو له بأن لا ينظم حده تشبيهاً له بالسيف فيقول :  
**أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا**  
**فلٌ<sup>(3)</sup> غراريك<sup>(4)</sup> ، أيها السيف دهر**  
**بك زاد الإسلام يا سيفه المخ**  
**نم<sup>(5)</sup> عزاً ، وذُل شركٌ وكفر**

ويوالي "أسامة" مدحه "لمعين الدين" واصفاً إياه بأنه لم يزل يضمّر الجهاد وتحذّثه نفسه به حتي أتاح الله له الفرصة فأعلنه جهاراً نهاراً ، ويشير الشاعر إلي معنى مبهم وعزيز يغيب عن كثير من الناس ؛ ألا وهو أن ما يحوزه الإنسان من أجر علي الجهاد وشكر لنعمة الله هو خير وأبقى من كل نعم الدنيا ونعيمها ، وهذا هو دُخْر معين الدين من أجر الجهاد وشكر علي النصر ، ثم يمتدح كرمه وأن جلّه يكون في سبيل الله ، فماله يتمثل في الخيل والرماح والسيوف يقصد بذلك أنه كثير القتال والجهاد للكفر والكفار ، يقول أسامة في ذلك<sup>(6)</sup>:

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص170

2- المرجع السابق الصفحة نفسها

3- فلٌ : فلٌ السيف : أي تثلم حده " الوجيز ص481 "

4- الغرار : القالب يضرب عليه النصال " الوجيز ص448 "

5- خدمه : أي قطعه الديوان ص 170 "بالهامش"

6- المرجع السابق الصفحة نفسها

ثم أعلنت، حين أمكن جهر  
راك، هما الباقيان: أجر، وشكر  
لك الإجرد<sup>(1)</sup>، وبيض، وسمر

لم تزل تضرر الجهاد مسراً  
كل دُخر الملوك يفني وذُخ  
للندي مالك المباح ، وما ما

ويواصل "أسامة" مدحه "لمعين الدين أنر" راجياً من الله تعالى أن يحفظه للإسلام  
والمسلمين ، وأن يزيده الله إعزازاً للمسلمين وإذلالاً للمشركين ما دام الليل والنهار ،  
وأن يخيب قصد أعاديه في أن يظفروا أو ينتصروا عليه ، فيقول<sup>(2)</sup> :  
فابق ، واسلم ، وزد على رغم أعد  
لا أعقب الزمان قصد أعاديـ  
انك جدًا ، ما أعقب الليل فجر<sup>(3)</sup>  
ك ، ولا شدٌ من تهيضت<sup>(4)</sup> جبر

وقد مدح أسامة "معين الدين أنر" حاكم دمشق عندما كان في كنفه وبعد أن فارقه  
، ومدح غيره كذلك من قادة المسلمين ؛ فقد مدح "نور الدين محمود" قائلاً<sup>(5)</sup> :  
فهو المحامي عن بلا  
ومبيد أملاك الفرنـ  
ملك يتيه الدهر والـ  
جمع الخلال الصالحات  
د الشام جمعاً أن تذالوا<sup>(6)</sup>  
ج وجمعهم حالاً فحالا  
دنيا بدولته اختيالا  
فلم يدع منها خلا

والأبيات كما نري تغني عن شرحها ؛ فهي تتغني بمناب "نور الدين محمود" واصفة إياه  
بأنه حامى حمى بلاد المسلمين في الشام، وهو السبب الأساسي في بقائها تحت حكم  
الإسلام وعدم اجتياح الأعداء لها، ثم يمدح بأنه مبيد ملوك الفرنج وممالكهم وجيوشهم  
في كل مرة يلقاهم فيها، ثم يواصل الشاعر مدحه واصفاً إياه بأنه ملك تفخر الدنيا بدولته  
القوية الأبية، وكان الله قد جمع فيه كل الصفات الصالحات فصار إلى ما صار إليه من  
عز ونصر وإباء .

وقد كان "نصر بن الأفضل" من أولئك الأمراء وقواد الجيوش الذين نالوا حظاً من  
المدح في شعر "أسامة بن منقذ" ؛ حيث خصص "أسامة" مساحة له من أشعاره فيما  
يختص بالمدح ، فقد مدحه في قصيدة مطلعها<sup>(7)</sup> :

يا مُستقلَّ الغنى فيما تجود به  
ومن إذا جاد بالدنيا لآمله  
ومن مواهية كالعارض<sup>(8)</sup> الهطل<sup>(9)</sup>  
قالت معا [رفه]<sup>(10)</sup> حاشاك من بخل

1- جُرْد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر . ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص170

2- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص171

3- أعْب : جاء يوماً وترك يوماً . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

4- تهْيُض : انكسر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

5- المرجع السابق ص217

6- أذاله : أهانه . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

7- المرجع السابق ص190

8- العارض : السحاب المعترض في الأفق . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

9- الهطل : تتابع المطر العظيم القطر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

10- سقط بالأصل أكمله المحقق . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

وهو يبداها مادحا كرمه وجوده ،والذي لا يدانيه ولا يقاربه كرم أحد من الناس مهما كان جوده وكرمه ، ثم يعرج على مدحه بمكرماته في ساحة الوعى ، واصفا إياه بأنه ما إن يجرد سيوفه البتارة من أعمادها في ساحة الحرب إلا وتراه يسكنها في هامات الأعداء ، فقال في ذلك (1):

ومن إذا جرد البيض الصوارم في الـ — هيجاء أسكنها في الهام والقتل (2)

وفي قصيدة أخرى يمدحه "أسامة" واصفا إياه بأنه قد حمى بلاد المسلمين بالسيف والقوة ، فصعب علي الأعداء سهلها وعز عليهم ذليلها ، فقال (3) :

وحميت البلاد بالسيف، فاستصـ — عب منها سهلٌ، وعز ذليل

ثم يعدد "أسامة" ما لـ "نصر بن الأفضل" من فضائل في قصم ظهر الفرنج بغزوه إياهم وقتالهم فصاروا ما بين مقتول وأسير ، فمن لم يتردى بسيفه صار مخبولا مجنونا من شدة خوفه وذعره منه ؛ فالخوف قد مثل له جيش "نصر بن الأفضل" في عقر داره لايزول ولا يفنى ، فإذا نظر مد بصره رأى الربى والمرتفعات وكأنها جيوش ؛هذا بالنسبة للبر ، أما عن البحر فكل موجة تحمل معها أسطول عظيم ضخمة ، وإذا ما غلب هذا المسكين المذعور النوم أقض مضجعه وأيقظه مذعورا منظر سيف "نصر بن الأفضل" الصارم البتار ، يقول "أسامة" في ذلك (4):

وقسمت الفرنج بالغزو شطريـ — من فهذا عان (5) وهذا قتيل  
والذى لم يحن (6) بسيفك من خو — فك أمسى وعقله مخبول  
مثل الخوف بين عينيه جيشا — لك في عقر داره ما يزول  
فالربى عنده جيوش، وموج الـ — سحر في كل لجة أسطول  
وإذا ما أغفى (7) أقض (8) به المضـ — جع في الحلم سيفك المسلول

ثم يختم "أسامة" مدحه "لنصر بن الأفضل" داعيا الله عز وجل بأن يحفظه للإسلام وللمسلمين حصنا حصينا وركنا ركيئا ، وأن يجعله الله تعالى علي الفرنج الكفار المشركين موتا وهلاكاً وفناءً ما توالى الأيام ، وما تعاقبت الأجيال علي مر الزمان .

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص190

2- الفلة : أعلى الرأس . والهامه : الرأس . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

3- المرجع السابق ص191

4- المرجع السابق الصفحة نفسها

5- العاني : الأسير . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

6- حان : هلك . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

7- أغفى : نام نوما خفيفا . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

8- أقض المضجع : خشن . وأقضه الله ، لازم ومتعد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

وكان الملك الصالح "طلائع بن رزيك" من أهم الشخصيات البارزة في شعر "أسامة" والتي نالت نصيباً وافراً ومساحة كبيرة من شعره ، فقد كثرت بينها المراسلات والقصائد ، وقد مضت قصائد "أسامة" تحمل الثناء علي الملك الصالح وتشكر أياديه وجميل فعاله ، وسرد هذه الأبيات يطول ولكن ما يعيننا هنا هو ما اختص بالمدح في إطار المعارك الحربية وساحات القتال ، فقال مثلاً ممتدحاً إياه في مضمار الحرب والقتال (1)

ياأمير الجيوش،مازال للاسـ      سلام والدين منك ركن وثيق  
أسمعت دعوة الجهاد، فلما      ها مليك بالمكرمات خليق

وهو هنا يمتدحه بنصرته للدين والإسلام بجيوشه الجرارة ، وأنه بمجرد أن سمع دعوة الجهاد لبأها علي الفور، وهو هنا يصفه بكل الصفات الطيبة الحسنة فقال بالمكرمات خليق" .

ثم يواصل "أسامة" مدحه للملك الصالح بأنه ليس له شغلٌ شاغلٌ أهم من جهاد الكفر ، والعدل ،وفعل الخيرات علي حد قوله : (2)

ماله عن جهاده الكفر والعد      ل وفعل الخيرات شغلٌ يعوق

ثم يمتدحه "أسامة" واصفاً إياه بالسيف البتار ،فصدره أبيض رحب لين الجانب كريم الأخلاق ،ولكن عند احتدام وطيس المعركة فهو حاسم أمره تماماً كالسيف الذي يصفه به، وهو ذو أناةٍ وتمهلٍ قد يظنها الساذج قليل الخبرة إهمالاً ،ولكنها تحمل في طياتها هلاك الأعداء وحقتهم ،ثم يختم "أسامة" مدحه له داعياً الله بأن يحفظه هو و"نور الدين محمود" بأن يجعلهما للإسلام والمسلمين حصناً قوياً أبياً علي مر الزمان ، يقول "أسامة" في ذلك : (3)

هو مثل الحسام : صدر صقيل (4)      لين مسه ، وحـد ذليق (5)

ذو أناةٍ يخالها الغر إهما      لأوفيهـا حتف الأعادي المحيق (6)

فاسلما للإسلام كهفين (7) ما طرُّ      ز ثوب الظلام برقٌ خفوق

وفي صفات "طلائع" أيضاً وما له من شجاعة وإقدام في الحروب ،حتى أنه يقبل علي خوض المعارك التي تحمل في طياتها الموت والهلاك ، يقبل عليها وكله بشرٌ وسرور ، باسم الوجه لا يأبه بالموت ولا بالأهوال ،فامتدحه قائلاً : (8)

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص188

2- المرجع السابق ص189

3- المرجع السابق الصفحة نفسها.

4- صقله : جلاه . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

5- ذليق : حاد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

6- أحاق به : أحاط به . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

7- الكهف : الوزر والملجأ . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

8- المرجع السابق ص 195 .



يستقبل الحرب بساماً ، وقد كشرت بها المنية عن أنيابها الأرم<sup>(1)</sup>

وعن دوره في الدفاع عن الإسلام والمسلمين يمدحه أسامة بأنه حامي الحمي مهلك الأعداء والمستبيح حماهم ، فأصبح بقوة جيشه وأسطوله يرعى حدود أرض الإسلام بعزم ليس لمتله مثيل ولا شبيه وفي هذا يقول أسامة :<sup>(2)</sup>

تكفلت للإسلام أنك مانع  
فأصبحت ترعى سرحه بصريمة<sup>(3)</sup>  
حماه ، مبيح فأحمي الكفر هادم  
من العزم ، لم تبغ مداها العزائم

ولم يكتف "أسامة" بمدح "طلانغ بن رزيك" بل قد امتدح أهله وعشيرته وجنوده أيضاً فقال :<sup>(4)</sup>

وما الناس إلا آل رزيك ، إنهم  
بنو الحرب في يوم الوغي ، وبنو الندي  
هم الذادة الشبان ، والسادة الشمط<sup>(5)</sup>  
إذا ما ببلاد الناس جردها القط

أي هل في الناس مثل آل رزيك فهم في مكارمهم ومحاسنهم لا يشبههم أحد ، فهم الشباب والرجال المخضرمون ذوو الخبرة الواسعة والحكمة والمهارة ، فهم أهل الحرب وأبناءها في يوم الحرب ، أهل الكرم وأصحاب البذل والعطاء والسخاء إذا ما أصاب الناس قحط أو ضيق ثم يقول :<sup>(6)</sup>  
إذا ما احتبوا<sup>(7)</sup> فالراسيات رجاجة وإن ركبوا فالأسد هيجت ، لها نطح<sup>(8)</sup>

أي أنهم أهل الرجاجة والعقل وحسن التفكير والتدبير كأنهم الفلك الراسيات في البحر ، وإن تأهبوا للحرب وركبوا خيولهم فهم كالأسود الضارية الكاسرة ، ثم يصفهم الشاعر بأن لهم ملكاً قوياً وركناً راسخاً لا تزعه الخطوب الجسام ولا تؤثر فيه الكروب العظام ؛ فملكهم كالجبل الشامخ الراسي ، وفي هذا يقول أسامة<sup>(9)</sup> :

لهم جبل ، لا تززع الخطب ركنه  
أقر الوري أن ليس كفنأ لملكه  
به تؤمن الأحداث والميئة العبط<sup>(10)</sup>  
سواه ، فقد زال التنافس والغبط

1- أرم ما علي المائدة : أكله فلم يدع شيئاً . ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 195

2- المرجع السابق ص 224 .

3- صريمة : من صرم السيف : أي احتد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

4- المرجع السابق ص 175 .

5- شمط " جمع أشمط " . والشمط : بياض يخالف سواد الشعر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

6- المرجع السابق الصفحة نفسها

7- احتبى بالثوب : اشتمل به . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

8- نطح : ينطح نطحاً ، والنحاط : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كالنطح ، والنطح شبه الزفير . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

9- المرجع السابق الصفحة نفسها

10- مات عبطة : شاباً صحيحاً . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

أي أن الخلق جميعاً قد أقروا بأنه لا أحد كفء لهذا المُلْك سوى طلائع وآله ، فقد استتبت لهم الأمور وزال التناقس .

ثم يختتم الشاعر مدحه "طلائع" ببيت قد جانيه فيه التوفيق؛ فقد بالغ في مدحه مبالغة ممقوتة حيث يصفه بأن الأقدار تجري بأمره، وفي يده مقاليد الأمور ، وهذا غير مقبول ؛ لأن كل ذلك بيد الله عز وجل، فهو وحده مُسَيِّر الأقدار وبيده مقاليد الأمور وهو مدبرها، وفي ذلك يقول "أسامة" : (1)

فلا زالت الأقدار تجري بأمره      وفي يده حل الممالك والربط

---

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 175 .

#### 4 - وصف هزيمة الأعداء

لم تقتصر فرحة الأدب على النصر في المعارك الحربية على أعداء الله من الفرنج ، بل اهتمت أيضاً بكل ما يسوءهم ، ويؤدى إلى ضعفهم ، وانهيار قوتهم وسلطانهم ، فعندما نجد الشعراء يصفون هزيمة الأعداء وكسرتهم أمام المسلمين ، فما ذلك إلا لفرحتهم بانتصار المسلمين ، ولكن بشكل غير مباشر ، فلا يصف هزيمة العدو ويبالغ في وصفها بدقة إلا المنتصر المفتخر بانتصاره وبظفره على العدو ، وهذا اللون من ألوان الفرحة بالنصر نستطيع أن نشعر به ونحن نطالع وصف أسامة لهزيمة الأعداء ، حينما نقرأ هذا اللون من الشعر في أشعار أسامة فكاننا نراه يطير فرحاً ونيتها بالنصر على الأعداء ، فمثلاً نجده يبالغ في وصف هزيمة الفرنج أمام "نصر بن الأفضل" ، فيصفهم بأنهم قد هُزموا وانكسروا أمامه ، فانقسموا بسيفه القوي البتار إلى شطرين ما بين قتيل وأسير ، ومن لم يذق طعم سيفه فهو من خوفه منه أشبه بالمجنون الذي يري جيشه عظيماً قوياً لا يزول أبداً ، ومن شدة خوفه يري التلال والأماكن المرتفعة وكأنها جيوش ، ويروي أمواج البحر وكأنها أساطيل ، فكما أن موج البحر لا ينقطع كذلك أساطيله وفي هذا يقول أسامة : (1)

ررين : فهذا عان<sup>(2)</sup> ، وهذا قتيل  
فك أمسي وعقله مخبول  
لك في عقر داره ما يزول  
بحر في كل لجة أسطول

وقسمت الفرنج بالغزو شط  
والذي لم يحن<sup>(3)</sup> بسيفك من خو  
مثل الخوف بين عينيه جيشاً  
فالربي عنده جيوش ، وموج الـ

ثم نستشعر فرحة الشاعر الكبيرة وعاطفته القوية حين نراه يتباهي بحال الفرنج المهزومين أمام المسلمين ، وحال ملكهم الكبير ، بل إنه خير ملوكهم وهو "ابن الفش" ، الذي صار أسيراً ذليلاً في أيدي المسلمين ، ويصف أسامة عملية أسره وكيف كان حاله عندما أسر ، بأنه أسر من حصن "الغريمة" رغماً عنه وبالقوة والقهر بعد قتل فرسانه وذبحهم ، ومن أراد أن يعرف حالهم اللبائس بعد انتصار المسلمين عليهم فليسال عنهم الوادي باقليس فهو شاهد عليهم ، فإلى اليوم مازالت دماء الفرنج تجري فيه من كثرة قتلاهم الذين كانوا قد انتشروا لرد ومجابهة فرسان المسلمين ، صاروا قتلهم جميعاً ، ويوم القيامة سوف يبعثون جميعاً من هذه الأرض ، يقول أسامة في وصف هذه الكسرة العظيمة والهزيمة الفظيعة للفرنج : (4)

وإن لم يكن خير لديهم ولا بر  
وقد قتلت فرساتهم فهم جزر<sup>(5)</sup>  
إلى اليوم فيه من دمانهم غدر<sup>(7)</sup>

وفي سجننا ابن الفش خير ملوكهم  
أسرناه من حصن الغريمة راغماً  
وسل عنهم الوادي باقليس<sup>(6)</sup> إنه

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 191 .

2- العاني : الأسير . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

3- حان : هلك . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

4- المرجع السابق ص 202 .

5- جزر : مخفف جزر بضمين وهي جمع جذور وهي الناقة المجزورة : الذبيحة . السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

6- اقليس : اسم موضع . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش "

7- غدر : جمع غدير وهو القطعة من الماء " نسان العرب 5 / 3217 " .

هم انتشروا فيه لرد رعيننا (8) فمن تربه يوم المعاد لهم نشر

وفي القصيدة نفسها التي يختال فيها الشاعر فرحاً وطرباً بهزيمة الفرنج ؛ يصف لنا هزيمتهم في موقعة أخرى حيث أسرَ ملكٌ من ملوك الفرنج العتاة الطغاة وهو "الجوسلين" الذي أسره جنود المسلمين وفيهم أسامة؛ حيث أسر هذا الملك الذي ما كان يظن ولا يخطر له ببال أو يخاف من نائيه أو مصيبة بأن يكون أسيراً في يوم من الأيام ، وها هو ذا قد صار أسيراً ، ويصفه أسامة بأنه ساذج كان يظن أن المسلمين سوف يفرحون بالفدية والمال مقابل فك أسره ؛ ولكن هيهات ، فكم من الظنون يهلك بها أمثال هؤلاء، وفي هذا يقول الشاعر : (1)

ونحن أسرنا الجوسلين ولم يكن  
وكان يظن الغر (3) أننا نبيعه

ليخشي من الأيام نائبة تعرفو (2)  
بمال ، وكم ظن به يهلك الغر

وعلى المنوال نفسه يوالي الشاعر ذكر هزائم الفرنج ؛ فيصف لنا هزيمة ملك آخر من ملوك الفرنج الجبارة وهو "البغدوين" ، فيصف هزيمته وصفاً رائعاً وفي كلمتين عبر بها الشاعر عن كل شيء ؛ عن المعركة ونتائجها وذلك في قوله : "ونحن كسرنا" ، فقد كسروا هذا الملك الطاغية وليس لمن كسروه علاج ولا جبر ، ولم تكن هذه الهزيمة إلا نتيجة لمكره وغدره الذي صار له دين وطبع ، وهذا ما يصنع الغدر بأهله ، ثم يصف أسامة صورة ذلك الملك حال الهزيمة وقد ضاقت عليه الدنيا بأرجائها براً وبحراً فلم يجد ملجأ ولا منجأ براً ولا بحراً ، يقول أسامة في ذلك : (4)

ونحن كسرنا البغدوين وما لمن  
فسله اللعين الحائن (6) الخائن الذي

كسرناه إبلال (5) يرجي ولا جبر  
له الغدر دين : ما به صنع الغدر

فلم ينجه برّ ، ولم يحمه بحر  
وقد ضاقت الدنيا عليه برحبها

ثم يبرهن أسامة على نصر المسلمين الساحق وهزيمة الفرنج بتغيير لون الخيل ، فعند انطلاقها لقتال الأعداء تكون ذات ألوان مختلفة وذلك قبل القتال ، أما بعد الانتهاء منه فتعود كلها بلون واحد وهو اللون الأحمر ، وذلك ليس إلا من دماء قتلي الأعداء التي لا يحصيها عدد ، وفي ذلك يقول الشاعر (7)

وقد كان لون الخيل شتّى فأصبحت  
تعد إلينا وهي من دمهم شقر (8)

8- الرعي : الجماعة المتقدمة من الخيل " ديوان أسامة ص 202 " بالهامش .

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 202 .

2- تعرفو : عراه الداء والأسى عروا : ألم به وأصابه " الوجيز ص 416 " .

3- الغر : الذي جهل الأمور وغفل عنها " المرجع السابق ص 448 " .

4- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 202 .

5- إبلال : بلى ، بلولا : براً وصح " الوجيز ص 62 " .

6- الحائن : الأحمق " الديوان ص 202 " .

7- المرجع السابق الصفحة نفسها .

8- الشقرة : بياض البشرة مع ميل إلى الحمرة " الوجيز ص 347 " .

وعن هزيمة وقتل "البرنس"، والذي سار لقتال المسلمين جاهلاً بقوتهم، وهو لا يعرف أي أناس سيقا تل يخبرنا "أسامة" عنه: بأنه جاء لقتال المسلمين بجيوش جرارة وعدة وعناد لا يحصى فماذا كانت النتيجة؟، لم يبق من جيشه حياً إلا الأسري ويتساءل أسامة فرحاً مبتهجاً ومتباهياً: وكيف يبقوا أحياء بعدما وقعوا تحت طائلة سيوفنا البتارة؟!، أما "البرنس" فقد ولي هارباً يسابق السهام، وما زال صوت سيوف المسلمين يصم أذنيه وقد خلف وراءه الفرسان والجنود وهذا قبل قتله، فصار جيشه ما بين قتل وأسير في أيدي المسلمين يقول أسامة: (1)

|  |  |
|--|--|
| قتلنا البرنس، حين سار بجهله<br>ولم يبق إلا من أسرنا، وكيف بالبقاء<br>فولي يباري عائرات (5) سهامنا<br>وخلى لنا فرساته وحمامته<br>وما تنتثي عنه أعنة خيلنا | تحف به الفرسان والعسكر المجر (2)<br>لمن أخت (3) عليه الظبا البتر (4)<br>وفي سمعه من وقع أسيفنا وفر (6)<br>فشطر له قتل، وشطر له أسر<br>ولو طار في أفق السماء به النسر (7) |
|--|--|

ثم نلمس ابتهاج الشاعر وغبطته من خلال وصفه للهزائم الكثيرة التي لحقت بالفرنج على أيدي المسلمين، وهو هنا يمر عليها بإيجاز ليبين لنا أنها كثيرة لا يحصىها الحصر ولا الكلام فمثلاً عن فتح "الرها" وهزيمة من فيها من الفرنج يقول أسامة: (8)

جعلنا طلي (9) الفرسان أعماداً بيضنا  
أي جعلنا أعناق فرسان الأعداء أعماداً لسيوفنا، يشير إلى كثرة قتلهم ومدى ما آل إليه حالهم من ذلة وانكسار، وليس ذلك فحسب بل إن أبكارهم صاروا أسيرات للمسلمين، يشير بذلك إلى شدة مهانتهم وذلكهم وانتصار المسلمين المبين عليهم، وعن تل مباشر يقول "أسامة": (11)

أتي ساكنوها بالمفاتيح طاعة  
ففري أسامة مبتهجاً لامتلاك المسلمين لمفاتيح هذا التل، كما نراه مبتهجاً بعزة المسلمين وذلة الشرك والمشركين، ثم يشير "أسامة" مغتبطاً ومفتخراً إلى كثرة فتوحات المسلمين وهزائم أعدائهم من الفرنج الملاعين، فيقول: (12)

1- ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 203، 204.

2- المجر: الجيش العظيم المرجع السابق ص 203.

3- أخت: جارت وأهلك " الوجيز ص 214 " .

4- البتر: أسنة السيوف الفاطمية " الديوان ص 203 " .

5- عائرات: يقال جاءه سهم عائرة فقتله، وهو الذي لا يذري مصدره " اللسان 8 67/4 " .

6- الوفر: نقل في الآن " ديوان أسامة ص 204 " .

7- المرجع السابق الصفحة نفسها .

8- المرجع السابق الصفحة نفسها .

9- الطلي: الأعناق المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

10- الفتنة: رجل فاك جريء " لسان العرب 33 43/5 " .

11- الديوان ص 204 .

12- المرجع السابق الصفحة نفسها .

وكم مثل هذا من قلاع ومن قرى ومزدرعات<sup>(1)</sup> لا يحيط بها الحصر

وكتب "أسامة" مسروراً بما صنعه الوزير المصري "طلائع بن رزيك" بالفرنج، واصفاً هزيمتهم أمام جيوش "طلائع"؛ وذلك بأنه قد أنزل بالفرنج هزائم متكررة ونغل بهم تنكيلاً شديداً في البر والبحر حتى أنهم قد سئموا من لقاء جيوش مصر لعدم استطاعتهم الوصول إليهم، ويئسوا من الظهور عليهم، وفي هذا يقول أسامة<sup>(2)</sup>

وأحل بالإفرنج في      بر، وفي بحر نكالا<sup>(3)</sup>  
حتى لقد سئموا لقاء      ع جيوش مصر والقتالا

وكتب في قصيدة أخرى مبهجاً بما أحرزه "طلائع" من ظفر ونصر علي الفرنج فقال: <sup>(4)</sup>

غزوتهم في أرضهم وبلادهم      وجحفلهم<sup>(5)</sup> في أرضها متزاحم  
فأفانيتهم قتلاً وأسرأ بأسرهم      ففاجيهم مستسلم أو مسالم

وهنا يؤكد الشاعر علي الفكرة نفسها السابقة وهي النصر المؤزر علي الفرنج، فطلائع قد غزاهم في عقر دارهم وهم كثير، وجيوشهم عظيمة، فأفناهم بالقتل والأسر جميعاً، ليس هذا فحسب بل إن هؤلاء الأسري الناجون إما جنود مستسلمين بعد قهرهم وهزيمتهم أو مسالمين .

وفي القصيدة نفسها يصف أسامة هزيمة الفرنج أمام الصالح طلائع بن رزيك وأنهم قد هزموا هزيمة نكراء وقد تغير لون البحر بدمائهم فصار أحمرًا، فما من ناسج منهم ولا هارب برأ ولا بحراً، وكانت النتيجة النهائية للمعركة صورة الأسري وهم منقادون إلي مصر وسفنتهم كذلك غنائم تقاد بين يدي طلائع، يقول أسامة في ذلك: <sup>(6)</sup>

يسوق أساطيل الفرنج إليهم      حمام، وطير للفرنج أشائم  
دمائهم في البحر حمراً سوائح      وهامهم في البر سحماً<sup>(7)</sup> جوامث  
فلم يخف في فج من الأرض هارب      ولم ينح في لج من الماء عائم  
وعاد الأساري مردفين<sup>(8)</sup> وسفنتهم      تقاد كما قاد المهاري الخزائم<sup>(9)</sup>

1- أذرع: زرع "ديوان أسامة د. أحمد أحمد بدوي ص 205 "بالهامش" .

2- الديوان 215 ، 216 .

3- النكال : ما نكلت به غيرك بأن تصنع ما تحذره به " المرجع السابق ص 215 "بالهامش" .

4- المرجع السابق ص 225 .

5- الجحفل : الجيش الكبير " الوجيز ص 93 "

6- ديوان أسامة ص 226 .

7- سخم : جمع أسخم : وهو الأسود . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

8- من أرففته : إذا أركبته خلفك المرفج السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

9- الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في ثقب أنف البعير المرجع السابق الصفحة نفسها "بالهامش" .

## ثانياً: وصف الفرحة بالنصر عند " طلائع بن رزّيك "

- 1 - تهنئة وبشرى بالنصر
- 2 - الفخر
- 3 - المـدح
- 4 - وصف هزيمة الأعداء

## 1 - تهنئة وبشري بالنصر

كان الوزير المصري "طلّاع بن رزّيك" من أولئك الشعراء الذين استخدموا ووظفوا شعرهم بمهارة للتعبير عن أغراضهم وآمالهم التي كانوا يرجون تحقيقها في حياتهم ،ومن ذلك طلبه للنصر علي أعدائه من الفرنج ، وكذلك التغني بما أحرزه من انتصارات وظهور علي الأعداء .

وكان من تلك الأغراض التي تبدو واضحة جلية في أشعاره الفرحة بالنصر المؤزر في مختلف المعارك والحروب بينه وبين الصليبيين ، ولقد أتقن الشاعر استخدام شعره في وصف فرحته بانتصاراته ،حتى لكانما نراه منتشياً ونسمعه متغنياً طرباً بهذه الانتصارات ، فينقل لنا الشاعر في إحدى قصائده هذا الشعور المتدفق بالفرحة فيقول :  
(1)

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| توالت علينا في الكتائب والكتب | بشائر من شرق البلاد ومن غرب  |
| بشائر تهدي للموالي مسرة       | وتحدث للباغين رعباً علي رعب  |
| ففي كبد من حرها النار تلتظي   | وفي كبد أحلي من البارد العذب |

وهنا ينقل لنا "طلّاع" شعوره بالفرحة بانتصاراته المتوالية التي جاءت ببشائرها محمولة في طيات الكتب والرسائل مع الكتائب العائدة من غزوها شرقاً وغرباً ، هذه البشائر والمبشرات التي تسر الأحباب والأصدقاء وتضيق بها كمداً صدور الأعداء ، فهي في صدور أعدائه ناراً تلتظي ، وفي صدور أحبابه أحلي من الماء البارد العذب .

وهذه البشائر الواردة والتي جاءت مع كتائبه تعد أفضل تعبير عن مضمونها ، فما كانت إلا رعوس الأعداء محمولة علي أسنة الرماح ويالها من رسالة،وفي هذا المعني يقول الشاعر (2):

وعادوا إلينا بالرعوس علي القنا وأغناهم كسب الثناء عن الكسب

وفي قصيدة أخرى يعبر الشاعر عن فرحته بالنصر،حيث يشكر الله علي هذه النعمة فيقول (3):

ذاكرين الفتح الذي فتح الله علينا ،فالصنع منه جميل

ثم يؤكد علي هذا المعني في القصيدة نفسها ؛ألا وهو شكر الإله علي نعمة النصر وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى فيقول : (4)

هذه نعمة الإله، وتعدد أيادي الإله شيء يطول

1-ديوان طلّاع بن رزّيك د. أحمد أحمد بدوي ص 47 .

2-المرجع السابق ص 48 .

3-المرجع السابق ص 86 .

4-المرجع السابق ص 87 .



وفي مكان آخر من أشعار طلائع نلمس تلك الروح المنتشية بفرحة النصر على الأعداء ؛ حيث يصف أن هداياه إلي الأعداء ما هي إلا ماتمٌ لهم وأحزان ، وللوحوش المفترسة أفراحٌ وبهجة لكثرة الجثث التي تتغذى عليها من قتلى الأعداء ، ثم يصف جيوشه بقوة بأسها وشدهتها على الأعداء ؛ فجيوشه تسحق هامات الأعداء تحت حوافر خيلها وتدنك جنابات حصونهم وعروشهم دكا ، يقول طلائع : - (1)

|                                   |                             |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| وللوحش أعراس لهم وماتم            | كذلك ما ينفك نهدي إلي العدا |
| بداهية تبيض منها المقادم (2)      | وتسري لهم أراؤنا وجيوشنا    |
| تدوسهم من المذاكي (3) الصلادم (4) | نقتلهم بالرأي طورا ، وتارة  |

ولقد كانت العلاقة الحميمة بين " طلائع بن رزيك " و " أسامة بن منقذ " أشهر من أن تذكر أو يعبر عنها بالكلام ، وقد كان طلائع ينقل مشاعره الفياضة والجياشة بفرحته بانتصاراته على أعدائه إلي أسامة حتى يفرحه بذلك ؛ وذلك لما بينهما من صداقة قوية حميمة ، وفي هذا يقول " طلائع " : (5)

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| ولعلمنا أول الأمير بذا إلي | قلب بكل مسرة مشحون         |
| ملنا نلعمه بذاك ؛ لأنه     | في ودنا مازال غير ظنين (6) |

وهو من فرط فرحته بانتصاراته ينقلها لأسامة ؛ ظناً منه بأنه سيسري بها عن همومه وأحزانه فيقول : (7)

لم يبق ، مجد الدين ، وجد (8) فاغتتم فرحاً أنتيح لقلبك المحزون

- 1- ديوان طلائع بن رزيك د. أحمد أحمد بدوي ص 98 .
- 2- مقدم العين كمحسن ومعظم : ما يلي الآثف ، ومن الوجه : ما استقبلت به . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 3- المذاكي من الخيل : ما أتى عليها بعد قرعها سنة وستان به . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 4- الصلادم : جمع صلدم ، كزبرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 5- المرجع السابق ص 107 .
- 6- الظنين : المتهم . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 7- المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 8- الوجد : الحزن . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

## 2 - الفخر

لمّا كان الفخر نتاجاً للعاطفة القوية، والإنفعال الصادق العميق؛ فقد حفلت قصائد " طلائع " بهذا اللون من الشعر؛ وذلك لأن عاطفته كانت قوية جداً لمشاركته بنفسه في خضم المعارك التي يصفها ويفتخر بها، فكانت العاطفة القوية والإنفعال الصادق لذلك السبب، فنتج عنها فخراً تفيض به أشعاره والتي لا يستطيع القارئ لها إلا أن يصفها بصدق التجربة، فنجده يفخر بكل أدواته في الحرب من خيول وفرسان وسيوف ورماح وسهام إلى غير ذلك، فمثلاً يتحدث مفتخراً بجيوشه المتوجهة للشام، وبخيله الماهرة المدربة علي خوض الصعاب والسير فوق حزون الأرض حتى كأنها تجري علي أرض مستوية، وهو هنا يتحدث عن جبال القدس والتي أصبحت تضاريسها الصعبة تحت أقدام جيوشه وخيوله الماهرة كأنها سهولاً منبسطة فيقول: (1)

جعلنا جبال القدس فيها، وقد جرت  
فقد أصبحت أوعارها وحرّونها (4)  
عليها عتائق الخيل كالنقف (2) السهب (3)  
سهولاً ثوطاً للفوارس الركب

وعن الخيل ومكانتها الكبيرة في نفس الشاعر والتي تبدو جليلة من خلال افتخاره واعتزازه بها؛ يصفها الشاعر بأنها وسيلة الغزو التي يخرق بها الفرسان المهرة علي صهواتها شرق الأرض وغربها فيقول: (5)

وتخرق شرق الأرض والغرب خيلنا  
عليها الشباب المرء والجلّة (6) الشمط (7)

ثم يفخر الشاعر بانتصاراته ومدى تأييد المولى عز وجل له ولقومه قائلاً: (8)

أبي الله إلا أن يكون مؤيداً  
مدي الدهر، منصور اليمين علي العدا

ثم يفخر بجيوشه وفرسانه؛ والتي تهجم علي الأعداء غير متهيبة من الموت وكأنها السيول الجارفة براً، وكأنها الأمواج القوية في البحر، يقصد بذلك أساطيله البحرية فيقول: (9)

فكيف إذا سالت عليهم سيولنا  
وجاشت لنا تلك البحار الخضار (10)

1- ديوان طلائع بن رزيق د. أحمد أحمد بدوي ص 47.

2- النقف: المغارة. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش ".

3- السهب: المستوي الأرض. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش ".

4- الحزن: ما غلظ من الأرض. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش ".

5- المرجع السابق ص 67.

6- الجلّة: جمع جليل. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش ".

7- الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والشمط في الرجل: بياض اللحية. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش ".

8- المرجع السابق ص 49.

9- المرجع السابق ص 99.

10- الخضارم: جمع خضرم، وهو الكثير من كل شيء. المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش ".

ويواصل الشاعر فخره بجيوشه وكيف أنها قوية أبيّة، ثم بغاراته المتعددة علي الأعداء والتي لا تفتّر ليلاً ولا نهاراً، والتي تحصد النصر ومعه غنائم الأعداء، ثم يفتخر الشاعر بجيوشه في البحر فهي أساطيل قوية، كثيرة العدد والعتاد وهي أضعاف من ساروا من الجيوش برأ، فكانت النتيجة أنها أحرزت نصراً عظيماً وخلفت حصوناً مدكوكة تحت أقدامهم، يقول طلائع في ذلك <sup>(1)</sup> :-

فنحن علي ما قد عهدت: نروهم  
وغاراتنا ليست تفتّر <sup>(2)</sup> عنهم  
وأسطولنا أضعاف ما كان سائراً  
ونحنف جهداً أننا لا نسالم  
وليس ينجي القوم منها الهزائم  
إليهم، فلا حصن لهم منه عاصم

وبالطبع فقد نال افتخار "طلائع" بنفسه وبأهله حيزاً كبيراً من شعره، فهو يفتخر بكرمه في السلم وفتكه بالأموال، تماماً كما يفتك بالأعداء في الحرب، مشيراً بذلك إلى شدة كرمه سلماً، وشدة بأسه حرباً فيقول: <sup>(3)</sup>

فلا يفتّر بعدها ذو جهالةٍ  
فليت الشري يخشي، وإن كان ملبداً

ثم يفتخر الشاعر بقومه وعشيرته وشدة بأسهم في الحرب وكرمهم وبذلهم الندي وقت السلم فهم كالسحب البوارق المحملة بالخير كرمًا، وكالرعد شدةً وبأساً في الحرب، فعندهم الترغيب والترهيب، فهم تارةً يشعلون نار الحرب، وتارةً يجودون بالمكرمات والخير، وفي هذا يقول الشاعر: <sup>(4)</sup>

نحن كالسحب، بالبوارق، والرعد، لدينا الترغيب، والترهيب  
تارةً نسعر الحروب علي الناس، وطوراً بالمكرمات نصوب <sup>(5)</sup>

وعلي المعني نفسه يؤكد الشاعر -هو فخره بقومه- بأن لديهم الخير في أقصى صورته من كرم وجود، ولديهم الشر في أقصى صورته وهو الموت المحقق، ثم يفتخر الشاعر بقومه وقوة سطوتهم في الحرب وكيف يكون إهلاكهم لأعدائهم في ساحة الوغي فيقول: <sup>(6)</sup>

ترانا إذا رحنا إلي الحرب مرّة  
قربنا، ومن أضيفنا الذنب والنسر  
ثم يفتخر الشاعر بمدى رسوخهم وثباتهم في الحرب، وعدم ميالاتهم أو أكثراتهم لفقد الغالي والنفيس من الأموال أو النفوس، وذلك ليس إلا لأنهم باعوا أنفسهم لله، فذهبوا لساحة الحرب وما منهم نادم علي بيعه، فما أهون النفوس في ساحة الحرب

1- ديوان طلائع بن رزيق د. أحمد أحمد بدوي ص 100 .

2- القتر : الضعف ، والانقطاع . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

3- المرجع السابق ص 50 .

4- المرجع السابق ص 59 .

5- الصوب : التصيب . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

6- المرجع السابق ص 64 .

في مقابل عزها وعزتها في الحياة ،وقد صور الشاعر هذه المعاني فقال : (1)

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| لقلت له منا الدموع السواجم     | ولو أننا نبكي علي فقد هالك |
| ورحنا،وما منا علي البيع نادم   | ولكننا بعنا الإله نفوسنا   |
| إذا لم تصبنا في الحياة المائتم | تهون علينا أن تصاب نفوسنا  |

ثم يختم الشاعر فخره بنفسه وبأهله وبجيوشه ختاماً مفتوحاً ؛ لينافس فيه كل من أراد الإفتخار والمباراة : بأنهم قد ناولوا مجداً وعزاً ومكانة يفاخروا بها ملوك الدنيا ، فيقول في ذروة فخره : (2)

علي أننا نلنا من المجد ما به      نفاخر أملاك الوري ونقاوم

---

1- ديوان طلائع بن رزيك د. أحمد أحمد بدوي ص 95 .

2- المرجع السابق ص 101 .

### 3 - المدح

كان المدح عند "طلائع" لونا من ألوان الفرحة بالنصر وبهزيمة الأعداء ، ولقد كان "أسامة بن منقذ" من أبرز الشخصيات التي امتدحها "طلائع" وكانت معاصرة له إن لم يكن أهمها علي الإطلاق ؛ لما كان بينهما من صداقة ومودة ، وكذلك لدور "أسامة" البارز كحلقة وصل بينه وبين "نور الدين محمود" ، ولهذا نجد "أسامة" قد فاز بنصيب الأسد من أشعار "طلائع" في هذا اللون ، فهو يمتدحه لشجاعته ورجاحة رأيه وقوة بأسه في ساحة الحرب ، ودوره البارز في السلم في مساندة "نور الدين محمود" ، وقد نال "نور الدين محمود" أيضاً نصيباً كبيراً من المدح في أشعار طلائع لوصف المعارك ، وذلك تقرباً من طلائع إليه طلباً للوحدة معه لمواجهة الفرنج ، فمن ذلك يمتدحه قائلاً :<sup>(1)</sup>

أيها العادل الذي هو للدين شباب ، وللحروب شبيب<sup>(2)</sup>

والذي لم يزل قديماً عن الإسلام بالعزم منه تجلي الكروب

وغدا منه للفرنج إذا لاقوه يوم من الزمان عصيب<sup>(3)</sup>

وهو هنا يمتدحه بأنه شباب للإسلام في قوته وعزته ، وبأنه ثابت الجنان رابط الجأش في حومة الوغي ، والذي به تتجلي شدائد الإسلام ونكباته حتى صار يوم لقياه للفرنج يوماً عصيباً شديداً عليهم لما عهدوه من قوته وشجاعته .

أما عن "أسامة" فيمتدحه "طلائع" بأنه لا يهاب الأسود والأبطال الأقوياء في ساحة الحرب ولا يخشي بأسهم وفي هذا يقول :<sup>(4)</sup>

لا يهاب الأسود في حومة الحرب ، ويقتاده الغزال الربيب

وقد قصد "طلائع" "أسامة" ليتوسط بينه وبين "نور الدين محمود" لتوحيد الجبهة في مواجهة الفرنج فامتدح "أسامة" بأنه قد حاز أعلى مكانة في الحرب والسلم ، ففي الحرب هو الشجاع الضراب لرقاب الأعداء ليس له شبيه ولا نظير ، وفي السلم صاحب الرأي القوى السديد يقيظ في التمهيد والتخطيط لاستئصال شأفة حاملي الصليب ومحاربتهم ، وهو بذلك إنما يريد التمهيد للدخول في غرضه ؛ ألا وهو الوساطة بينه وبين "نور الدين" فقال :<sup>(5)</sup>

ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت ، إذ تشبب الحروب

أنت فيها الشجاع ، ما لك في الطعن ، ولا في الضراب يوماً ، ضرب

وقال<sup>(6)</sup>

لك رأي يقظان ، إن ضعف الرأي ، علي حاملي الصليب صليب<sup>(7)</sup>

1- ديوان طلائع بن رزيق د. أحمد أحمد بدوي ص 62 .

2- يريد شبيب بن يزيد الشيباني أحد كبار الثائرين على بني أمية ، وكان بطلا في الحرب . السابق الصفحة نفسها

3- العصيب : الشديد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

4- المرجع السابق ص 58 .

5- المرجع السابق ص 61 .

6- المرجع السابق الصفحة نفسها .

7- الصليب : الشديد . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

ثم يحثه علي شد أزر "نور الدين" وحسه علي مواصلة جهاد الكفار ، فامتدح "أسامة" بأنه كفء لهذه المهمة، وما من أحد يصلح لهذه المهمة مثله ، ثم يعرج علي امتداح "نور الدين" بأنه صاحب كل خير ، وهو صاحب المكانة العليا في حسم داء الكفر ؛ فهو رجاء الإسلام والمسلمين ، فقال : (1)

ما لهذا المهم مثلك، مجد الدين، فانهض به، فأنت حقيق  
قل له ، لا عداه رأي ، ولا زال لديه لكل خير طريق :  
أنت في حسم داء طاغية الكفار ذاك المرجو والمرموق

ثم يصرح الشاعر بأن رأيه في "أسامة" ، ومدحه وثنائه عليه قد أضحي معروفًا لكل الناس ؛ فما إن تمر علي مخيلته ذكرى أو طيف "لأسامة" إلا اشتعلت والتهبت نيران الحنين بين أضلعه ، ومهما بالغ الناس في وصف "أسامة" ومدحه سيقصروا في إعطائه حقه من الوصف علي حد قوله : (2)

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| فرأينا فيك قد أضحي علانية     | والجند قد عرفوا منه الذي عرفوا  |
| وقد مت لك تمهيداتنا ، وبها    | وحش الفلاة إذا ما روعت ألف      |
| كاننا حين تجري ذكرة لكم       | علي إضطرار (3) لهيب النار نعتكف |
| فإن يبالغ الناس في الثناء علي | أوصافكم قصروا في كل ما وصفوا    |

ولم ينس "طلائع" أن يختص جيشه بنصيب وافر من مدحه ، فقد امتدح في قصيدة من قصائده فصائل جيشه وطوائفه طائفة طائفة علي التفصيل ، فتارةً يفتخر بأبطال قبيلة "كنانة" ، وتارةً بأبطال "برقية" ، وتارةً ببعض أبطال من "المماليك" و"سنبس" و"تعلبة" وهكذا ، فأبطال "كنانة" امتدحهم بأنهم دوخوا بلاد الفرنج بخيولهم المدرية الماهرة فعداوا منتصرين حاملين رعوس الأعداء علي أسنةٍ رماحهم بدلاً من رايات النصر ، فاستغنوا بالثاء والمديح عليهم عن أي كسب أو غنائم ، وفي هذا يقول "طلائع" : (4)

|  |                                |
|--|--------------------------------|
| وأبطال حرب من كُتامة (5) دوخوا   | بلاد الأعادي بالمسومة القب (6) |
| وعادوا إلينا بالرعوس علي القنا   | وأغناهم كسب الثناء عن الكسب    |
| وأما "برقية" فيمتدحها "طلائع" بأنهم قد حملوا سيوفهم للجهاد وقتال الفرنج فلم يبق أحد من الفرنج في ساحة القتال علي قيد الحياة ، وفي ذلك يقول : (7) |                                |

1- ديوان طلائع بن رزيك د. أحمد أحمد بدوي ص 82 .

2- المرجع السابق ص 75 .

3- إضرم النار : أوقدها واشعلها . " الوجيز ص 380 " .

4- ديوان طلائع بن رزيك د. أحمد أحمد بدوي ص 48 .

5- كُتامة : قبيلة مغربية قدمت مع الفاطميين . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

6- المسومة : المعلة . والقب : الضواير من الخيل . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

7- المرجع السابق ص 96 .

وبرقية<sup>(1)</sup> شاموا السيوف ، فلم يعش  
لبارقها في ساحة الشام شائم

ثم امتدح طائفة أخرى من جيشه - لم يذكر أسمهم - بأنهم لو توجهوا إلى عاصمة  
الفرنج نفسها وعاصمة النصرانية في أوروبا وهي رومية لفتحوها وقسموا فيما بينهم  
غنائهما، فقال :<sup>(2)</sup>

وأفناء جند، لو توجه جمعهم  
لرومية جالت عليها المقاسم<sup>(3)</sup>

ويمتدح جماعة أخرى من جيشه كانوا من المماليك فيصفهم بالمهارة والخبرة في  
الطعن والنزال والضرب فيقول :<sup>(4)</sup>

وجمع ممالك بأفعالنا افتدوا  
فكلهم بالطعن والضرب عالم

وأما "سنبس" فقد امتدحهم بأنهم أحرزوا المعالي والعزة بفعلهم في الكفار فيقول  
: <sup>(5)</sup>

وسنبس<sup>(6)</sup> قد شادوا المعالي بفعلهم  
وليس لهم إلا العوالي<sup>(7)</sup> دعائم

ويستطرد "طلائع" فيمتدح طائفة أخرى من الجيش ؛ وهي طائفة "تعلبة" ويصفهم  
بأنهم صاروا كالأسود الضارية فلم يبق لهم في جيوش الشرك مقاوم فيقول : <sup>(8)</sup>

وتعلبة<sup>(9)</sup> أضحوأ بنا قد تأسدوا<sup>(10)</sup>  
فما لهم في المشركين مقاوم

ثم يختتم الشاعر منظومته في امتداح الجيش المصري وطوائفه بأبطال قبيلة  
"جذام" بأنهم مازالوا كما كانوا قديماً مستأصلين لشافة الكفر والكفار ببلاد الشام فقال  
طلائع : <sup>(11)</sup>

وإن جذاماً<sup>(12)</sup> لم يزل قط منهم  
قديماً لحبل الكفر بالشام جاذم<sup>(13)</sup>

- 1- برقية: طائفة من الجيش المصري، قدم أصولهم من بركة . ديوان طلائع بن زريك د. أحمد أحمد بدوي ص96.
- 2- المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 3- الأفناء : الأخطا . وجالت عليها المقاسم، يريد: انتهزت. ورومية: روما. المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 4- المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 5- المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 6- فرقة من الجيش . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .
- 7- العوالي : أعلى الرماح . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش"
- 8- المرجع السابق الصفحة نفسها .
- 9- قبائل في الجيش المصري . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .
- 10- تأسد : صار كالأسد . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .
- 11- المرجع السابق ص 97 .
- 12- من قبائل الجيش المصري . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .
- 13- جذمه : قطعه . المرجع السابق الصفحة نفسها "بالحامش" .

#### 4 - وصف هزيمة الأعداء

كان الشعراء يعبرون عما يجول في نفوسهم وخواطرهم ،وعما يشعرون به من عاطفة جياشة من فرحة بالنصر علي الفرنج بأساليب مختلفة كلها تنصب في قالب واحد وفي بونقة واحدة ،وهي نقل شعورهم وشعور جماهير المسلمين بانتصارات المسلمين علي أعدائهم ، فتارة يعبرون عن فرحتهم بالنصر صراحة وتارة بمدحهم لأبطال الإسلام وأبطال هذه الحروب ، وتارة أخرى يعبرون عن فرحتهم عن طريق الفخر بما لأبطال الإسلام من مآثر وبطولات، وتارة أخرى يعبرون عن هذه الفرحة بوصفهم لهزيمة أعداء الإسلام وانتكاساتهم المتتالية وكسرتهم أمام جيوش الإسلام ،وربما كان في وصف هزيمة الأعداء تعبيراً أبلغ عن فرحتهم بالنصر من البوح بالفرحة صراحة .

وقد أجاد الشاعر "طلائع بن رزيك" في استخدام هذا اللون وهو وصف هزيمة الأعداء لينقل لنا شعوره بالفرحة بالنصر علي أعدائه ، فجدده مثلاً يتحدث عن هزيمة الفرنج في "الوعيرة" بأرض الشام ،حيث يصفهم بقلة الخبرة أمام خبرة جنوده ،وكيف قفز عليهم بواسطة جيوشه التي هبت من مصر بخيولها والتي حمل علي صهواتها الفرسان الشداد والذين يحملون أسياهم ورماحهم، فكانت النتيجة أن استأصلوا شأفة أعدائهم وأفنوهم فناء كاملاً ، وقد وصف "طلائع" هزيمة أعدائه في "الوعيرة" بقوله : (1)

وعلي الوعيرة<sup>(2)</sup> معشرٌ لم يعهدوا فيها القتالاً  
لما نأت عن يحف بها يميناً أو شمالاً  
نهضت إليهما خيلنا من مصر تحتل<sup>(3)</sup> الرجال  
والبيض لامة، وبيض<sup>(4)</sup> الهند، والأسل<sup>(5)</sup> النبال<sup>(6)</sup>  
فغدت كان لم يعهدوا في أرضها حيا جلالاً<sup>(7)</sup>

وعن هزيمة الفرنج في تل العجول وما وقع من قتلاهم حتى امتلأت بها التلال يقول: (8)

هذا وفي تل العجول<sup>(9)</sup> ملأ بالقتلى التلال

وعن هزيمة ملكهم وما ألم به من خزي وهزيمة ووقوع أهله في الأسر وما صار من غنائم في أيدي طلائع ورجاله يقول: (10)

إذا مر مرّي<sup>(11)</sup> ليس يلوي<sup>(12)</sup> نحو رفقته اشتغالا  
واستاق عسكرنا له أهلاً يحبهم ومالا

1- ديوان طلائع بن رزيك د. أحمد أحمد بدوي ص 84 .

2- الوعيرة : اسم حصن . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

3- احتمله : حملة . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

4- بيض الهند : السيوف . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

5- الأسل : الرماح . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

6- النبال : جمع نائلة ، وهي المختلفة إلى المنهل . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

7- الحلال : جمع حلة ، وهي القوم النزل ، وجماعة بيوت الناس . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

8- المرجع السابق الصفحة نفسها .

9- موضع بالشام . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

10- المرجع السابق ص 85 .

11- مري : أحد ملوك الفرنج الصليبيين Amari . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

12- يلوي : ينتظر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .



وفي قصيدة أخرى نلمس فرحة الشاعر بنصر أسطوله علي الفرنج ،وذلك من خلال وصفه لهزيمتهم المنكرة أمام جنوده فيقول : (1)

أن بعض الأسطول نال من الإفرنج ما لا يناله التأميل  
سار في قلة ، وما زال بالله وصدق النيات ينمي القليل  
وبقايا الأسطول ليس له بعد إلى ساحل الشام وصول  
فحوى من عكا وأنطرووس (2) عدة لم يحط بها التحصيل

وهنا يصف الشاعر ما وقع للفرنج من هزيمة نكراء بعد أن كسرههم بأسطوله ،فخلفوا وراءهم عدة وعتادا يفوق ما كان يتمتع به المرء في خياله ، أما فلول أسطول الفرنج المهزومين فليس لوصولهم لساحل الشام بعد اليوم من سبيل ،وقد حوى أسطوله ونال من حصنى أنطرووس وعكا غنائم كثيرة جداً ، حتى أنه يصعب حصرها لكثرتها .

ثم يعرج الشاعر علي وصف حال طائفة من جيش الفرنج المهزومين فهم ما بين غريق وقتيل وأسير، ثم يصف حال الأسرى وما آلو إليهم من الذل والانتكسار وهم مقيدون في الأغلال جنوداً وقواداً وفي وسطهم مقدمهم وجيشه مكبل بالقيود والأغلال وفي هذا المعني يقول طلائع : (3)

جمع ديويه (4) بهم كانت الإفرنج تسطو علي الوري وتصول  
قعيد في وسطهم مقدمهم يهدي إلينا ، وجيده مغلول  
بعد مئوى جماعة هلكت بالسيف ، منها الغريق والمقتول

ثم نحس بفرحة الشاعر بهزيمة الفرنج في مكان آخر ،وكيف أن جنوده لقوا الفرنج واحتووهم وأنطووا عليهم فلم ينج واحد من جنود الكفر ، يقول "طلائع" : (5)  
فلقوهم زرق الأسنة ، وانطووا عليهم ، فلم ينج من الكفر ناجم (6)

ثم عادوا لسل سيوفهم فقطعوا رؤوس الفرنج وجزوها جزأ فلم ينج منهم فى هذه المعركة أحد ليخبر عن مصارع القوم ،ولا حتى واحد بضرب به المثل في أنه الوحيد الذي نجا ، يقول طلائع في ذلك : (7)

وعادوا إلي سل السيوف،فقطعت  
فلم ينج منهم يوم ذاك مخبر  
رءوس،وحزت للفرنج غلاصم (8)  
ولا قيل : هذا وحده اليوم سالم

- 1- ديوان طلائع بن رزيق د. أحمد أحمد بدوي ص 86 .
- 2- أنطرووس :بند ساحلى بالشام . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 3- المرجع السابق ص 87 .
- 4- الدبوية : لقب لطائفة من الصليبيين . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 5- المرجع السابق ص 97 .
- 6- نجم : ظهر . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .
- 7- المرجع السابق ص 98 .
- 8- الغلصة : اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الملقوم . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

ثم يتحدث الشاعر في قصيدة أخرى عن كسرة أخرى للفرنج ، وقد هرب قائدهم فلجأ إلي حصن حسبه يمنهم ولم يكن كذلك ، ثم يصف لنا الشاعر كيف أن جنوده أتوا برأس ذلك الملك ، والذي يصفه طلائع بأنه كان مخبولا لأنه فكر في قتال طلائع وجنوده ، فكان مصيره أن صارت رأسه معلقة علي الرماح ، وقد أسر ابنه وقسمت أمواله علي الناس شرقاً وغرباً ، وفي ذلك قال "طلائع" :<sup>(1)</sup>

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| فلجأ من الحشد الذي قد غره | عدداً لحصن لم يكن بحصين    |
| وأتوا برأس فارغ لم يكن    | من قيل أن يعلو القنا برزين |
| أسر ابنه ، وتوزعت أمواله  | حتى لقد بلغت بلاد الصين    |

ثم يتحدث الشاعر عن هزيمة أخرى في موقعة أخرى أظهر الله فيها جنوده علي الفرنج ، فصاروا ما بين مقتولٍ ، وآخر يرمي نفسه في البحر ليموت غرقاً ، وما بين مطعون ومجروح ، فيقول واصفاً هذه الهزيمة :<sup>(2)</sup>

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| وعقبة فتح الإله بلطفه      | باب الظهور علي عداة الدين : |
| ما بين مقتولٍ ، ورامي نفسه | غرقاً ، ومجروح ، وبين طعين  |

وهكذا نجد روح الفرحة بالنصر تنبعث من ثنايا الأبيات التي يتغنى فيها الشاعر بهزيمة أعدائه .

وهاهو في قصيدة أخرى يتغني برعوس أعدائه التي جاءت تلوح كالرايات علي أسنة الرماح ، وبأموال وغنائم الفرنج التي نالتها جنوده فوزعت بالتساوي بينهم ، ويتغني أيضاً بالأسرى الذين لا يحصي عددهم وقد جاءوا يساقون إلي حتفهم :<sup>(3)</sup>

|                               |                                    |
|-------------------------------|------------------------------------|
| جاءت رعوسهم تلو               | ح علي رعوس السمهرية <sup>(4)</sup> |
| وبدائع <sup>(5)</sup> قد قسمت | بين الجنود علي السوية              |
| وخلاتق كثرت                   | من الأسري تقاد إلي المنية          |

1- ديوان طلائع بن رزيك د. أحمد أحمد بدوي ص 105 .

2- المرجع السابق الصفحة نفسها.

3- المرجع السابق ص 109 .

4- السّمهري : الرمح الصلب . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

5- في الأصل : قلائع ، وقد اختار المحقق " بدائع " . المرجع السابق الصفحة نفسها " بالهامش " .

